القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة التاسعة والعشرون العدد 9071 الأحد 21 كانون الثاني (يناير) 2018 – 4 جمادى الأولى 1439 هـ
Volume 29 - Issue 9071 Sunday 21 January 2018

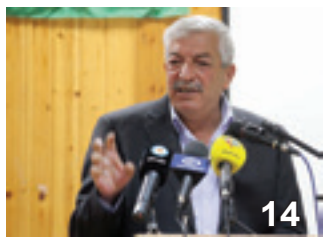

محمود العالول:
لسنا أسرى خيار الدولتين

جامعات السودان
تغرق في العنف الطلابي

جونية اللبنانية:
عروس الشاطئ والجبل

دول الحصار تعزز
خرق القانون الدولي
04

حريات: أبناء الأردنيات
في الواجهة مجدداً
16

بطارية خارقة يمكن
إعادة شحنها في ثانية
30

احتجاجات تونس: انتفاضة خبز أم استئناف ثورة؟

الأسباب الظاهرة وراء الاحتجاجات الشعبية الراهنة في تونس تشير إلى ارتفاع أسعار بعض السلع الغذائية الأساسية، وزيادة الضرائب المباشرة، وسياسات التقشف، وتضخم الدين العام، وتفاقم خدمة الديون الخارجية، وسواها. ثمة في المقابل أسباب أخرى غير ظاهرة، ذات صلة بتباطؤ الإصلاحات، وانشغال الأحزاب السياسية بصراعات النفوذ، وتعطل المسار العام للتغييرات التي وُعد بها الشعب التونسي. فهل يشهد البلد انتفاضة خبز مماثلة لما جرى في 1978 و1984، أم استئناف لثورة تعطلت وركدت؟

(ملف الحدث، ص 8 ـ 13)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

في ظل معارضة أمريكية ومطالب روسية وحسابات دولية وعسكرية معقدة

الجيش التركي يبدأ عملية «غصن الزيتون» في عفرين بغارات جوية وضربات صاروخية و«الجيش الحر» يتقدم براً

إسطنبول – «القدس العربي»: إسماعيل جمال

بدأ الجيش التركي، رسمياً، مساء امس السبت، عملية عسكرية من الجو والبر ضد مواقع وحدات حماية الشعب الكردية في مدينة عفرين السورية. وبالتزامن مع غارات جوية واسعة نفذتها مقاتلات حربية تركية من طراز إف16 بدأت وحدات من الجيش السوري الحر بالتقدم براً نحو المدينة من أكثر من محور. وعقب ساعات من إعلان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن «عملية عفرين بدأت التركيتين (جنوب)، باتجاه مناطق في عفرين، بغطاء مدفعي وجوي تركي، ولم ترد أنباء في الساعات الأولى عن مقاومة من قبل الوحدات الكردية.

وقال بيان رئاسة أركان الجيش التركي: «عملية غصن الزيتون تهدف لإرساء الأمن والاستقرار على حدودنا وفي المنطقة والقضاء على إرهابيي (بي كا كا/ب ي د/ي ب ك) و(داعش) في مدينة عفرين، وإنقاذ شعب المنطقة من قمع وظلم الإرهابيين».

وحسب مصادر تركية وسورية، استهدفت المقاتلات الحربية العديد من النقاط العسكرية ونقاط المراقبة التابعة للوحدات الكردية في مناطق متفرقة بعفرين، منها مناطق جنديرس، وجلمة والحميدية وحاجلار وفريرية وتل سلور. ولفتت مصادر تركية إلى أن رئيس أركان الجيش خلوصي أكار يقود العملية من مقر رئاسة الأركان في أنقرة.

بريا، بدأت وحدات من الجيش السوري الحر بدخول أطراف مدينة عفرين من أكثر من نقطة حدودية. وأكدت مصادر متعددة أن وحدات من الجيش الحر مزودة بمعدات عسكرية ومدرعات تركية تقدمت من حدود ولايتي كليس وهطاي التركيتين (جنوب)، باتجاه مناطق في عفرين، بغطاء مدفعي وجوي تركي، ولم ترد أنباء في الساعات الأولى عن مقاومة من قبل الوحدات الكردية.

وقال بيان رئاسة أركان الجيش التركي: «عملية غصن الزيتون تهدف لإرساء الأمن والاستقرار على حدودنا وفي المنطقة والقضاء على إرهابيي (بي كا كا/ب ي د/ي ب ك) و(داعش) في مدينة عفرين، وإنقاذ شعب المنطقة من قمع وظلم الإرهابيين».

وأكّد البيان أن العملية «تجري في إطار حقوق بلادنا النابعة من القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن حول مكافحة الإرهاب وحق الدفاع عن النفس المشار إليه في المادة 51 من اتفاقية الأمم المتحدة مع احترام وحدة الأراضي السورية»، وشددت على أن «العملية تستهدف الإرهابيين فقط، ويجري اتخاذ كل التدابير اللازمة للحيلولة دون إلحاق أضرار بالمدنيين».

ومع انطلاق العملية أكدت روسيا أنها سحبت فعليا قواتها المتواجدة داخل مدينة عفرين ونقلتها إلى منطقة تل رفعت، فيما هاتف وزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون نظيره التركي مولود جاويش أوغلو، وجرى لقاء بين مسؤولين من الخارجية التركية في مقرها بأنقرة مع مسؤولين من سفارات أمريكا وروسيا وإيران.

وأكدت الحكومة التركية أنه «جرى اتخاذ جميع التدابير اللازمة للحيلولة دون إلحاق الضرر بالمدنيين خلال العملية»، وأن «الهدف الوحيد من العملية هو القضاء على المنظمات الإرهابية وتدمير ملاجئهم ومواقعهم وأسلحتهم ومركباتهم وأدواتهم»، على حد تعبيرها.

الهجوم التركي على عفرين بدأ بعد أشهر طويلة من التصريحات والتهديدات التي أطلقها كبار السياسيين الأتراك بمهاجمة الوحدات الكردية في عفرين، وبعد أن أتم الجيش التركي على مدى الأسابيع والأيام الماضية الاستعدادات العسكرية اللازمة لتنفيذ العملية عبر حشد مئات الدبابات والمدرعات ونقل آلاف الجنود إلى حدود المدينة، فيما واجهت العملية حسابات دولية معقدة أخرت انطلاقها أكثر من مرة.

وتعاني منطقة عفرين من تداخل النفوذ والحسابات الدولية الكبرى في سوريا، فمن سيطرة روسيا على المجال الجوي إلى الدعم الأمريكي للوحدات الكردية هناك مروراً بوجود النظام السوري على حدود المدينة وليس انتهاء بالنفوذ الإيراني هناك، وهو ما فرض على أنقرة التوصل إلى تفاهمات دولية قبيل بدء العملية.

وطول الأيام الماضية، صدرت عشرات المواقف الأمريكية المتضاربة تجاه تركيا، حول ملفي عفرين والحديث عن إنشاء قوات «حرس حدود» من الوحدات الكردية في شمالي سوريا، وبين النفي والتأكيد والتشكيك والتضارب بين تصريحات الخارجيةِ والبيت الأبيض والبنتاغون، صدرت أخيراً دعوات رسمية أمريكية لتركيا بعدم مهاجمة عفرين ما ساعد في حسم الأمر بالنسبة للأتراك باعتبار أن واشنطن قررت معارضة العملية المتوقعة في عفرين وبناءعليه بدأت أنقرة بمحاولة ترتيب الحسابات الدولية انطلاقاً من هذه النتيجة.

في المقابل سعت تركيا للتوصل إلى تفاهمات مع روسيا باعتبارها ضامنة لحلفائها من إيران والنظام السوري، حيث أوفد أردوغان بشكل عاجل رئيسي أركان الجيش والاستخبارات إلى موسكو وهو ما أتاح للجيش التركي إطلاق العملية دون الإعلان عن طبيعة التفاهمات التي جرى التوصل إليها بين الجانبين.

وعلى الرغم من العلاقات الروسية مع الوحدات الكردية لا تبدو على القدر نفسه من «الاستراتيجية» كما هو الحال مع الولايات المتحدة التي تعتبرها حليفها الأول في سوريا، ورغم وجود رغبة روسية وإيرانية وحتى للنظام السوري في توجيه ضربة لحلفاء أمريكا في سوريا خاصة عقب الاستراتيجية الأمريكية الجديدة ومخطط إنشاء قوات «حرس الحدود»، إلا أن موسكو لن تمنح أنقرة «الضوء الأخضر» دون ثمن وتنازلات مقابلة، حسب مصادر تركية. فموسكو التي وافقت على عملية درع الفرات في جرابلس والباب حصلت على تنازلات تركية في ملفات أخرى تتعلق بالأوضاع في سوريا، والأمر نفسه ينطلق على عفرين حالياً، ويبدو أن المقايضة الروسية لم تتوقف عند الدفع بتركيا نحو إنشاء مزيد من نقاط المراقبة في إدلب في خطوة لدفعها نحو المواجهة مع جبهة النصرة وضبط المجموعات المسلحة هناك، وإنما شملت مطالب جديدة تتعلق بمؤتمري استانا وسوتشي.

وتخشى تركيا مساعي تركية لإفشال العملية ومحاولة استنزاف الجيش التركي هناك، في ظل أنباء عن إدخال قرابة 1000 من الوحدات الكردية إلى مناطق قريبة من عفرين برعاية أمريكية، والأنباء عن احتمال تزويد هذه الوحدات بمضادات طائرات، وغيرها من الأسلحة التي يمكن أن تطيل أمد العملية وتستنزف الجيش التركي.

ورجحت مصادر تركية أن الجيش التركي لا يفكر في الدخول بعملية «تطهير» ضد الوحدات الكردية في عفرين، وربما يفكر في حصار المدينة واستنزاف الوحدات الكردية لدفعها نحو الانسحاب نحو مناطق النظام السوري، أو إضعافها وضمان عدم توسعها أو محاولة وصل مناطق نفوذها بعفرين بمناطق سيطرة الوحدات على الجانب الآخر في منبج.

وسيسعى الجيش التركي إلى حصار المدينة غرباً من هطاي وشمالاً من كليس، وشرقاً من أعزاز، ومن الجنوب سيتم محاصرتها من تل رفعت وإدلب، حيث ينتشر الجيش التركي فعلياً بشكل مباشر عبر قواته أو بشكل غير مباشر من خلال عناصر الجيش السوري على طول حدود المدينة من ثلاثة اتجاهات، حيث يهدف الجيش التركي إلى تجنب الدخول في حرب شوارع مع الوحدات الكردية في المدينة ذات الجغرافيا الصعبة والمساحة الواسعة.

مدرعات تابعة للجيش التركي على الحدود السورية - التركية

تركيا هل ستربح الحرب سياسيا أم عسكريا؟

منهل باريش

أكدت مصادر محلية في كفر جنة لـ"القدس العربي" انسحاب القوات الروسية من معسكر بلدة كفر جنة الذي يعتبر المركز الرئيسي للقوات الروسية في منطقة عفرين والمنطقة التي تسيطر عليها "وحدات حماية الشعب" الكردية. وأكدت المصادر إخلاء نقاط "المراقبة" التابعة للشرطة العسكرية الروسية في مطار منغ العسكري ونقاط أخرى في جوار تل رفعت وصولا إلى منطقة شعالة وخربة الدوير، آخر نقاط سيطرة "الوحدات" غرب مدينة الباب.

وأضاف المصدر أن الجنود الروس "أفرغوا كامل المعسكر ونقلوا حتى الأسرة العسكرية والأغطية"، وتوجه رتل يضم نحو عشر آليات بينها ثلاث ثقيلة وعربات زيل وسيارات والعشرات من عناصر الشرطة. وذكرت وكالة الأناضول التركية أن القوات الروسية توجهت نحو مدينتي نبل والزهراء شمالي حلب الخاضعتين لسيطرة النظام السوري، وأشارت إلى أن "قسما من عناصر الشرطة الروسية مازال موجودا في محيط مدينة عفرين".

وتأتي التحركات الروسية وإعادة الانتشار لقواتها في عفرين بعد يوم من زيارة رئيس الأركان التركي الجنرال خلوصي أكار ورئيس الاستخبارات التركية حقان فيدان إلى موسكو، في محاولة لاطلاع الروس على حدود العملية العسكرية التركية في عفرين وأهدافها.

وأشار وزير الدفاع التركي نور الدين جانكلي، يوم الجمعة، إلى أن "المسؤولين الروس أعلنوا بشكل رسمي ومن أعلى المستويات، أنهم سيسحبون قواتهم في عفرين".

وعن قائد الجيش الثاني التركي قائدا للعملية العسكرية في عفرين، ويتوقع أن عدد الجنود الاتراك الذين سيشاركون في العملية سيصل إلى نحو سبعة آلاف عسكري، إضافة إلى نحو عشرة آلاف مقاتل من فصائل المعارضة السورية في منطقة درع الفرات.

وعلمت "القدس العربي" من مصدر عسكري في منطقة درع الفرات أن فصائل المعارضة تستعد لإرسال نحو ألفي مقاتل على ثلاث دفعات إلى منطقة شمال إدلب، حيث يتمركز الجيش التركي جنوب منطقة عفرين في دارة عزة وجبل الشيخ بركات، في نقاط مراقبة بعد توقيع اتفاق أستانا 6 الخاص بمناطق "خفض التصعيد". وأضاف المصدر: "لم تبلغ عمليات درع الفرات بالذهاب إلى إدلب الآن"، ورجح أن "يكون المحور الأول للهجوم هو عبر الأراضي التركية من جهة الشمال باتجاه عفرين وليس إلى إدلب"، أي محور شنكال ميدان إكيس المواجه لبلدة ديلي عثمان التركية والواقعة على طريق هاتاي– كيليس. ويتوقع أيضا هجوم آخر من محور راجو السورية، وصولا إلى جنديرس جنوبا.

ساعة الصفر لبدء عملية "سيف الفرات" لم يحدد بعد، حيث نوه وزير الدفاع التركي أنه لا يمكنه "الإدلاء بمعلومات عن موعد انطلاق العملية العسكرية على أوكار الإرهابيين في عفرين"، مؤكداً أن بلاده "ستقضي على كل تواجدهم في شمال سوريا".

من جهتها تمنت واشنطن من انقرة "عدم اتخاذ مثل هذه الخطوة". وقالت على لسان المتحدثة باسم وزارة الخارجية، هيثر ناويرت، خلال مؤتمرها الصحافي اليومي: "نحن لا نعرف ما إن كانت تركيا ستجري عملية عسكرية في عفرين أم لا، لأن عيون الجميع يجب أن تكون على داعش".

في فرضيات المعركة يبدو أن مؤشرات الحشود حتى اللحظة وإشراك فصائل "درع الفرات"، يدلل على أن الهدف الأولي هو إبعاد "وحدات حماية الشعب"، والتي تعتبرها أنقرة الذراع العسكري السوري لحزب العمال الكردستاني، عن الحدود التركية المباشرة، وتطويقها داخل الأراضي السورية من الجهتين الشمالية والغربية، بعد أن عززت تركيا قواتها في نقاط المراقبة جنوب عفرين وانتشارها في مناطق درع الفرات شرق عفرين.

عملية "سيف الفرات"، حسب تسمية الجانب التركي، والتي يفترض أن تشمل عفرين ومنبج في الوقت ذاته يبدو أنها ستركز على عفرين حاليا فقط. وقد تحل مسألة مناطق غرب نهر الفرات ضمن تسوية تكون روسيا وإيران طرفا فيها، ومن غير المستبعد أن ينزع فتيل الحرب في عفرين بتسوية بين تركيا وحزب الاتحاد الديمقراطي تتدخل فيها أمريكا نفسها، تنسحب بموجبها "وحدات حماية الشعب" من القرى والبلدات الـ11 والممتدة من تل رفعت إلى غرب مدينة الباب، والتي تقدمت إليها الوحدات وشركاؤها المنضوون تحت ما يعرف بقوات سوريا الديمقراطية "قسد"، خلال حرب تركيا وفصائل درع الفرات على تنظيم «الدولة الإسلامية» العام الماضي.

ورغم تصريحاتها المتواترة والمكثفة على المستويات الرسمية والسياسية كافة، فإن القيادة التركية حذرة جدا في بدء العملية، فالحرب الإعلامية والضغط السياسي الذي تمارسه مازال أقوى بكثير من القصف المدفعي الذي بدأته في الثالث عشر من هذا الشهر بشكل متقطع على محاور عدة باتجاه عفرين. وهو ما يذكر بعملية العسكرية في إدلب قبل ثلاثة شهور بعد تصريحات وتهديد ووعيد، حيث قامت بالاتفاق مع "تحرير الشام" ودخلت دون أي طلقة معها.

تحاول أنقرة التخفيف من خسائرها السياسية بعد أن مضت في اتفاق أستانا مع طهران وموسكو، حيث قام الطرفان بعملية عسكرية شرق إدلب وحماة وسيطرا على نحو 300 بلدة بين جبل عزان وريف حماة الشرقي، فيما بقيت تركيا عاجزة حتى اللحظة عن إبعاد ما تعتبره تهديدا لأمنها القومي. وتدرك أيضا أن الاتفاق مع روسيا وإيران ضعيف للغاية ولا يرقى للشراكة الاستراتيجية كتلك التي بين الطرفين، وتتخوف دون شك من تغير قريب بين الجانبين، وتخشى فقدان هذه الشراكة رغم كونها الطرف الضعيف والأقل حظا. ولا تريد أن تخسر دورها كما خسرت الشراكة الاستراتيجية مع أمريكا، وتصبح بذلك "عدوة" الجميع مع بقاء ما يهدد أمنها القومي جنوب حدودها.

مع كل تلك الحرب الإعلامية يبدو أن تركيا ستفضل حلا سياسيا وتبتعد عن التورط في عملية عسكرية طويلة المدى في منطقة عفرين، التي تعتبر أكثر المناطق الكردية السورية تماسكا قوميا فهي شبه خالية من أي مكون سوى الأكراد السوريين.

عملية عسكرية محدودة تنتهي بحل سياسي لمناطق غرب الفرات قد تكون الخيار الذي تفضله أنقرة، مقابل تأجيل خيار الرصاص إلى مناطق شرق النهر.

مبان مدمرة بالكامل في عفرين

باختصار

فلسطين تشكو إسرائيل لدى «الجنايات الدولية» حول اعتقالات الأطفال

رام الله – أعلن وزير الخارجية والمغتربين الفلسطيني رياض المالكي، أمس السبت، تقديم شكوى للمحكمة الجنائية الدولية حول الانتهاكات الإسرائيلية ضد الأطفال الفلسطينيين، خصص منها حالة اعتقال الطفلة عهد التميمي. ودعا المالكي، في الذكرى الثالثة لبدء فحص الحالة في فلسطين، المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية، فاتو بنسودة، إلى «ممارسة ولايتها القانونية ودون إبطاء، لمنع استمرار الجرائم المرتكبة ضد الشعب الفلسطيني».

واستشهد الوزير الفلسطيني بحادثة «الاعتقال التعسفي» للطفلة عهد التميمي (16 عاما) المحتجزة منذ 19 ديسمبر/كانون أول 2017، معتبراً أنها «مجرد دليل آخر على السياسات والجرائم الإسرائيلية المتمثلة في الحرمان الشديد والتمييز ضد الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وأطفاله».

العبادي ونيجيرفان بارزاني يلتقيان لأول مرة منذ أزمة الاستفتاء

بغداد – بحث رئيس الوزراء العراقي، حيدر العبادي، السبت، مع رئيس إدارة إقليم كردستان، نيجيرفان بارزاني، المشاكل العالقة بين الجانبين، في أول لقاء يجمعهما منذ أزمة الاستفتاء على انفصال الإقليم عن بغداد، الذي أجري في 25 سبتمبر/أيلول الماضي.

وأفاد بيان للحكومة العراقية بأن الجانبين بحثا «مستجدات الأوضاع السياسية والأمنية، وحل الإشكالات بين الحكومة الاتحادية والإقليم، وفق الدستور». ونقل البيان عن العبادي تأكيده على «وحدة وسيادة العراق»، و«أهمية إعادة وتفعيل جميع السلطات الاتحادية في الإقليم، بما فيها المنافذ الحدودية والمطارات».

إعادة فتح مطار معيتيقة الليبي بعد إغلاقه بسبب اشتباكات

طرابلس – أعادت السلطات امس السبت فتح المطار الوحيد الذي كان يعمل في العاصمة الليبية طرابلس بعد خمسة أيام من إغلاقه بسبب اشتباكات دامية أسفرت عن أضرار في عدد من طائرات الركاب.

وبدا أن مطار معيتيقة، الواقع إلى الشرق مباشرة من وسط العاصمة طرابلس، يعمل كالمعتاد إذ شغل الركاب صالات السفر والوصول في المطار. وقال مسؤول في المطار إنه «جرى استئناف كل الرحلات المحلية والدولية». وأضاف «لم ترد تقارير عن أي مشكلات فنية وصار الأمن تحت السيطرة» بعد اشتباكات مسلحة ووقوع ضحايا.

تحرير كنديين وامريكيين خطفوا في نيجيريا

لاغوس – اعلنت الشرطة السبت تحرير أربعة أشخاص هم كنديان وأمريكيان خطفوا الأسبوع الماضي في كمين على طريق في شمال نيجيريا.

وقال مختار عليو المتحدث باسم ولاية كادونا إن الأمريكيين الشماليين الأربعة الذين خطفهم مسلحون مجهولون مساء الثلاثاء «هم جميعا بصحة جيدة» وتولت أمرهم السفارتان الأمريكية والكندية بعد الإفراج عنهم، مشيرا إلى اعتقال شخص يشتبه بأن له صلة بخطفهم.

ورفض المتحدث كشف ظروف الإفراج عنهم لافتا إلى أنها «معلومات سرية».

رئيس وزراء الجزائر: لن أترشح للرئاسة أمام بوتفليقة

الجزائر – قال رئيس الوزراء الجزائري، أحمد أويحيى، امس السبت، إنه لن يدخل سباق الرئاسة، المقرر العام المقبل (2019) في حال ترشح الرئيس الحالي، عبد العزيز بوتفليقة، لولاية خامسة.

جاء ذلك في رد على سؤال خلال مؤتمر صحافي في العاصمة الجزائر، في ختام اجتماع لحزبه، التجمع الوطني الديمقراطي، الذي يشغل منصب أمينه العام.

وأضاف أويحيى «لن أكون مرشحًا ضد الرئيس، وسأكون إلى جانبه إذا ترشح لعهدة خامسة».

وتناقلت وسائل الإعلام المحلية، خلال الأسابيع الأخيرة، تقارير بشأن رغبة أويحيى (65 عامًا) المنافسة على كرسي الرئاسة، في الانتخابات المقررة بين شهري أبريل/ نيسان ومايو/ أيار 2019.

منحاها يزداد تطرفا مع غياب أي مؤشر للتصالح مع قطر

دول الحصار تعزز النهج الرامي لخرق أحكام القانون الدولي والاتفاقيات والمواثيق

الدوحة – «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

دخلت الأزمة الخليجية التي تجاوزت شهرها السابع منعرجا خطيرا مع تجاوز الدول المحاصرة لقطر سقف المحظور، وبلوغها حد احتجاز الأشخاص واستهداف الأعراض، مع استفزاز الدوحة باختراق مجالها الجوي.

التطورات المتسارعة في الأزمة التي تشهدها دول مجلس التعاون الخليجي تؤكد أن منحاها يزداد تطرفا في ظل غياب أي مؤشر للتصالح أو حتى التهدئة وتخفيف حدة الخلاف.

الدوحة أماطت النقاب عن جانب ظل خفيا من أسباب الأزمة، لتساعد على تجميع قطع الدومينو المتناثرة، وتسهل على المتابعين استيعاب بعض ملابسات التصعيد الذي تنتهجه دول الحصار.

وأوضح وزير خارجيتها الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني بلغة مباشرة أن تنمر أبو ظبي يعود سببه منه لخلاف إماراتي قطري يرجع إلى عام 2015 بعد رفض الدوحة تسليم زوجة معارض إماراتي لسلطات أبو ظبي.

وأعلن صراحة إن ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد أرسل مبعوثا إلى أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني لتسليمهم السيدة لكن الدوحة رفضت طلبهم.

واستطرد أن بلاده قالتها بلغة واضحة لمبعوث محمد بن زايد إن المرأة ليست مطلوبة في جرم جنائي وإن تسليمها مخالف للدستور القطري وللقانون الدولي الإنساني وللأخلاق والتقاليد العربية.

وأسهب في الحديث عن قضية المرأة وزوجها منذ غادرا بلادهما – بشكل رسمي– إلى قطر قبل سنوات قليلة، وبعد ذلك سحبت السفارة الإماراتية في الدوحة جواز سفر السيدة، حين أرادت تجديده. وأوضح أن اعتقالات استهدفت معارضين موضحا أن المرأة بقيت بمفردها في قطر في حين غادر زوجها إلى بريطانيا.

الشق الثاني المهم من حديث رئيس الدبلوماسية القطرية يؤدي إلى استنباط تفصيل مهم ومحوري في الأزمة المتصاعدة ويمكن التوقف عنده مطولا. ويتعلق الأمر بلقاء سابق لأمير قطر طرح فيه موضوع زوجة المعارض الإماراتي مع ولي العهد السعودي آنذاك محمد بن نايف بحضور ولي العهد الحالي محمد بن سلمان.

وزير الخارجية القطرية أعلنها صراحة أن محمد بن نايف، المستبعد حاليا من الحكم في بلاده السعودية، أثنى على موقف الشيخ تميم، وأشاد بنبله وأخبره أن بلاده كانت ستقوم بالشيء ذاته لو تعرضت لموقف مماثل.

سلطات أبو ظبي لم تتحمل هذه الصفعة التي وجهتها القيادة القطرية لمحمد بن زايد، ولا استساغ محمد بن سلمان تطابق وجهات نظر غريمه المستبعد من ولاية العهد ومن الحكم محمد بن نايف مع الدوحة.

المتحكمون والمتنفذون والمستأثرون بسلطة القرار في كل من المملكة والإمارات، نسقا بينهما وتداولا الرد على هذا الموقف النبيل والذي اعتبراه تهديدا لرغباتهما لتطويع سلطة القرار في البيت الخليجي.

خيبات الإمارات العربية وتحديدا إمارة أبوظبي لم تتوقف عند هذا الحد، وقبل أن تتجاوز آثار الصفعة التي تلقتها بعد كشف الدوحة لجانب من الخلاف القائم، حتى منيت بفشل جديد.

الحادثة الأولى التي سببت صداعا للإماراتيين بعدما كانوا محل استهجان الخليجيين للتخلي عن قيمة لا يمكن الدوس عليها وهي إجارة الضيف واستقباله وحمايته والدفاع عنه طالما حل على البلد.

موقف الدوحة بإكرام الضيف والذود عنه مهما كان السبب، برفضها التعرض لزوجة المعارض الإماراتي، لم يكن ذاته لسلطات أبو ظبي التي تجاوزت مجددا الأخلاق المتعارف عليها عربيا باحتجازها لضيف قطري نزل عندها وتحت حماية محمد بن زايد.

الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني

القصة تتعلق بتسريب للشيخ عبد الله بن علي آل ثاني أعلن فيه احتجازه من قبل سلطات أبو ظبي بالرغم من كونه ضيفا على ولي عهدها الشيخ محمد بن زايد.

الخطير في تصريح الشيخ عبد الله، الذي قدمته دول الحصار في وقت سابق على أساس أنه بديل للقيادة القطرية، إعلانه أن حياته قد تكون في خطر، وبرأ ذمة الدوحة من أي مكروه قد يتعرض له.

وتشي هذه النقطة بأن الضيف الذي استدعي لأبو ظبي استشعر مؤامرة كانت تحاك في الخفاء لاغتياله ربما أو تعريض حياته للخطر لتوجيه اللوم للدوحة.

الشيخ عبد الله الذي تحلى بالشهامة حاول أن يكون منصفا مع قطر التي تبقى وتظل بالرغم من كل شيء بلده وأهله الذين يخشى عليهم من أي بهتان أو مؤامرة قد تحاك ضدهم في ليل.

وحتى الآن تظل قصة الشيخ مبهمة، خصوصا وأنه لم يصدر منه تصريح واضح حول موقفه من الأزمة بعيدا عما كانت تنشره مخابرات دول الحصار، وتبثه باسمه في مختلف صفحاته التي تم إنشاؤها من قبل فرق الذباب الإلكتروني التي يديرها دليم في الرياض.

أبو ظبي وجدت نفسها مع انتشار الفيديو الواضح البين، والذي لا يمكن نفيه، أو الادعاء بتزييفه، مثلما حاولت بعض الجهات الترويج لذلك في وضع حرج.

وكان الارتباك سيد الموقف في تصريحاتها حيث تراجعت وكالة «الأنباء» الإماراتية عن الخبر الذي بثته بشأن الشيخ عبد الله بن علي آل ثاني، وقالت فيه إنه كان ضيفا على دولة الإمارات وغادرها بناء على طلبه، ثم عمدت الوكالة إلى سحب تغريدتها من موقع «تويتر» بعد وقت قليل من نشرها.

وكان مصدر في الخارجية الإماراتية قال إن الشيخ عبد الله حل ضيفا على الإمارات، وإنه حر التصرف في تحركاته. ولم تجد مجموعات تفكير محمد بن زايد مخرجا مناسبا للورطة التي وقعت فيها بخصوص ضيفها، خصوصا وأن موقف الدوحة كان مشرفا بدفاعها عن الشيخ مهما كان الموقف السابق، وإعلانها «أنها تراقب عن كثب الموقف بشأن التسجيل الذي ظهر فيه الشيخ عبد الله متحدثا عن احتجازه».

المتحدثة الرسمية باسم وزارة الخارجية لولوة الخاطر أعلنت سريعا أن الدوحة تقف من حيث المبدأ مع حفظ الحقوق القانونية لأي فرد، وأن من حق أسرته اللجوء إلى جميع السبل القانونية لحفظ حقوقه.

قضية احتجاز الشيخ القطري، جاءت بعد فترة قصيرة من سقوط سلطات أبو ظبي في مستنقع أفعالها، بإعلان المرشح السابق للانتخابات المصرية أحمد شفيق احتجازه ومنعه من السفر من قبل مقربي محمد بن زايد.

محاولات يائسة

وحاولت سلطات أبو ظبي التغطية على فضائح رجلها المتنفذ محمد بن زايد المتوالية عليها، بالادعاء أن مقاتلات قطرية اعترضت مسار طائراتها المدنية.

ونفت وزارة الخارجية القطرية المزاعم الإماراتية وقالت المتحدثة باسم الوزارة لولوة الخاطر إن هذا الادعاء يأتي بعد يوم من حادثة اختراق طائرة نقل عسكرية إماراتية أجواء قطر. وأشارت إلى أن قطر ستتخذ الإجراءات القانونية اللازمة.

القيادة الأمريكية في قاعدة العديد في قطر أكدت الرواية القطرية ونفت المزاعم الإماراتية بتأكيدها إنها لم تتلق أي تقارير عن اعتراض طائرة مدنية في أجواء الخليج.

وتزامنت القصة مع قيام الإمارات باختراق المجال الجوي لقطر، وتسجيل الدوحة لمقاتلات تجاوزت خطوط الملاحة المفروضة، ولم تلتزم باحترام السيادة القطرية.

واضطرت الدوحة لتسجيل شكوى لدى الأمين العام للأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن الدولي بشأن قيام طائرة نقل جوي عسكرية إماراتية قادمة من مجالها الجوي ومتجهة إلى البحرين، باختراق المجال الجوي لدولة قطر.

واعتبرت قطر، في الرسالة التي تلتها سفيرتها الدائمة لدى الأمم المتحدة، أن تكرار هذه الحادثة واستمرار دولة الإمارات في انتهاك سيادة بلادها وتهديدها لسلامة حدودها وأراضيها، دليل على مضيها في النهج الرامي لخرق أحكام القانون الدولي والاتفاقيات والمواثيق والأعراف الدولية.

وسجلت قطر مؤخرا انتصارات دبلوماسية في ظل الأزمة والحصار المفروضين عليها من جاراتها، بتوثيق تحالفاتها الإستراتيجية مع كل من بريطانيا وحلف شمال الأطلسي «الناتو».

وقال خالد العطية نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدولة القطري لشؤون الدفاع، إن بلاده وبريطانيا اتفقتا على تعزيز التعاون بينهما في المجال العسكري، وتأسيس أسطول عمليات مشترك. وأضاف العطية أن الأسطول المشترك سيعمل على ضمان الجاهزية القتالية وزيادة الإجراءات المشتركة في مكافحة الإرهاب.

وتزامن تصريح العطية مع توقيع بلاده، اتفاقية أمنية مع حلف شمال الأطلسي «الناتو» في مقره في بروكسل لتوفير إطار لحماية تبادل المعلومات السرية بينهما.

وسجلت الدوحة نقلة موفقة في رقعة الصراع الدائر حاليا في المنطقة باختراق ناجح في علاقتها بالبيت الأبيض التي سجلت بعض التوتر بسبب تصريحات سابقة لدونالد ترامب، خالف فيها توجهات السياسة الخارجية لبلاده.

وقال الموفد الأمريكي الأسبق إلى الشرق الأوسط مارتن إنديك في تغريدة على «تويتر» إن الرئيس ترامب لم يعد يتبع الرواية السعودية الإماراتية بشأن قطر.

وأوضح إنديك أن ذلك ربما يأتي لأن دولة قطر تتعاون الآن في مجال مكافحة الإرهاب وتبدي استعدادها للتفاوض بشأن الخلاف بين الدوحة والدول التي تحاصرها.

ونسف دونالد ترامب قبل أيام، آخر خيط كان الثنائي محمد بن زايد ومحمد بن سلمان يتمسكان به في سبيل دفع البيت الأبيض لاتخاذ مواقف عدائية تجاه قطر.

وعبر الرئيس الأمريكي في اتصال هاتفي مع الشيخ تميم بن حمد آل ثاني عن شكره على الجهود القطرية في مكافحة الإرهاب والتطرف بكل أشكاله بما في ذلك كون الدوحة إحدى الدول القليلة التي مضت قدما على صعيد توقيع مذكرة تفاهم ثنائية مع الولايات المتحدة.

ويرتقب أن يعمل الثنائي السعودي الإماراتي معا لاستمالة البيت الأبيض لحلفهما للضغط على قطر، لكن ذلك قد يكلفهما الكثير مع رئيس متطلب جدا ولا يتحرك إلا وفق حسابات ومصالح استراتيجية.

وسوف تتضح قريبا خريطة الطريق في إدارة التوتر الحالي في المنطقة وفق المصالح الجيوسياسية لكل طرف.

حراك دبلوماسي فلسطيني نحو أوروبا في ظل هجمة إسرائيل الاستيطانية وملاحقة المقاومة

الحرب الأمريكية تستهدف «الأونروا» وتجفيف المساعدات

رام الله – «القدس العربي»: فادي أبوسعدي

بعد أن انفض اجتماع المجلس المركزي الفلسطيني وتم الإعلان عن القرارات التي خرج بها، يسعى الفلسطينيون إلى التوجه بقوة إلى القارة العجوز في محاولة لدفعها نحو ممارسة المزيد من الضغط على الولايات المتحدة وإسرائيل خاصة، وأن الموقف الأوروبي كان واضحًا من قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب اعتبار القدس عاصمة إسرائيل برفضه بالإجماع.

لكن المواجهة الفلسطينية من جهة مع الأمريكيين والإسرائيليين على الجهة المقابلة تبدو صعبة للغاية، خاصة وأن ترامب لم يكتف بقرار القدس ونقل سفارة بلاده إليها، وإنما بعد رفض الفلسطينيين لقراره ذهب لمحاربتهم عبر وكالة غوث وتشغيل اللاجئين «الأنروا» باقتطاع الملايين من المساعدات التي كانت تقدمها أمريكا، وحديثًا وقف المعونات الغذائية كذلك.

أما إسرائيل فأعلنت تسريع وتيرة الاستيطان على الأرض بشكل غير مسبوق، وتواصل عمليات الاغتيال والملاحقة والاعتقال للمقاومين الفلسطينيين من جنين شمال الضفة الغربية إلى الخليل جنوبًا.

وأعلن الفلسطينيون وكذلك المجلس الوزاري الأوروبي أن الرئيس محمود عباس سيجتمع مع الممثلة العليا للأمن والسياسة الخارجية فيديريكا موغيريني، وكذلك مع وزراء خارجية الدول الأعضاء في التكتل الموحد الاثنين المقبل في بروكسل.

وسيبحث عباس مع المسؤولين الأوروبيين العلاقات الثنائية والتطورات الإقليمية، ولكن النقطة الأهم تتمحور حول آخر تطورات عملية السلام في الشرق الأوسط، وقرار الرئيس الأمريكي بخصوص القدس. ويسعى الرئيس عباس لحشد مزيد من الدعم العملي له من الجانب الأوروبي، خاصة بعد قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

ورغم أن الأوروبيين قد عبروا علناً عن معارضتهم لقرار ترامب إلا أن الرئيس الفلسطيني يسعى لحثهم على تحويل موقفهم هذا إلى إجراءات فعلية ضد إسرائيل. ولا يزال الأوروبيون متمسكين بموقف مبدئي، مفاده ضرورة استمرار العمل ضمن إطار الرباعية الدولية لإحداث تقدم في العملية السلمية المتعثرة، مع دعم فكرة توسيع إطار الرباعية الدولية لتشمل دولاً عربية مؤثرة في الملف الفلسطيني مثل الأردن ومصر. وتدرس دول ومؤسسات الاتحاد الأوروبي إمكانية زيادة الدعم للسلطة الفلسطينية، مقابل إقناع مسؤوليها بالتعامل بهدوء مع تبعات قرارات ترامب.

أما إسرائيل فتحاول اللعب على أكثر من حبل لصد الحراك الدبلوماسي الفلسطيني. فقد أعلنت إسرائيل على لسان أكثر من مسؤول أنها ستبني مليون وحدة استيطانية خلال عام واحد في كل أنحاء الضفة الغربية والقدس، وهو ما يعني القضاء نهائيًا على ما تبقى من أراض فيها.

وأعلن خليل التفكجي رئيس دائرة الخرائط في جمعية الدراسات العربية أن قرار ترامب ربما أطلق العنان لإسرائيل للمضي قدمًا في مخططاتها. فمشروع 2020 اليهودي نفذ بالكامل، والآن إسرائيل تعمل على مشروع 2050 وهو الأخطر على الإطلاق على الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وحسب الخطوط العريضة المتوفرة عن هذا المشروع، فإنه سيضم مطاراً ضخمًا يسافر منه 35 مليون مسافر ويستقبل 12 مليون سائح، وكذلك مشروع للسكك الحديدية، وفنادق كبيرة، وشبكة طرق. ويرتبط المشروع بشكل كبير في البحر الميت عن طريق السياحة العلاجية، كما يرتبط بمدينة القدس عن طريق السياحة الدينية. وحسب التفكجي فإن إسرائيل تريد من القدس ليس عاصمة لدولتها فقط، وإنما تريدها عاصمة لليهود في كل العالم. وحسب المخطط 2050 فإن إسرائيل ستعمل على مساحة 35 كيلو مترا بعرض عشرين كيلو مترا لتشكل من خلال ما اصطلحت على تسميته «القدس الموحدة» تحت سلطة إسرائيل.

أما الجانب الآخر في الخطة الإسرائيلية فهو الترويج لقوة حركة حماس على وجه الخصوص في الضفة الغربية والقول إنها تسعى لتنفيذ عمليات فدائية ضد أهداف إسرائيلية فيها. وهو تماما ما قاله وزير جيش الاحتلال المتطرف أفيغدور ليبرمان خلال زيارته لجرحى جيش الاحتلال الذين أصيبوا في جنين خلال عملية اغتيال نفذتها قوات الاحتلال.

وقال إن حركة حماس تحاول تنفيذ عمليات في الضفة الغربية وتعمل على فتح ساحات جديدة في جنوب لبنان وتقوية البنية التحتية لديها في لبنان لتهديد إسرائيل. وأعلن أن «إسرائيل تتابع تطور العلاقة بين ممثلي حركة حماس وخاصة صالح العاروري وأمين عام حزب الله حسن نصرالله، وسيكون لكل تطور رد مناسب».

وحذر تيسير خالد، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين من النتائج الكارثية المترتبة على تشجيع الإدارة الأمريكية ودعمها حكومة إسرائيل وتوفير الحماية السياسية والدبلوماسية لها في المحافل الدولية وبما يمكنها من رفع وتيرة مخططاتها الاستيطانية الاستعمارية والتهويدية في الضفة الغربية المحتلة، بما فيها مدينة القدس الشرقية .وأكد أن حكومة إسرائيل تعمل منذ وصول دونالد ترامب واليمين العنصري المتطرف إلى البيت الأبيض على استثمار القيم الاستعمارية والعنصرية المشتركة لكل من الإدارتين في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لفرض المزيد من الوقائع والحقائق على الأرض، التي من شأنها أن تدمر إلى الأبد كل فرص التقدم نحو تسوية سياسية شاملة ومتوازنة للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وذلك بدفع ما يسمى خريطة المصالح المكانية لإسرائيل في «يهودا والسامرة» بتطوير المشروع الاستيطاني الاستعماري في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي: تطوير القدس الكبرى – وبصورة رئيسية شرقا نحو البحر الميت، وتطوير منطقة غور الأردن وتطوير الممرات من الشريط الساحلي إلى غور الأردن.

ودعا تيسير خالد في ضوء هذه المعطيات الإسرائيلية الجديدة إلى التطبيق الفوري لقرارات المجلس المركزي الفلسطيني في دورته الأخيرة وذلك بنقل ملف الاستيطان من جديد إلى مجلس الأمن الدولي ومطالبته تحمل مسؤولياته في دفع إسرائيل إلى احترام قراراته والامتثال لها بما فيها القرار 2334 لعام 2007 وإلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تحت بند «متحدون من أجل السلام» جنبا إلى جنب مع طلب الإحالة إلى المحكمة الجنائية الدولية ودعوة السيدة فاتو بنسودا المدعي العام للمحكمة فتح تحقيق قضائي فوري في جرائم الاستيطان، التي ترتكبها إسرائيل في مدينة القدس ومحيطها وفي بقية محافظات الضفة الغربية المحتلة والشروع دون تردد أو مماطلة بمساءلة ومحاسبة المسؤولين عن هذه الجريمة سواء في الكنيست الإسرائيلي أو الحكومة أو جهاز القضاء أو غيرها من المستويات السياسية والأمنية والعسكرية وجلبهم إلى العدالة الدولية.

السعودية تتدخل ميدانيا لوقف عبث القوات الإماراتية في جنوب اليمن ووقف التوتر بين أبوظبي ومسقط في المهرة

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

ذكرت مصادر سياسية أن المملكة العربية السعودية قررت أخيرا التدخل الميداني في اليمن لوضع حد لما وصف بالتدخلات الإماراتية في الشأن اليمني، وبالذات في محافظات الجنوب.

وقال مصدر سياسي رفيع لـ «القدس العربي» إن «الرياض شعرت بالقلق البالغ من التحركات المثيرة للجدل للقوات الإماراتية في الأراضي اليمنية، وبالذات في المحافظات الجنوبية ولذلك ربما قررت مؤخرا التدخل الميداني لحسم هذا التدخل».

وأوضح أن التدخل السعودي الميداني في اليمن شمل حتى الآن إرسال قوات عسكرية سعودية إلى محافظة المهرة، الحدودية مع عمان، والإشراف السعودي المباشر على الأداء الاقتصادي للحكومة اليمنية، بعد قيام المملكة بإيداع مليارى دولار أمريكي كوديعة في حساب البنك المركزي اليمني لدعم الاقتصاد اليمني ووقف انهيار العملة المحلية الريال.

وكشف أن «القوات السعودية التي أرسلتها الرياض إلى محافظة المهرة، يبدو أن الهدف الرئيسي منها أولا الحفاظ على محافظة المهرة بعيدا عن النفوذ الإماراتي الذي سيطر على مجمل المحافظات الجنوبية، بما فيها التي كانت محسوبة على الرياض تاريخيا، مثل محافظة حضرموت، وثانيا الحيلولة دون وقوع أي توتر محتمل مستقبلا بين القوات الإماراتية والعمانية في محافظة المهرة، التي تحظى برعاية عمانية واهتمام خاص من قبل سلطنة عمان الحدودية لليمن».

وكان مسؤول حكومي محلي في محافظة المهرة أعلن قبل يومين أن قوة سعودية وصلت، الخميس، إلى ميناء نشطون في محافظة المهرة لتنفيذ خطة أمنية ضمن جهود مكافحة عمليات التهريب عبر الميناء البحري الوحيد لمحافظة المهرة.

وقال سكرتير محافظ المهرة بدر كلشات إن «القوة السعودية وصلت بحرًا إلى ميناء نشطون في محافظة المهرة، وهي مكونة من أفراد وآليات ومعدات وأجهزة عسكرية، وإن وصول تلك القوة يأتي في إطار دعم جهود قوات خفر السواحل والأمن لمكافحة عمليات التهريب».

وأوضح أن وصول القوات السعودية إلى المهرة سيشمل أيضا تدريب قوات أمنية محلية من أبناء محافظة المهرة على إنشاء مراكز ونقاط عسكرية على السواحل لقوات خفر السواحل، والعديد من المهام الأمنية الحديثة وأن «الخطوة تأتي بالتنسيق بين الحكومة اليمنية وقوات التحالف العربي بقيادة السعودية والسلطة المحلية في محافظة المهرة».

وتزامن مع وصول القوات العسكرية السعودية إلى المهرة وصول مساعدات عينية لها من ضمنها مساعدات طبية ومعدات تنموية وخدماتية لسكان المحافظة المترامية الأطراف، والتي تتمتع بمساحة شاسعة وعدد سكان قليل، وتقع في منطقة نائية بعيدة عن كل نقاط الصراع.

وكان السفير السعودي إلى اليمن محمد آل جابر قام خلال الأيام الثلاثة الماضية بزيارة هي الأولى من نوعها إلى محافظة عدن منذ تحريرها في صيف 2015 من قبل قوات المقاومة الشعبية المدعومة من القوات الإماراتية.

وأعلن السفير السعودي في تغريدات يومية عن زيارته لمحافظة عدن أنه زار كلا من قيادة وقوات التحالف العربي المستقرة في محافظة عدن، والاطلاع على أوضاعها والمهام التي تقوم بها هناك، والتي تتكون أغلبها من القوات الإماراتية.

وأوضح أنه التقى قيادات القوات العسكرية وقيادات الأجهزة الأمنية اليمنية، ومحافظي عدن ولحج والضالع وأبين وتعز والحديدة. ونسب إلى وزير الداخلية اليمني قوله «إن الوضع الأمني في المحافظات الخاضعة للشرعية مستقر».

كما بقيادات منظمات المجتمع المدني في عدن وعقد اجتماعا مع رجال المال والأعمال في الغرفة التجارية بعدن، للاطلاع على الحركة التجارية والاقتصادية في محافظة عدن وقام بزيارة ميدانية لميناء عدن واطلع على نشاطها الملاحي والتجاري.

وقال آل جابر في إحدى تغريداته «التقيت برئيس الغرفة التجارية ونائبه ومجموعة من رجال الأعمال اليمنيين وأبدوا تفاؤلهم لتحسن الوضع الاقتصادي وزيادة حجم الواردات لموانئ المخا وعدن والمكلا».

ونشر آل جابر صورة له وهو داخل مروحية عسكرية تابعة لقوات التحالف العربي فوق أجواء عدن، في إطار جولته التفقدية لمحافظة عدن، والتي رافقها بتعليق «جولة مع أبطال التحالف فوق عدن الآمنة. ولن تثنينا ميليشيا الحوثي ومن خلفها إيران عن تحقيق ذلك».

وذكر السفير السعودي لدى أنه «في عدن برفقة مجموعة من الخبراء والمهندسين السعوديين للقاء رئيس الوزراء اليمني وأعضاء حكومته للتشاور ومناقشة خطة العمليات الإنسانية الشاملة في اليمن»، حسب إحدى تغريداته.

وعلّق العديد من المراقبين على التحركات المفاجئة وغير المسبوقة للسفير السعودي في العاصمة المؤقتة للحكومة اليمنية عدن بهذه الطريقة بأنه أصبح يلعب دور (المندوب السامي) السعودي والحاكم الفعلي لعدن، في ظل تقاعس الحكومة الشرعية اليمنية أو تغوّل القوات الإماراتية في مفاصل سلطاتها والعبث بها.

واشاروا إلى أن هذه التحركات السعودية ربما جاءت بعد وصول الجانب السعودي إلى قناعة بضرورة (كسر جدار الصمت) عما يجري في عدن من قبل القوات الإماراتية وعلى ضرورة التدخل السعودي المباشر للإشراف على كل مجريات الأمور في محافظة عدن وفي بقية محافظات الجنوب، «قبل أن تخرج الأمور عن سيطرتهم» على حد تعبير أحدهم.

موعد الانتخابات والميزانية يقسّمان سياسيي العراق

بغداد – «القدس العربي»:
مصطفى العبيدي

موقع العمل الإرهابي الذي ضرب العاصمة العراقية الاسبوع الماضي

تتصاعد أجواء التوتر والخلافات السياسية مصحوبة بعودة التفجيرات الإرهابية في المشهد العراقي لتعكس صراعا مبكرا وشرسا على الانتخابات والميزانية بين القوى السياسية المتصارعة على السلطة.

فقد عاد هذا الأسبوع سيناريو التفجيرات الإرهابية التي ضربت العاصمة العراقية بغداد واستهدفت أماكن تجمعات المواطنين في شوارع المدينة لتوقع المزيد من المدنيين بين قتيل وجريح ولتبعث رسائل سياسية واضحة بينها محاولة التشكيك بقدرة الحكومة على ضبط الأوضاع الأمنية، وتأكيد استمرار نشاط تنظيم «الدولة» الإرهابي رغم إعلان القضاء على «دولته» إضافة إلى اتهامات بوقوف قوى سياسية خلفها، كتعبير عن تصاعد الخلافات السياسية حول موعد الانتخابات والميزانية الاتحادية.

وجاءت تفجيرات ساحة الطيران وساحة عدن المزدحمتين إضافة إلى هجمات إرهابية في صلاح الدين وديالى لتطلق العنان لبعض القوى السياسية والشخصيات الدينية لشن انتقادات عنيفة ضد الحكومة والأجهزة الأمنية بحجة التقاعس عن حماية سكان بغداد من الإرهاب، وذلك بالرغم من دعوة العبادي للأجهزة الأمنية بملاحقة الخلايا النائمة وشن حملات أمنية ضدهم في أماكن عدة وهو ما تفعله باستمرار.

وعقب إعلان مفوضية الانتخابات عن التحالفات الانتخابية التي بلغت 27 تحالفا تضم أكثر من 140 حزبا وكيانا سياسيا، فقد قوبلت التحالفات بانتقادات شعبية ودينية لاذعة حول طبيعة التحالفات التي اعتبروها تكرارا للوجوه والقوى نفسها.

وقد انتقد زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر تحالف رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي وائتلاف الحشد الشعبي، واصفا الاتفاق بـ»البغيض والطائفي المقيت» ومقدما عزاءه للشعب العراقي لهذه الاتفاقيات السياسية، ومشددا على عدم دعمه سوى القوائم العابرة للمحاصصة.

إلا أن أعنف هجوم على الانتخابات والأحزاب فيها جاء من المرجع الديني جواد الخالصي، الذي دعا إلى عدم المشاركة في الانتخابات مؤكدا أنها أكثر زيفاً وخداعاً من سابقاتها، ووصف من يشارك فيها بأنه «أحمق وجاهل وآثم قطعاً أمام الله تعالى» وأنه يخون العراق خيانة عملية. واعتبر النائب عن الحزب الديمقراطي الكردستاني ماجد شنكالي التحالفات بأنها «تعطي صورة واضحة على أن سطوة إيران وقوتها وهيمنتها على القرار في المشهد العراقي ستبقى ظاهرة خلال المرحلة المقبلة».

وبينما طرحت بعض القوى خيارات لموعد الانتخابات كإعلان حالة الطوارئ أو اللجوء إلى المحكمة الاتحادية، قدم تحالف القوى السنية بشكل رسمي مقترحا للبرلمان لتأجيلها لمدة سنة أو ستة أشهر، بسبب ظروف المحافظات المحررة وضرورة إعادة ملايين النازحين وإعمار مدنهم قبل الانتخابات، وسط إصرار التحالف الشيعي على إجرائها في موعدها. ويعتقد الكثير من المراقبين أن إصرار التحالف الشيعي على إجراء الانتخابات رغم معارضة القوى السنية، هو تكرار لسيناريو انتخابات 2005 عندما حذرت القوى السنية بعدم المشاركة إذا هاجمت القوات الأمريكية والحكومية مدينة الفلوجة، فتم تنفيذ الهجوم وقاطع الجمهور السني الانتخابات، وحقق التحالف الشيعي الكردي الأكثرية في البرلمان والحكومة.

وفي تطورات الأزمة بين بغداد والإقليم يبدو أن تبادل الوفود بينهما لبحث المشاكل أسفر عن تقارب مقبول في بعض النقاط مثل رواتب الإقليم وإدارة المطارات مع استمرار الخلافات حول نقاط اخرى منها تسويق النفط وإدارة المنافذ الحدودية. ووصف رئيس وزراء إقليم كردستان نيجيرفان بارزاني اجتماعات الوفود الفنية، بـ»الإيجابية» معبرا عن الأمل في حل جميع المشاكل بينهما. كما أعلنت وزارة الداخلية، عن اجتماع «مثمر» جمع وفدي داخلية حكومتي الإقليم وبغداد مشيرة إلى أن «وفد الإقليم أبدى تفهما واضحا واستجابة للدستور العراقي والقوانين».

وفي مؤشر على بدء انفراج الأزمة، قررت الحكومة العراقية إعادة التعاملات المالية مع مصارف إقليم كردستان العراق، ضمن جهود رفع عقوبات بغداد على الإقليم بعد الاستفتاء إلا أنه من ناحية أخرى رفضت الكتلة الكردية في البرلمان الاتحادي تمرير قانون ميزانية 2018 بسبب تخفيض حصة الإقليم فيها كما اعترضت على فقرة كركوك في قانون الانتخابات.

وكان وزير الخارجية الأمريكي، ريكس تيلرسون، حث حكومة الإقليم على بذل مزيد من التعاون مع الحكومة الاتحادية لتجاوز الأزمات، مؤكداً استعداد واشنطن لدعم الحوار بين بغداد وأربيل، بينما جدد الاتحاد الأوروبي تحفظه على طلب الأكراد «وساطة» من تركيا لحل الأزمة، مؤكدا أن الطرفين قادران على حل خلافاتهما من دون تدخل طرف خارجي.

واقتصاديا أكد مستشار الشؤون المالية لرئاسة الوزراء، مظهر محمد صالح، أن «استمرار ارتفاع أسعار النفط العالمية حاليا، سيعوض ما خسره العراق خلال الأعوام الأربعة الماضية» وهو الأمر الذي أنعش الآمال بأن الموارد المالية الإضافية ستساهم في سد العجز في الميزانية وتمكين الحكومة من تقديم الخدمات الضرورية المعطلة وخاصة في المحافظات المحررة المدمرة.

ويلاحظ المراقبون للمشهد العراقي أنه مع تصاعد حمى المنافسة الانتخابية فإن بعض القوى السياسية (من الشيعة والكرد والسنة) تسعى لخلق المشاكل في الجوانب الاقتصادية والأمنية والسياسية لحكومة العبادي بهدف إحراجها أمام الشعب وتوجيه الانتقادات لعملها لكسر نشوة الحكومة بعد الانتصار على تنظيم «داعش» والحفاظ على وحدة البلد، وذلك لإضعاف حظوظ العبادي في الانتخابات المقبلة، وهو الأمر الذي يترك آثارا سلبية على أوضاع المواطنين.

لبنان: بعد سنتين على تفاهم معراب
محاولات حثيثة بين التيار والقوات لمنعه من السقوط

بيروت – «القدس العربي»:
سعد الياس

البرلمان اللبناني

نشطت منذ أيام اللقاءات بين حزب القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر، وشوهد أمين سر تكتل التغيير والإصلاح النائب إبراهيم كنعان ووزير الإعلام ملحم الرياشي معاً مرتين في معراب مع رئيس حزب القوات سمير جعجع ومرة في مركز التيار في سن الفيل مع رئيس التيار الوطني الحر الوزير جبران باسيل.

وتأتي هذه اللقاءات في مناسبة الذكرى السنوية الثانية على تفاهم معراب الذي رشّح جعجع بموجبه الجنرال ميشال عون إلى رئاسة الجمهورية، وحملت رسالة بأن تفاهم معراب صامد رغم الإشكالات والهزّات التي حصلت منذ تشكيل الحكومة الحالية بين القوات والتيار وحملت البعض على الحديث عن سقوط هذا التفاهم بين أكبر حزبين مسيحيين.

واللافت أن النائب كنعان أكد بعد الزيارة الثانية إلى معراب لمناسبة توقيع التفاهم في 18 كانون الثاني/يناير 2015 «أن هذه المصالحة باقية، فهي استراتيجيّة وتتخطى التنافس والتحالف وهي عملياً ليست مطلب الحزبين فقط بل مطلب المسيحيين كافة بمن فيهم أولئك الذين تتنافس معهم اليوم باعتبار أنها تريح الأجواء في المجتمع ناهيك بأن المصالحة مطلب وطني أيضاً تؤمن التوازن والاستقرار السياسي في البلاد».

وكانت العلاقة بين التيار والقوات شهدت أكثر من انتكاسة على خلفية تباين في وجهات النظر من بعض الملفات من بينها التعيينات واتهام القوات للتيار بالاستئثار بهذه التعيينات في أكثر من قطاع كالتشكيلات الدبلوماسية والقضائية وتعيينات مجلس إدارة كازينو لبنان. وبرز تباين حول تعيين رئيس مجلس إدارة تلفزيون لبنان حيث لجأ وزير الإعلام إلى آلية لاختيار رئيس مجلس الإدارة الجديد للتلفزيون اعتبرها الرئيس عون بمثابة «تفتيحة» خصوصاً أنه يعود لرئيس الجمهورية آمر اختيار مدير عام التلفزيون إضافة إلى مدير الوكالة الوطنية للإعلام. وترجم الخلاف حول هذا الأمر بالامتناع عن إدراج بند التعيينات على جدول أعمال جلسة مجلس الوزراء الذي كان يطالب به رياشي.

الإشكال الأخير بين التيار والقوات تمّ على خلفية اعتراض وزراء القوات مع وزراء حركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي على مناقصة بواخر الكهرباء التي أعدّها وزير الطاقة سيزار أبي خليل المنتمي إلى التيار والذي ترافق مع تشكيك بوجود فساد أو سمسرة في مكان ما تحيط بالملف، بأسبل زميله رياشي في وجه وزير الحزب السوري القومي الاجتماعي علي قانصو قائلاً «هل ستوقفون كل الأفلام في لبنان وتقفلون كل صالات السينما وتتوقّفون عن شرب الستارباكس والكوكا كولا ؟»

وفي ضوء عودة الحرارة إلى خط القوات والتيار ثمة من يسأل هل يمكن أن تتيح هذه الاتصالات قيام تحالف انتخابي بين الحزبين؟

عن هذا السؤال تجيب أوساط القوات والتيار – «القدس العربي» بأن كل الاحتمالات واردة ولكن النظام النسبي قد يفرض لا يكون التيار والقوات على لائحة واحدة في بعض الدوائر لأن في ذلك مصلحة مشتركة للطرفين من أجل حصد أكبر عدد من المقاعد النيابية».

ومن الآن حتى موعد الانتخابات ستُستكمل المحادثات بين الطرفين لتثبيت التفاهم الذي لم يكن تفاهماً عابراً بل صنع تغييراً في لبنان للمرة الأولى وأسهم في إيصال رئيس مسيحي قوي وفي خلق ديناميكية سياسية جديدة فتح الطريق نحو إعادة الجمهورية وفتح الطريق امام عودة الرئيس سعد الحريري إلى رئاسة الحكومة. وحسب النائب العربي «لا وجود لأي ملف محرّم علينا في هذه المحادثات وسنقوم بتثبيت مكامن التفاهم ووضع الأسس وطريقة العمل حيث نختلف كي لا تصبح هذه المواد الخلافية متفجّرة أو تتوسع لتطال ملفات أخرى».

السيسي يجري تغييرات في المخابرات العامة
بالتزامن مع فتح باب الترشح للرئاسة

القاهرة – «القدس العربي»:
تامر هنداوي

جاءت الإقالة المفاجئة لمدير جهاز المخابرات المصري وتكليف مدير مكتب الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لتسيير أعمال الجهاز لحين اختيار مدير جديد ليفتح باب الجدل حول أسباب الإقالة التي جاءت قبل أيام من فتح باب الترشح لانتخابات الرئاسة المقررة في شهر مارس/ آذار المقبل.

يأتي ذلك قبل أيام من تكليف اللواء عباس كامل، عندما تواترت أنباء عن إقالة اللواء خالد فوزي وعدد من وكلاء الجهاز، ما يفتح الباب للتساؤل حول أسباب هذا التغيير في أحد أهم الأجهزة السيادية في مصر.

وحسب خبراء فإن إقالة فوزي تعود لثلاثة 3 أسباب تتعلق بالتعثر في ملف المصالحة الفلسطينية الذي كان يشرف عليه، إضافة إلى سبب مرتبط بالإعلام وإخفاقه في توظيف الإمكانات التي أتيحت له والإنفاق الزائد الذي ونص المادة 146 على: «يكلف رئيس الجمهورية رئيساً لمجلس الوزراء، بتشكيل الحكومة وعرض برنامجه على مجلس النواب، فإذا لم تحصل حكومته على ثقة أغلبية أعضاء مجلس النواب خلال ثلاثين يوماً على الأكثر، يكلف رئيس الجمهورية رئيسا لمجلس الوزراء بترشيح من الحزب أو الائتلاف الحائز على أكثرية مقاعد مجلس النواب، فإذا لم تحصل حكومته على ثقة أغلبية أعضاء مجلس النواب خلال ثلاثين يوماً، عُد المجلس منحلاً ويدعو رئيس الجمهورية لانتخاب مجلس نواب جديدا خلال ستين يوماً من تاريخ صدور قرار الحل.

الرجل القوي

وشغل اللواء عباس كامل منصب مدير مكتب الرئيس عبد الفتاح السيسي، ومن قبله كان مدير مكتبه في وزارة الدفاع بعد تدرجه في الوظائف في جهاز المخابرات الحربية.

ويمثل عباس كامل، الرقم الأصعب في معادلة الحكم في مصر، للدرجة التي دفعت البعض لوصفه بأنه الحاكم الفعلي في البلاد، وفي الوقت الذي تحوّل فيه منصب رئيس ديوان رئيس الجمهورية، الذي يتولاه في الوقت الراهن اللواء أركان حرب مصطفى شريف إلى منصب شرفي داخل مؤسسة الرئاسة بات منصب مدير مكتب الرئيس هو الأهم والأبرز، خصوصاً بعدما تحول كامل إلى ظل للسيسي يتبعه أينما تحرك، ويجلس إلى جواره على كل طاولات المشاورات واللقاءات الرسمية في مصر والعواصم العالمية.

وظهر اسم كامل، للمرة الأولى، في تسريب التسجيل الصوتي لحوار رئيس تحرير صحيفة «المصري اليوم» مع السيسي الذي كان حينها وزيراً للدفاع، إذ وجّه رزق سؤالا للسيسي بشأن عدد ضحايا فض اعتصام رابعة العدوية، فقال له السيسي «اسألوا عباس».

وتوالت بعد ذلك التسريبات التي أظهرت حجم ونفوذ عباس كامل الذي كان مجرد مدير مكتب السيسي حين كان الأخير مديراً للاستخبارات الحربية، ولم يترك السيسي رجله الأقرب حين تم تعيينه وزيراً للدفاع فاصطحبه أيضاً إلى المقر الجديد في الأمانة العامة لوزارة الدفاع في العباسية.

ومع استعداد السيسي للانتقال إلى قصر الاتحادية لتولي مهام رئيس الجمهورية بعد انتخابات الرئاسة التي أجريت منتصف عام 2014 كان أول قراراته الجديدة إعادة تشكيل مؤسسة الرئاسة التي كانت أبرز خطواتها تولي عباس كامل منصب مدير مكتب الرئيس.

وكان الظهور العلني الأول لعباس كامل في قضية «التخابر مع قطر»، حيث استعمت محكمة جنايات القاهرة برئاسة محمد شيرين فهمي إلى شهادته بصفته رئيس لجنة فحص الأحراز في القضية المتهم فيها الرئيس الأسبق محمد مرسي و10 من قيادات الإخوان بتهمة تسريب وثائق الأمن الوطني لقطر.

وحضر «كامل» بصفته رئيس لجنة الخبراء التي وضعت تقريرها عن أحراز القضية فيما يتعلق بمستندات الأمن القومي المرسلة لمرسي بصفته رئيس الجمهورية الأسبق، إلى مقر المحكمة في حراسة. وذكر «كامل»، في شهادته، أنه أثناء الفحص وعمل اللجنة تبين عدم وجود دفاتر لتسجيل أي مكاتبات واردة من الجهات السيادية إبان فترة تولي المتهم الأول محمد مرسي رئاسة الجمهورية.

وقال وقتها: «الثابت لدى عمل اللجنة أن كل المكاتبات الخاصة بالمخابرات العامة والداخلية كانت ترد في مظاريف مغلقة، لكني لم أجد تلك المظاريف لتتم معرفة أرقام الصادر والوارد لها، وما ثبت في الدفاتر خلال تولي مرسي الرئاسة المكاتبات العادية المتداولة بين الرئاسة والجهات الأخرى، أما مكاتبات الجهات السيادية لم تسجل بأي دفتر نهائيًا».

وأضاف: «استعلمنا من الجهات المرسلة مثل المخابرات العامة والرقابة الإدارية الخطابات التي كانت ترسل للرئاسة وأرقام تلك المكاتبات وتواريخها وأدرجنا ذلك في تقريرنا»، مشددًا على أن اللجنة تأكدت من خلال فحص الأحراز أن المكاتبات التي تحمل تلك الأرقام وتاريخ إرسالها هي الأوراق نفسها المحرزة بالقضية.

معركة التوكيلات

في هذه الأثناء أعلن الفريق سامي عنان، رئيس أركان القوات المسلحة المصرية الأسبق، اعتزامه الترشح في انتخابات الرئاسية المقررة في شهر مارس/ آذار المقبل، عبر فيديو نشره على صفحته الرسمية، عبر موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك». وتحدث عنان عن تشكيل نواة فريق رئاسي مدني تضم المستشار هشام جنينه الرئيس السابق للجهاز المركزي للمحاسبات، كنائب لشؤون حقوق الإنسان وتعزيز الشفافية وتفعيل الدستور، والدكتور حازم حسني أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة نائبا لشؤون الثورة العرفية والاقتصادية ومتحدثا باسم الحملة.

وانتقد عنان في كلمته سياسات نظام السيسي مؤكدا أنها أدت إلى توطن الإرهاب في مصر وتردي الأوضاع المعيشية، فضلا عن تآكل قدرة الدولة المصرية عن التعامل مع ملفات الأرض والمياه والثروة البشرية.

واعتبر أن سياسات السيسي حملت القوات المسلحة وحدها عبء المواجهة دون سياسات رشيدة تمكن القطاع المدني في الدولة من القيام بالدور المنوط به لمساندة القوات المسلحة.

ودعا عنان إلى بناء نظام سياسي ديمقراطي يؤمن الحقوق ويحافظ على قيم النظام الديمقراطي ويؤمن بالتعددية ويدير التنوع والاختلاف ويحترم إرادة وكرامة الشعب.

وتابع عنان: «أدعو مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية للوقوف على الحياد إزاء جميع من قرروا الترشح وعدم الانحياز لرئيس قد يغادر منصبه خلال أيام، فهو من الآن مجرد مرشح محتمل للرئاسة»، في إشارة إلى السيسي.

إلى ذلك أعلن السيسي عزمه الترشح في الانتخابات بعد حصوله على تزكية أكثر من 500 برلماني، فيما أعلن مؤيدوه أنهم جمعوا مئات الآلاف من التوكيلات الشعبية، في وقت تتهم المعارضة السيسي ومؤيديه بإجبار الموظفين واستخدام سماسرة انتخابات وتقديم رشاوى للمواطنين الفقراء لتحرير توكيلات.

وحذّر سامي بلح، الأمين العام لحزب مصر العروبة الديمقراطي، مما وصفه بـ»خدعة بعض موظفي مكاتب الشهر العقاري في بعض المحافظات الذين يقدمون نسخة التوكيل الخاصة بالحفظ للمواطن، بدلا من النسخة الأخرى، التي تحدد تأييد المواطن لمن يرغب في ترشحه، وهي النسخة المفترض تقديمها للجنة الخاصة بتلقي توكيلات انتخابات الرئاسة».

ونفى حزب الحركة الوطنية المصرية، الذي يترأسه الفريق أحمد شفيق، رئيس مجلس الوزراء الأسبق، دعمه الفريق سامي عنان، رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق، الذي أعلن ترشحه لانتخابات الرئاسة.

وقال المتحدث الرسمي للحزب في بيان، إن «شفيق» ليس له أي حملات ولا علاقة له» أو للحزب بأي حملات، وإن موقف الحزب النهائي من انتخابات الرئاسة لم يتحدد بعد وسيكون قرارا مؤسسيا، عقب غلق باب الترشح لاختيار المرشح الأمثل والأفضل لمصر خلال المرحلة الراهنة بما يدعم خيارات الشعب المصري، بينما واصلت حملة المرشح المحتمل خالد علي مناشدة المواطنين لتحرير توكيلات لمرشحهم، ووجهوا رسائل للمحافظات التي يسعون لجمع التوكيلات الشعبية من مواطنيها، دعوهم فيها لتحرير توكيلات لخالد علي حتى لو لم يرغبوا في منحه أصواتهم في الانتخابات.

وكان أشار إلى احتمال عدم تمكنه من جمع التوكيلات المطلوبة، وقال في المؤتمر الصحافي الأخير الذي عقده الأربعاء الماضي، إنه «سيتحمل المسؤولية الكاملة حال الفشل في جمع التوكيلات» مضيفا: «إما أن ننجح معا أو أفشل أنا وأتحمل المسؤولية بمفردي».

في هذه الأثناء وافقت الهيئة الوطنية للانتخابات برئاسة المستشار لاشين إبراهيم على طلبات 4 من منظمات المجتمع المدني المصرية لمتابعة الانتخابات الرئاسية 2018.

وتضمن القرار رقم 25 لسنة 2018، المنشور في عدد الجريدة الرسمية أمس، أسماء المنظمات الأربعة وهي، مؤسسة مصر السلام للتنمية وحقوق الإنسان المشهرة برقم 2410 لسنة 2017، ومؤسسة ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان المشهرة برقم 3166 لسنة 2005، ومؤسسة شركاء من أجل الشفافية المشهرة برقم 9729 لسنة 2014، وجمعية المنظمة المصرية لحقوق الإنسان المشهرة برقم 5220 لسنة 2003.

ونبه القرار على إخطار منظمات المجتمع المدني المقبولة لمتابعة الانتخابات الرئاسية.

وكانت داليا زيادة، رئيسة المركز المصري لدراسات الديمقراطية الحرة، كشفت في تصريحات صحافية عن استبعاد أكثر من 30 منظمة حقوقية لمراقبة الانتخابات، جاء أبرزها الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، ابن خلدون، مؤسسة المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، مركز الحقوقي للمحاماة والقانون، الشبكة العربية للحقوق، المبادرة الشخصية لحقوق الفردية، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، مركز النديم، المركز المصري لدراسات السياسة العامة.

حدث الأسبوع

احتجاجات تونس: أزمة عابرة أم ثورة جديدة؟

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

تشهد تونس حالة من الاحتقان بسبب غلاء المعيشة الذي استهدف في الأساس الطبقتين الوسطى والفقيرة، وقضى على القدرة الشرائية للمواطن. وحجبت هذه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، النجاحات التي تحققت في المجال السياسي وكذا على المستوى الأمني بعد أن عاد الهدوء والاستقرار بعد 2014 ليطغى على المشهد بعد سنوات عجاف تلت الثورة مباشرة.

وقد كان قانون المالية لسنة 2018 الذي رفع ضريبة القيمة المضافة، القطرة التي أفاضت الكأس والشرارة التي أشعلت لهيب الاحتجاجات الاجتماعية التي عرفتها مدن تونسية عديدة. فلا يبدو أن شيئا تغير في تونس منذ أحداث كانون الثاني/يناير 1978 التي عرفت بـ«أحداث الخميس الأسود» وأحداث الخبز في الشهر نفسه من سنة 1984 التي عجلت برحيل نظام بورقيبة بعد سنوات معدودات، وأحداث الشهر ذاته من سنة 2011 والتي أطاحت بنظام زين العابدين بن علي.

لم تتحقق مطالب الشباب العاطل عن العمل والجهات الداخلية المحرومة من التنمية ومن مقومات العيش الكريم طوال كل هذه السنوات رغم المحاولات من هذا الطرف أو ذاك خصوصا قبل «الثورة». فالكل كان يجنح إلى الحلول الترقيعية والمؤقتة والظرفية دون معالجة المشكلة من جذورها، بما في ذلك أولئك الذين تسلموا مقاليد الحكم بعد «الثورة» حيث حققوا مطالبهم السياسية وتناسوا المطالب الاجتماعية التي لولاها لما وصلوا إلى سدة الحكم.

وعادة ما تحيد المطالب الاجتماعية العادلة في تونس عن مسارها وتتحول إلى أعمال نهب وتخريب بفعل مندسين، فتذهب المطالب سدى في خضم ذلك ويتحول الحديث إلى ضرورة حماية الممتلكات والضرب على أيدي العابثين بالأمن والاستقرار. ولم تشذ هذه الاحتجاجات عن القاعدة بفعل دخول عناصر تتحرك ليلا وفي جنح الظلام استغلالا للأوضاع الاستثنائية لممارسة أعمال السلب والنهب فيحسبون في النهاية على المحتجين ويسيئون إلى الحراك الاجتماعي.

عدم ثقة

وفي هذا الإطار يقول محمد جويلي أستاذ علم الاجتماع في الجامعة التونسية لـ«القدس العربي» أنه يمكن أن نسمي ما حصل في تونس بـ« قفة الغضب» أي الاحتجاجات التي قامت على خلفية الزيادة في أسعار عديد المواد الاستهلاكية مع زيادة أخرى تتعلق برفع القيمة المضافة في قانون المالية الذي دخل حيز التنفيذ مع بداية السنة. ويرى أن الظاهر هو غلاء المعيشة وهو العنوان الذي يمكن أن نصف به ما حصل، ولكن مع ذلك، وفي رأيه، هناك رأسمال عاطفي يتشكل منذ سبع سنوات مضمونه عدم الثقة في المناخ العام الذي تعيشه تونس وخوف مما ستؤول إليه الأمور في المستقبل وفقدان البوصلة التي تحدّد الإتجاه العام للدولة.

ويضيف: «إن ما حدث في تونس هو احتجاج على الطبقة السياسية التي وعدت ولم تف بوعودها الانتخابية، هو أيضا احتجاج على أدائها المحتشم عندما تظهر أمام الرأي العام عبر قنوات التواصل المختلفة، هو أيضا إحباط من وضع يتغلغل فيه الفساد بالرغم من الإجراءات الأخيرة التي قامت بها الحكومة بالضرب على بعض رموزه. أغلب الاحتجاجات الاجتماعية في العالم تتحول إلى عمليات تخريب ولو بدرجات مختلفة وقد حصل هذا في عنف الضواحي في باريس مثلا وفي بعض الدول الأوروبية، وتتحول الاحتجاجات إلى عمليات تخريب عندما تكون الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني غير قادرة على تأطير هذه الاحتجاجات ومرافقتها».

فشل

ويعتبر الجويلي أن الاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة أثناء الاحتجاجات لا يمكن أن يتحول إلى خطاب لتمييع حالة الإحتقان والغضب جراء فشل السياسات منذ الثورة. فما حصل في تونس

تونسيون خلال تظاهرة في العاصمة

من تمييع لحالة الإحتقان، في رأيه، هو عملية تحويل لكل الخطاب نحو التنديد بعمليات التخريب ووضع غضب الناس مما حصل على الهامش. وهذا لا يجوز في رأي محدثنا الذي يعتبر أيضا أن ما حدث هو أزمة عابرة ولكنها حاملة لرسائل عديدة وعلى الجميع التقاط مضامينها. الأمر يتجاوز مجرد غلاء في المعيشة، إنه غضب على انسداد الأفق وفقدان الثقة في الحاضر والمستقبل. ولكن تراكم الأزمات العابرة على المدى القريب والمتوسط يمكن أن يكون له مفعول ثورة جديدة.

وعن رؤيته للأزمة الاجتماعية في تونس، يعتبر أنها أزمة تشغيل في الأساس وأزمة في المنظومة الإدماجية بكل عناصرها في دولة لا تزال تشتغل بنموذج منغلق موغل في الحمائية وغير قادر على أن يتخلص من مكبلاته القديمة. فما حصل هو أننا أمام واقع فيه المشكلات الاجتماعية أصبحت تعاش على أنها إخفاقات فردية. وهذا يعني، أن المشكل الاجتماعي مهما كان عنوانه لم يعد مصنفا على أنه اجتماعي أي أن حلّه يمرّ عبر ما هو جماعي. عندما يعاش المشكل على أنه إخفاق فردي، فإن في هذا معاناة أكبر وذهاب سريع نحو الخلاص الفردي الذي يترجم إلى سلوكيات محفوفة بالمخاطر مثل الهجرة السرية واستهلاك المخدرات والإنخراط في الجريمة المنظمة وفي شبكات الإرهاب، يجد الفرد نفسه في مواجهة ما يمكن تسميته بمجتمع المخاطر أمام عجز مؤسسات المرافقة الاجتماعية.

هوة بين الشباب والساسة

في كل حراك جديد ترتفع مطالب عديدة لكن أبرزها تلك التي تتحدث عن دور الشباب في الحياة العامة وكيف يمكن الانصات لصوته واشراكه في العملية السياسية وفي دورة الحياة الاقتصادية. فمن الواضح ان الشباب على اختلاف شرائحه العمرية وانتماءاته الايديولوجية أو الفكرية أو الاجتماعية، يحمل هما واحدا وهو البحث عن الكرامة من خلال التشغيل. تلك كانت العناوين العريضة لكل الانتفاضات التي عرفتها تونس عبر تاريخها الحديث. إذ يبدو ان هناك فجوة تتسع يوما بعد يوم بين الشباب وبين المسؤولين ﻫ ربما حتى ثورة 2011 ﻫ لم تتمكن من تقليصها بعد، بسبب ما يعتبره البعض فشل السياسات التنموية. وينظر الكثيرون إلى ان ما حصل في تونس خلال السبع سنوات كان ثورة حقيقية وانقلب إلى مجرد عملية تغيير في الحكم، تبدلت فيها وجوه الساسة لكن السياسات ظلت نفسها خاصة فيما يتعلق بالمحسوبية والفساد مع تعثر كبير في ما يمكن تسميته بـ «التحول الاقتصادي» فماهو دور الشباب في تونس ومطالبه وكيف يمكن الانصات لصوته؟ يرى الجويلي: «إن الشباب ليس سوى كلمة كما يقول بورديو. هو خليط وفسيفساء من الملامح والمسارات والتوجهات. هناك من الشباب من هو غير معني أساسا بالعملية السياسية فهي ليست من أولوياته على الإطلاق، يفكر في الهجرة وتأمين الظروف المناسبة لعيش كريم. وهناك من يريد أن يشارك في العملية السياسية ولكن ما يراه من يؤس المناخ السياسي وضعف الطبقة السياسية وتردي خطابها وبيروقراطية تعاملها يجعل من هؤلاء الشباب حذرين جدا من خوض التجربة.

ويضيف:»ستحصل انتخابات بلدية في شهر آيار/مايو المقبل وسنقف عند حقيقة رفض جزء كبير من الشباب المشاركة فيها. يسميه البعض عزوفا. ولكنني لا أراه كذلك، العزوف هو مصطلح يسم به الفاعل السياسي كل من لا ينتخب وخصوصا من الشباب لأنه في حاجة إلى أصواتهم. لا يمكن لهذا الفاعل السياسي أن يفهم أن ما يسميه عزوفا هو بأكثر دقّة موقف رافض للعملية السياسية برمتها. هؤلاء الشباب لا يثقون في الشأن السياسي وكيفية إدارته، لقد بدأ منسوب ثقتهم في الديمقراطية التمثيلية يضعف. ولهذا فإن جزءا منهم يشارك في الشأن العام بأشكال جديدة وغير تقليدية، فهو من يختار مضامين مشاركته وحدودها، وهو الذي يضع لها أفقا حسب منطق حساباته. وهو الشاب الذي ينتقل من مجال إلى آخر دون أن يكون ملزما ببناء مسار نضالي طويل المدى. تصبح المشاركة في الشأن العام مشاركة تحت الطلب. ولهذا من الصعب إقناع الشباب بالانخراط في الشأن العام عبر الهياكل المتعارف عليها. وسنرى نتيجة ذلك بطريقة واضحة في الانتخابات البلدية المقبلة».

ربما تمكنت الحكومة من اسكات هذه الاحتجاجات خاصة بعد ان بدأت تتحول إلى عملية فوضى وتدمير للأملاك العامة والخاصة وهو ما عبر عن رفضه جل التونسيين ونقلته وسائل التواصل الاجتماعي أو الإعلام، التنديد بالفوضى ورفض كل مظاهر التخريب، وسهل على الحكومة اسكات صوت المحتجين، وحملة «فاش تستناو» التي بدأت تعبيرا عن الغضب بسبب الزيادة التي خطتها الميزانية الجديدة، أصبحت عاصفة عابرة لكن «جمر الغضب» الذي خلفته ما زال تحت الرماد ولا يعلم أحد متى يشتعل مجددا وكيف طالما ان مناخ الثورات ما زال قائما.

احتجاجات تونس: فتشوا عن «شراكة دوفيل»

صبحي حديدي

في وسع المرء ألا يختلف، البتة، مع سلسلة أسباب متشعبة تُساق بصدد تفسير الاحتجاجات الشعبية التي تعمّ تونس هذه الأيام، وتذكّر - بقدر ما تنذر، في الواقع - بوقائع مماثلة شهدها الشهر ذاته: في سنة 1978، أيام حكم الحبيب بورقيبة؛ وفي سنة 1984، أيام زين العابدين بن علي.

ثمة رفع الدعم عن مواد غذائية أساسية، أسفرت عن ارتفاع أسعار الخبز والحبوب؛ وزيادة نسبة الضريبة المباشرة على القيمة المضافة (أسوأ أنماط الجباية الضريبية، التي تصيب الجميع على نحو عشوائي، دون اعتبار القدرة الشرائية أو محدودية الدخل)؛ واعتماد سياسات جديدة تستهدف خفض التوظيف في القطاع العام، وفرض التقاعد المبكر؛ وتباطؤ الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والخدمية، مقابل غرق الأحزاب السياسية في صراعات الحاصصة وتقاسم النفوذ؛ وما إلى هذه وتلك من إجراءات كفيلة باستفزاز، واستثارة، الشارع الشعبي العريض.

مدهش، في المقابل، أنّ أحد أهمّ الأسباب وراء معظم هذه الإجراءات، وهي جوهر الاحتجاج ومبعث السخط، إنما يكمن في السياسات التي فرضتها على تونس اثنتان من كبريات المؤسسات المالية الرأسمالية الكونية؛ أي البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي. هذا ما تتوقف عنده، بتفصيل دقيق موثق، الخبيرة الاقتصادية التونسية جهان شندول، من «المرصد التونسي للاقتصاد»، في مقال نشرته الـ«غارديان» البريطانية قبل أيام.

مسلسل التقشف القسري، الذي فُرض على تونس، كان قد بدأ مع قمة الـ G - 8 في مدينة دوفيل الفرنسية، أيار (مايو) 2011؛ حين تشكلت صيغة «شراكة دوفيل مع البلدان العربية المتحولة»، بعضوية البلدان الثمانية، وتركيا، ودول الخليج العربي، بالإضافة إلى البنك الدولي وصندوق النقد الدولي. وأمّا البلدان «المتحولة»، فقد كانت تونس والمغرب والأردن واليمن ومصر، وقد فُرضت عليها سياسات تمزج بين التقشف الصارم في الداخل، والليبرالية الجديدة المفتوحة في الخارج؛ وفي رأس هذا المزيج كانت الوصفة الكلاسيكية للصندوق، أي «برنامج التعديل الهيكلي»، الذي يُعتبر قاعدة شرطية قبيل تقديم أي قرض لأية دولة نامية.

ومنذئذ، باتت تلك «الشراكة» هي عماد السياسات الاقتصادية في تونس، لكن تطبيقاتها على الأرض، وفي حياة الفئات الشعبية الفقيرة والمتوسطة بصفة خاصة، تجلت في تفاقم الدين العام، من 41% من الناتج المحلي الإجمالي في سنة 2010، إلى 71% مطلع هذه السنة. ولأنّ الاقتصاد التونسي تطلب المزيد من القروض، وحصل عليها بالفعل في دفعتَيْ 2012 و2016؛ فإنّ العاقبة المباشرة كانت إعادة تقييم العملة الوطنية، وإعادة النظر في دعم السلع الغذائية، كما تضخمت خدمة الديون الخارجية حتى باتت تشكل 22% من ميزانية البلد للعام 2018.

هذه النتائج الكارثية هي المعادل الموضوعي لوصفة صندوق النقد الدولي الكلاسيكية، في أيّ بلد شهد تطبيقها على نحو قسري، وذلك لسبب جوهري أوّل هو أنّ التنمية الاقتصادية الحقة لا تتمّ بالدَيْن؛ كما أنها، ثانياً، لن تقف على قدم راسخة ما دامت قيود الدين مجحفة مكبلة. وفي الأساس، كان الصندوق قد وُلد لكي يضمن التوازن المالي في اقتصاد عالم مفتوح، ولكي يكون بديلاً عن معيار الذهب، الأمر الذي انطوى نظرياً على مساواة صارمة في تطبيق سياسات تدخّل الصندوق لتعديل التوازن عند جميع الفرقاء، سواء تضخم ميزان المدفوعات أو انكمش وعجز. في المقابل، كان اعتماد نظام عامّ لتعويم العملات سنة 1973 قد دشّن النهاية الحاسمة لصورة الصندوق في ولادته الأولى تلك، فأصبح دور الضبط مرتهناً بما تقرّره قمم العمالقة السبعة، التي صارت ثمانية، ثمّ تضخّمت اليوم إلى عشرين.

وهكذا، إلى جانب مشكلات حكومة يوسف الشاهد، وسواء أكان الرجل ضحية خياراته الشخصية؛ أم هذه وقد خضعت لصراعات حزبه «نداء تونس»، وبعضها يطلب رأس الحكومة ذاتها؛ أم لعب تجاسره على محاربة كبار ضياع الفساد دوراً في التعجيل بمحاقه، بعد صعود نجمه... فالثابت أنّ «شراكة دوفيل» عامل أوّل حاسم في صناعة السخط الشعبي، وعنها يتوجب التفتيش أيضاً.

الأزمة الاجتماعية وفشل التحول الاقتصادي في تونس

حكيم بن حمودة

تعرف تونس منذ بداية هذه السنة تحركات اجتماعية واحتجاجات كبيرة انتشرت في مختلف أنحاء البلاد، وذلك بسبب ارتفاع الأسعار وموجة الغلاء التي اجتاحت البلاد، والتي ستزداد حدتها بعد تطبيق بعض القرارات التي أتى بها قانون المالية لسنة 2018. وأكدت الأرقام الرسمية ارتفاع الأسعار بنسق غير مسبوق خلال السنة المنصرمة والتي بلغت 6.4 في المئة.

ولئن نجحت تونس في كبح جماح التضخم في السنوات الماضية، حيث لم يتجاوز 5 في المئة خلال السنوات الثلاث الأخيرة، فقد عرفت الأسعار ارتفاعا كبيرا خلال الأشهر الفائتة، ليعود مع هذا الارتفاع القياسي، الجدل في الساحة السياسية حول مسألة التضخم كما كان الحال في السنوات الأولى بعد الثورة.

وأسباب هذا التطور الكبير في الأسعار عديدة، لعل أهمها تراجع سعر صرف العملة الوطنية، الدينار التونسي، أمام العملات الأجنبية، ما نتج عنه تطور هام لـ«التضخم المستورد» وارتفاع كبير لأسعار المواد المستوردة. كما ساهمت سياسة الرفع التدريجي للدعم، خاصة في مجال الطاقة، في ارتفاع الأسعار في عديد القطاعات ومن ضمنها قطاع النقل الذي تأثر كثيرا بهذا الارتفاع.

كما لعبت مسالك التوزيع وتواجد عديد شبكات المضاربة والاحتكار دورا في تأجيج لهيب الأسعار وارتفاعها بشكل لافت. وقد كان ارتفاع الأسعار بدوره وراء عديد التحركات الاجتماعية الاحتجاجية مع استهداف الأزمة الاجتماعية الخانقة، وهي أزمة تمر بها تونس منذ سنوات ما بعد الثورة، ساهمت في خلق الكثير من الإحباط وتراجع الأمل في قدرة الحكومات على تغيير الواقع الاجتماعي والسياسي.

ولا يمكن فهم هذا الازدياد الكبير للأسعار، والأزمة الاجتماعية المستفحلة، بمعزل عن الأزمة الاقتصادية الخانقة، وفشل التحول الاقتصادي في مرحلة ما بعد الثورة. فقد عرفت تونس تطورا هاما في المجال السياسي، وقطعت خطوات جادة في مسار التحول الديمقراطي، وأشاد بهذه التحولات العديد من المتابعين والمؤسسات الدولية، حتى اعتبرت عدد من الجهات أن الديمقراطية الناشئة في تونس هي التجربة الوحيدة الناجحة في تجارب ما يسمى «الربيع العربي».

ولكن هذه المسيرة الناجحة على المستوى السياسي لم تصحبها النجاحات والإنجازات نفسها على المستوى الاقتصادي، وذلك مع بقاء مستوى النمو ضعيفا في السنوات الأخيرة. كما عرفت التوازنات المالية الكبرى انخراما كبيرا خاصة في تصرف المالية العمومية والتجارة الخارجية التي تعرف أهم أزماتها في فترة ما بعد الاستقلال.

أما الاستثمار، فقد عرف كذلك تراجعا هاما مع بقاء المستثمرين سواء التونسيين أو الأجانب في موقع الإنتظار والتردد لأسباب عديدة. وعرف نسق الإصلاحات الاقتصادية بطئا كبيرا كان وراء الصعوبات التي عرفتها تونس في علاقاتها مع المؤسسات الدولية وخاصة صندوق النقد الدولي.

إن التحركات الاجتماعية الأخيرة والاحتجاجات حول غلاء الأسعار تطرح قضية أكبر وتخص عمق الأزمة الاقتصادية وعجز عديد الحكومات التونسية عن القيام بخطوات هامة لبناء نمط تنموي جديد. والمشكلة أن هذه الإخفاقات وتراجع التنمية الاقتصادية ستضر حتما بالتحول السياسي وتنعكس سلبا على نجاحاته.

احتجاجات في تونس

تونس: عنوان المقاربة الاجتماعية في تونس: الحسم المؤجل

الصحبي بن فرج

توقعت الطبقة السياسية التونسية ان يكون شهر كانون الثاني/يناير الحالي ساخنا اجتماعيا وسياسيا، خاصة وقد اتفق الجميع على أن سنة 2018 هي السنة التي ستشهد ذروة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وحتمية اتخاذ إجراءات مؤلمة على مستوى قانون الميزانية، إضافة إلى المأزق السياسي الذي يسيطر على المشهد العام. فأطل علينا شهر كانون الثاني/يناير باحتجاجات محتشمة نسبيا في الشارع، لكن العدوى سرعان ما انتقلت إلى شكل أعمال عنف وتخريب إلى الحزام الأكثر فقرا حول العاصمة والمدن الكبرى، وأيضا إلى المناطق الداخلية التي ظلت طيلة عقود دولة الاستقلال وسنوات الثورة خارج دورة التنمية وحتى خارج دورة الحياة.

لم تكن أحداث العنف خلال الأسبوع الأول من الشهر الجاري منفصلة عما يحدث منذ أشهر من صراع سياسي داخل أجنحة الحكم، ولا بعيدة عما وقع من حرب ضروس على قوى المافيا والتهريب ولوبيات المال والفساد. ولم تغب عنها عناصر الصّراع التقليدي بين السلطة وأحزاب الحكم من جهة وأحزاب أقصى اليسار الراديكالي وأقصى اليمين الثوري من جهة أخرى.

ولربما فوجئت الحكومة في البداية بجدة أعمال العنف وامتدادها إلى أغلب ولايات الجمهورية، لكنها استغلت بذكاء عدم انخراط الجماهير الشعبية فيها، واستنكار الرأي العام لأعمال التخريب فيها، لتطلق حملة إعلامية موجهة تقوم أساسا على إبراز عبثية وخطورة ما وقع. في هذه الأثناء عملت قوات الأمن على استيعاب أحداث اليومين الأوّلين وتفادي التصادم المباشر مع الشباب وخاصة الامتناع عن استخدام الرصاص خلال المواجهات.

هجوم معاكس

لقد كان الرهان الأمني/السياسي هو الخروج من الأزمة دون سقوط ضحايا من المتظاهرين وحتى المخربين الذين يخرج أغلبهم ليلا وفي جنح الظلام للسلب والنهب وإتلاف الممتلكات. وهو ما وقع فعلا، إذا استثنينا حالة يعني ذلك ان الحكومة قد تجاوزت نهائيا أزمة كانون الثاني/يناير؟ يبدو من خلال جملة من المعطيات انها نجحت فقط في تأخير موعد الاحتجاج الحقيقي الى أجل قد لا يكون بعيدا: ففي أواخر الشهر الحالي ستبدأ المفاعيل الحقيقية لقانون الميزانية في التأثير على موازين العائلات، أما شهرا شباط/فبراير وآذار/مارس، فسيكون موعد ظهور الانعكاسات السلبية لقانون المالية على المؤسسات الخاصة وعلى أسعار المواد الأولية والمصّنعة وعندها فقط سندخل فعليًا في الأزمة.

هل ستصمد الحكومة وتنجح كما نجحت هذه الأيام؟

بكل صراحة، سيتوجب عليها أن تستبق الأحداث منذ اليوم وتقوم بتعديل ما يمكن تعديله. على الحكومة أن تتخذ ما يمكن إتخاذه من قرارات وإجراءات وقوانين في الاقتصاد والجباية والمالية العمومية حتى تتفادى اندلاع أزمة قد تذهب بالانتقال الديمقراطي برمته إلى ما لا يحمد عقباه.

تصريف الأزمة بأقل التكاليف وأسرع وقت ممكن. فهل

ينمّي الهويات المحلية ظرفيا وموضعيا

البيئة التونسية الحالية تربة خصبة لنمو الحراك الاحتجاجي

هشام الحاجي

يعتبر التساؤل حول الحركات الاجتماعية والاحتجاجية أحد أهم الأسئلة التي تطرحها العلوم الاجتماعية في العقدين الأخيرين وذلك بالنظر إلى التحولات الهامة التي تعيشها الإنسانية والتي أدت إلى الابتعاد عن مفهوم الدولة الراعية التي كانت توفر الحضن الذي يؤمن الحد الأدنى من الرعاية والحماية والجماعية لكل أفراد المجتمع وهو ما جعل مفهوم الهشاشة «مفهوما هاما في تحليل واقع المجتمعات المعاصرة». ويضاف إلى ذلك ما أصاب الهوية الوطنية من ارتباك نتيجة ظهور الهويات المكانية والجزئية التي غيرت من رؤية الفاعل الاجتماعي لأطر الانتماء والاحتجاج وسبل التغيير. وهذه الوضعية وسعت من مجال الحراك الاحتجاجي وأبرزته في أغلب المجتمعات البشرية وساهمت في التقليص من دور هياكل التأطير التقليدية كالأحزاب والنقابات خاصة وأن آليات اشتغال الدول قد كشفت عن اختلالات في إنتاج الثروة وخاصة في توزيعها. وليس من قبيل الصدفة أن يتزامن الحراك الاحتجاجي في تونس مع حراك تعيشه بعض المدن في المغرب الأقصى. وأشارت بعض المصادر المغربية إلى أن تكلفته فاقت 1.9 مليار دولار أمريكي وهو رقم مرتفع بكل المقاييس.

ولا شك أن معرفة ما يمكن أن تبلغه هذه الحركات الاحتجاجية يمثل أحد أهم الأسئلة التي تطرحها النخب الثقافية والسياسية في تونس وتختلف في تقديم الأجوبة باختلاف مواقفها من السياق السياسي التونسي في ظل اختلاف لم يحسم بعد حول صدقية سردية الثورة أو سردية الترتيب الخارجي والمؤامرة لتفسير ما حدث في 14يناير/كانون الثاني 2011. ويعتبر أنصار سردية الثورة أن الحركات الاحتجاجية ستواصل الاضطلاع بدور ضاغط من أجل إصلاح الاختلالات من ناحية وتحقيق أهداف الثورة من ناحية أخرى في حين يميل المنحازون لسردية المؤامرة أن الحركات الاحتجاجية ليست سوى الجانب الظاهر في مؤامرة متواصلة هدفها إضعاف تونس وإنهاكها. ولا يمثل الانخراط في هذا الجدل توجها مثمرا في ما يتعلق بالسعي لدراسة الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الحركات الاحتجاجية في مستقبل تونس. وفي تقديري فإن البيئة التونسية الحالية توفر تربة خصبة لنمو الحركات الاحتجاجية لسببين أساسيين على الأقل وهما:

– تنامي الهشاشة وتحولها إلى هشاشة معممة إذ أصبح الوضع السياسي هشا وازدادت الهشاشة الاجتماعية وتجلت الهشاشة النفسية علاوة على الهشاشة الثقافية.

– ضعف آليات التأطير والمراقبة إذ تراخت قبضة الدولة ولم تستطع هياكل التأطير الجديدة الإحاطة بالمواطنين.

وهناك عامل آخر يضاف إلى هذين العاملين ويتمثل في ما يتأكد من أن الحكومة التونسية قد أقرت العزم على القيام بـ«إصلاحات اقتصادية مؤلمة» وشرعت من خلال قانون المالية للسنة الحالية، وهو ما كان له انعكاس أني على الوضع الاجتماعي. وظهرت ردود فعل عنيفة في عدد من المدن والأحياء الشعبية. وإذا كان العنف مدانا ومرفوضا فإنه يمثل أيضا مؤشرا على شعور بالتبرم من العيش وعن الإحساس بانسداد الأفق وهو ما ينمي العدوانية في بعديها الفردي والاجتماعي، ويبرز شعورا متناميا بالإحباط وخيبة الأمل. إن الطبقة السياسية الجديدة قد رفعت سقف الطموحات الشعبية وفتحت أمام التونسيين والتونسيات أبواب جنة اتضح أنها غير موجودة، بل تعمقت المشاكل وتعقدت دون أن يبرز في الأفق بصيص أمل جديد. وفي ظل ضعف التأطير العائلي والمدرسي والسياسي خاصة في الأحياء الشعبية التي تحول عدد كبير منها إلى أحياء عشوائية لا تخضع للقانون وتكاد صلتها الوحيدة بالدولة تمر عبر تواجد الأمن وهو ما يعتبر في إطار توفير الحد الأدنى ضروريا، ولكنه لا يكفي لأن الشباب يحتاج إلى مؤسسات تأطير أخرى وإلى إشباع حاجاته الأساسية. وحين يغيب ذلك قد يتحول تحدي رجل الأمن إلى ما يشبه الثقافة الجزئية وإلى شكل من أشكال التعبير عن الذات.

والإشكال أن الأحزاب السياسية والمنظمات الوازنة تاريخيا كالاتحاد العام التونسي للشغل وجدت نفسها في وضع الملاحق لهذه الاحتجاجات التي تلم بعيدا عنها ولكنها تجد نفسها «مضطرة» للتعاطف معها ولانطلاق منها لإعادة التذكير بثوابت يرى البعض أنها تتحول أحيانا إلى ما يشبه «قميص عثمان» الذي يتمسك به البعض دون إيمان حقيقي به. وهذا ما يحيلنا إلى ما يمكن اعتباره حالة الاستعصاء التي تعيشها النخبة السياسية والاقتصادية التونسية التي لم تقدر لحد الآن على رسم طريق واضح للمستقبل بل ظلت تراوح مكانها وأصبحت الضغوط هي أداة التعامل بعيدا عن الاعتبارات المؤسساتية.

إن الوضع الراهن بقدر ما يؤشر إلى تواصل الحراك الاحتجاجي إلا أنه لن يكون مثمرا من الناحية السياسية إذ سيكون ظرفيا وموضعيا ينمي الهويات المحلية والمناطقية ولكنه لا يتجاوز دائرتها وإن كان يبرز الأمراض التي يعاني منها المجتمع.

تونس: عنوان المقاربة الاقتصادية الفاشلة وقصر النظر السياسي

لطفي العبيدي

هناك مُقوّمات كامنة تعصِفُ عدم الاستقرار الاجتماعي في تونس، الأمر الذي يبرّر حركات الاحتجاج خلال الأسابيع الأولى من كانون الثاني/يناير الجاري، وهو حراك جماهيري ضمن مسار ثوري ينشد تغيير النظم السياسية والاقتصادية ويبعث رسائل للحكومات المتعاقبة من أجل إيجاد رؤية شاملة تُغيّر النمط المعيشي نحو الأفضل وتعالج قصور المعطى السياسي والاقتصادي. وقد بات بالإمكان أن يكون الوضع الاقتصادي في تونس أفضل بكثير ممّا هو عليه الآن لو حدثت اختيارات صائبة ومُوفّرة، فالمراحل الانتقالية عادة ما تخلق ارتباكا مرحليًا، ولكنّها لا تقاس ضرورة بسنين ثابتة أو بعقود معهودة، هي بمثابة ضرورة يُفترض المرور بها، بل يكفي أن تتوفر الرؤية الاستراتيجية والإرادة السياسية للفعل الاقتصادي والاجتماعي، كي تنتقل البلاد من عهد الدكتاتورية والتسلّط والانفراد بأجهزة الدولة ومؤسّساتها إلى منطق تفاعليّ تشاركيّ يُرسي مؤسّسات مستقلّة بذاتها قادرة على تجاوز الصعوبات المالية والاقتصادية في ظرف وجيز. الأمر الذي يمكّن حينها من التجاوب مع المطالب الاجتماعية التي تواصلت على امتداد سبع سنوات عرفت فيها تونس هبّات اجتماعية فجائية أحيانا ومتوقّعة في أحيان أخرى، كثيرا ما تُربك الحكومات، ولكنّها قد تتحوّل إلى ثورة حقيقية في أي لحظة إذا ما تواصل صمّ الآذان عن مشاكل النّاس وتركهم وأحوالهم المعيشية الصعبة دون أي تغيير. فعوض إيجاد حلول لعسر الحال المعيشي لطبقات واسعة، تتّخذ الحكومة إجراءات التقشّف والزيادة في الأسعار بالتوازي مع قانون المالية الذي رفع مستوى الضرائب مع تواصل عجز الموازنة على 4.9 في المئة مقابل 6 في المئة في عام 2017.

إنّ فشل خيارات النخب الحاكمة في تونس منذ الثورة التي أطاحت الرئيس الأسبق وعائلته المتنفذة وأربكت «الكارتيل» الحاكم (العائلة ورجال الأعمال المتنفذين والقيادات الأمنية المستفيدة) وعجزها عن طرح حلول اقتصادية وطنية سيادية، جعل الحكومات المتعاقبة بين براثن صندوق النقد الدولي بعد تفاقم نسبة المديونية، والذي أصبح يفرض عند كل مراجعة لنسبة الدَّيْن الخارجي ما اصطلح على تسميته الإصلاحات الهيكلية للاقتصاد الوطني. وأصبحت الدولة التونسية تخضع عمليًا لإملاءات البنك الدولي وهي في وضع توجّه مداخيلها لسداد مصاريف التسيير الإداري على حساب نفقات استثمارية ممكنة أو خلاص ما تخلّد بذمّتها من التزامات مالية ضخمة. ومثل هذا المسار كان سمة سنوات ما بعد 2011 وقد طبع بركود اقتصادي شامل، ولم يحدث إي تحوّل إيجابيّ في كل القطاعات المنتجة للقيمة المضافة، الأمر الذي انتهى إلى الاحتجاجات الاجتماعية الأخيرة، فكلّ المعطيات الصّادرة عن البنك المركزي ووزارة المالية أو المعهد الوطني للإحصاء وغيرها تُشير إلى تراجع مؤشر الإنتاج الصّناعي وتراجع الايرادات الجبائية وارتفاع خدمة الدّيْن الخارجي. وقد ازداد الواقع الاقتصادي اختناقا مع ركود النشاط المنجمي وقطاع الطاقة لسنوات فضلا عن تراخي الدولة في إيجاد حلّ للاقتصاد الموازي الذي خلق منافسة شرسة للمؤسسات، ينضاف إلى ذلك اختلال الميزان التجاري وتفاقم ظاهرة التوريد العشوائي للمنتجات الصناعية وغيرها وتآكل القدرة التنافسية لأغلب القطاعات.

كل المعطيات الاقتصادية الوطنية تُشير إلى تراجع حادّ للقدرة الشرائية نتيجة الارتفاع المشط للأسعار وتزايد الاحتكار وتفاقم الضرائب مقابل زيادة محدودة في الرواتب لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تُحدث توازنا، خاصّة أنّ المنظومة الجبائية لم تتمّ مراجعتها إلى الآن وهي تستهدف الفئات الضعيفة والمتوسّطة وتستثني أصحاب المؤسسات والأغنياء من رجال الأعمال وغيرهم. ومثل هذا التضييق أحدث خللا في الواقع الاجتماعي لم يسبق له مثيل، وهو انهيار الطبقة الوسطى التي أصبحت تتأرجح بين منزلتين وهي إلى الطبقة الفقيرة أقرب، وتلك نتيجة طبيعية بالنّظر إلى الضغط الجبائي المسلّط عليها في الأساس، فمن غير الطبيعي اتّخاذ قرابة 600 إجراء ضريبيّ منذ سنة 2011 وحدوث تحوّل شبه هيكلي للنّسيج الاقتصادي والمالي نحو الأسوأ، وظهور مشهد اجتماعي مغاير تفاقمت فيه المطلبية وانخفض فيه الدّخل الفردي، ومع تقسيم السّلطة وضعف التّسيير وتعطّب الإدارة وتعطل إجراءاتها وغياب الاستقرار السياسي، عرف التونسيون سنوات عجاف بكلّ ما للكلمة من ثقل دلالي، تراجع فيها الأداء الاقتصادي وتواصلت اختلالاته الثابتة والموروثة، واتّضح فشل السياسات الاقتصادية المعتمدة منذ أربع سنوات. وقد ازداد الوضع سوءا إثر تعطّل الأنشطة الإنتاجية لفترة طويلة نسبيا مع بداية مشروع الأحزاب الحاكمة المصلحي والفئوي الذي يخلط بين مطالب الحزب ومطالب الدولة ومطالب المجتمع. وقد أدّى خطاب المراهقة السياسية إلى ركود الاقتصاد التونسي وبشّر بأزمة اجتماعية محتملة واحتقان شعبي حادّ انتهى إلى رفع شعارات من قبيل «يا حكومة الائتلاف الشعب يعاني في الأرياف» و«زاد الفقر زاد الجوع يا مواطن يا مقهور» و«يا حكومة عار عار الأسعار شعلة نار».

ومن علامات فشل الحكومات المتعاقبة في سنوات ما بعد الثورة عدم التقائها للمناطق الداخلية للبلاد رغم ما ينصّ عليه الدستور من فصل التمييز الإيجابي للجهات التي حُرمت في عهود الدكتاتورية البوركيبية والنوفمبرية، وعانت الفقر والتهميش وما زال حالها كما هو. ومثل هذه الجهات اعتادت أن تقود الاحتجاج وتُبادر إلى التعبير عن رفضها للسّياسات الحكومية، وهي تُطالب منذ سنوات بالتنمية التي لم تتحقّق إلى الآن. في الصائفة الماضية حدثت احتجاجات في الجنوب التونسي ضد استغلال الشركات البترولية الأجنبية للثروات الطاقية دون تخصيص مقدار من الأرباح للتنمية الجهوية، وفي الأيام الماضية احتجّت بلدات ومحافظات عدّة مثل القصرين وتالة وسليانة والكاف وسيدي بوزيد والقيروان وطبرية اضافة إلى الأحياء المتاخمة للعاصمة وإن كانت تفتقد التأطير السياسي الثوري فإنّ في عفويتها الاندفاعية إشارة واضحة إلى فشل الحكومات المتعاقبة في توفير الحلول الاقتصادية والمالية الناجعة لخلق بيئة تنموية تحسّن الوضع الاجتماعي لفئات واسعة من الجماهير الشعبية التي تدهورت قدرتها الشرائية، ومع ذلك ما زالت الدولة تُحرّس منطقا غير تشاركي في إدارة الشأن العام وتُثقل كاهلها بالضرائب والزيادات المتزايدة في الأسعار في مواد استهلاكية وخدماتية عديدة وتطالبها بالتقشّف عوض أن تُقدّم الحلول للمشكلات المجتمعية وتُصوّب سياساتها الحكومية. ولا تجد حكومة حركة النهضة وحزب النداء من حل سوى اتّهام أطراف سياسية بتحريك الاحتجاجات واعتبار الجبهة الشعبية مسؤولة عن حراك ضمّ بعض مجموعات التخريب والنهب. وهي متاهة حقيقية تعيشها الحكومة التونسية التي تنقاد لإملاءات البنك الدولي والمؤسسات المانحة، ولا تخجل من تجريم الاحتجاجات الشعبية ضدّ منظومة حُكم لم تُقدّم الحلول الاقتصادية والاجتماعية ولم تُبلور ملامح نظام جديد يساعد في ترجمة شعارات الثورة، حرية سياسية، وعدالة اجتماعية، وكرامة إنسانية، إلى واقع ملموس يُغيّر حال البلاد والعباد نحو الأفضل المنشود عوض الاستمرار في خطاب سياسي مُرتجل ومتناقض وضعيف ومغالط للشعب معطى ونتيجة.

وبات مؤكّدا أنّ المرحلة تقتضي تعيين كفاءات وطنية عوض وزراء لا يفقهون شيئا في ميدان الاقتصاد والسياسة جليلهم المصالح الحزبية الضيقة وقلّدوا مناصب حسّاسة محورية نتيجة محاصصة سياسية غنائمية، ولا يمكن لهؤلاء أن يُحدثوا إصلاحا هيكليا للاقتصاد وللقطاعات المنتجة أو يستبطنوا امكان الاقتدار على معالجة عجز الميزان التجاري وميزان المدفوعات والوضع المحرج لميزانية الدولة وتعويم الدينار ومجابهة التضخّم، ومراجعة قيمة الواردات والحدّ من طابعها العشوائي واستعادة ثقة المستثمر الأجنبي أو التونسي بشكل مستدام أو ضمان استقرار مالي يخفض مستوى التخوّف لدى من يراقب الوضع الاقتصادي والسياسي في تونس بما في ذلك وكالات الترقيم السيادي والهيئات الدولية المقرضة، فمن تسبّب في تنامي مشاعر الاحباط وأبقى الوضع الاقتصادي والمعيشي يراوح مكانه منذ سنوات غير مؤهّل لإخراج البلاد من أوضاعها الخانقة، أمّا تمسّكه بالبقاء في السلطة فهو تعنّت دغمائيّ يفتح احداثيات المشهد السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتأزّم على أكثر من سيناريو.

مواقف الأحزاب ومستقبل التحالفات في تونس

ماجد البرهومي

الاحتجاجات والاضطرابات الاجتماعية التي عرفتها تونس مؤخرا، وإن كانت محدودة في الزمان والمكان، خلافا لما روجته كثير من وسائل الإعلام الأجنبية التي بالغت في تهويل الحدث، إلا أن تأثيراتها ستبرز على المشهد السياسي والحزبي في الأيام المقبلة. إذ لا يخفى على عاقل أن هناك أطرافا سياسية داخلية وخارجية تقف وراء تأجيج هذه الاحتجاجات وتحركها من وراء الكواليس، وتستغل غضب التونسيين على غلاء المعيشة وعلى قانون المالية الجديد، لتحرك الشارع ليلا للسلب والنهب وإتلاف الممتلكات الخاصة والعامة.

ويؤكد بعض العارفين بخفايا وكواليس الساحة السياسية التونسية على أن هناك نيرانا صديقة كانت من بين المستهدفين لحكومة الشاهد الذي أساء بعض المحيطين به، والذين تحوم حولهم شبهات، لصداقيته في محاربة الفساد. ولعل ما يدعم هذا الطرح هو عدم إعلان حظر التجوال ليلا، بخلاف العادة في مثل هكذا أحداث، وعدم مسارعة الأطراف الفاعلة إلى إلقاء طوق النجاة للشاهد وفي الوقت المناسب، إذ بدا وكأنها تنتظر نهايته أو لديها الرغبة في الضغط عليه من أجل تنازل ما.

عزلة سياسية

لقد وجد يوسف الشاهد نفسه في هذه الأزمة شبه معزول سياسيا، فهناك أطراف عديدة كانت تمني النفس في الإطاحة به وإزاحته، وذلك رغم التضاد الفكري والإيديولوجي بين هذه الأطراف، ورغم الإختلاف بينها في كثير من الملفات. حتى أن البعض لخص على سبيل الدعابة والسخرية ما يحصل ليوسف الشاهد في هذه الأزمة من عزلة، بآية قرآنية من سورة يوسف جاء فيها: اقْتُلُوا يُوسُفَ أَو اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ.

لقد ساهم الشاهد في عزل نفسه يوم قبل بوزراء رابطوا في حكومته رغم خروج أحزابهم من الائتلاف الحكومي وغلبوا المنصب الوزاري على الإنتماء الحزبي رغم أنه تم اختيارهم على أساس هذا الإنتماء وليس لأشخاصهم. فأي قيمة لهؤلاء خارج أحزابهم خاصة وأنهم ليسوا من أصحاب الكفاءة الذين لا يشق لهم غبار حتى يتمسك بهم رئيس الحكومة ويضرب عرض الحائط بحزب جمهوري هو وريث أحزاب عريقة في الساحة السياسية التونسية ولديه ثقله النضالي، وأيضا بحزب آفاق تونس الذي لديه عدد معتبر من النواب داخل قبة البرلمان.

كما أن في داخل حزب الشاهد نفسه، أي حركة «نداء تونس» أطراف تعارض بقاءه على رأس الحكومة ولكل أسبابه التي تجعله يفعل ما يخطر وما لا يخطر على بال في سبيل الإطاحة برئيس الحكومة. فمن بين هؤلاء من تضرر من عملية القبض على رجل الأعمال شفيق جرابة في إطار حرب الشاهد على الفساد، وهب حرب ما زالت محل تشكيك، ومنهم من يرغب في ترؤس الحكومة مكان الشاهد، ومنهم من لديه رغبة في تنصيب رئيس حكومة جديد مقرب وطيع ينفذ الأوامر ويوافق على تنصيب الأصدقاء والمقربين في المناصب التي يقترحونها.

ولا تبدو حركة النهضة راضية على أداء الشاهد في عديد الملفات ولا على المحاصصة الحكومية، باعتبار أن عدد الحقائب المتحصل عليها من قبل الحركة لا يتماشى وحجمها الانتخابي وحجم كتلتها النيابية. ولا يبدو أيضا أن قواعد حركة النهضة كانوا غائبين عن الاحتجاجات الاجتماعية الأخيرة رغم أن الحركة فاعلة في الحكومة التي أعدت مشروع الميزانية وأيضا في وزارة المالية، وهو تناقض دأبت عليه أحزاب تونسية عديدة ما زالت لم تع وهي في السلطة أنها أحزاب حكم وليست أحزاب معارضة.

تسجيل النقاط

أما المعارضة، ممثلة في الأساس بالجبهة الشعبية (ائتلاف أحزاب يسارية وقومية) والأحزاب المنبثقة عن حزب المرزوقي، المؤتمر من أجل الجمهورية، فالفرصة كانت سانحة أمامها لـ«تسجيل النقاط» على الخصوم السياسيين، أي أحزاب الموالاة وتحديدا حركة «نداء تونس» ومؤسسها الباجي قائد السبسي ورئيس حكومته يوسف الشاهد. وهو حق مشروع لكل المعارضات في كل أنحاء العالم ما لم تتجاوز عملية «تسجيل النقاط» تلك حدود القانون وتخل بالأمن العام والاستقرار الذي يتطلبه البلد.

وبالفعل فقد انخرطت الجبهة الشعبية في هذه الاحتجاجات «من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها» وذلك رغم تصويت نوابها على قانون المالية في مجلس نواب الشعب عندما عرض مشروع القانون على التصويت. واتهم الشاهد صراحة الجبهة دونا عن البقية بالوقوف وراء أحداث الشغب التي عرفتها البلاد ولم يقدم الأدلة على هذا التورط، الأمر الذي يستدعي فتح تحقيق من النيابة العمومية لاستجلاء الحقيقة والوصول إلى نتيجتين لا ثالث لهما، إما ثبوت تورط الجبهة فيتم تتبع قياديها جزائيا، أو عدم ثبوت التورط، فيحاسب الشاهد من أجل الإيهام بوقوع جريمة طبقا للمدونة الجزائية التونسية.

وانتقد «حراك تونس الإرادة»، الذي يتزعمه المنصف المرزوقي بشدة قانون المالية وحملة الاعتقالات التي طالت المدونين الذي حرضوا على التظاهر لإسقاط قانون المالية محملا الحكومة المسؤولية عما يحصل. وقد اعتاد المرزوقي وحراكه على مساندة كل تحرك يستهدف الحكومة وذلك منذ 2014 تاريخ مغادرة الرئيس المؤقت الأسبق لقرطاج، ولم يساند هذا الحراك أي قرار حكومي وكان متوقعا أن يصدر عنه هذا الموقف.

المنظمات الوطنية أيضا

كما أن المنظمات الوطنية الكبرى سواء تلك الموقعة على وثيقة قرطاج، التي كانت الأساس الذي قامت عليه حكومة الشاهد، لم تساند هذا الأخير في قانون المالية مما زاد من عزلته السياسية. فقد اعتبر الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل أن الأسباب الرئيسية التي أشعلت الاحتجاجات بشكل مباشر هي الإجراءات التي جاءت بها الحكومة في قانون المالية لسنة 2018 وأجهزتها سنوات متراكمة من الفقر والتهميش والاحتقان استغلها البعض لبث الفوضى واستباحة الأملاك العامة والخاصة، وأكد على أن الاتحاد نبه منذ البداية من ما سيخلفه قانون المالية 2018 معتبرا أن هذه الإجراءات تمس القدرة الشرائية للمواطن وتثقل كاهل الأجراء والموظفين.

فالشاهد وفريقه الحكومي استهدفوا الجميع (محامون، أطباء، تجار، موظفون) من خلال هذا القانون ولم يجدوا في النهاية من يدافع عنهم ويحميهم من العاصفة التي قد تهدأ لفترة لتعاود الهبوب برياحها العاتية من جديد مستهدفة الأخضر واليابس. فلا أحد مستعد للتضحية في تونس وفي محيط رئيس الحكومة من تحوم حولهم شبهة الفساد، وفي الحكومة شركاء ظهرت عليهم آثار النعمة ولا أحد حاسبهم وقال لهم من أين لكم بكل هذا.

في مهب الريح

عبارة تنطبق على الائتلاف الحكومي، الذي يتوقع له أن لا يعمر بعد الانتخابات البلدية، والذي ينفرط عقده تدريجيا، فقد انسحب منه سابقا الحزب الجمهوري وآفاق تونس يعلن محسن مرزوق، الأمين العام لحركة مشروع تونس المنشق بكتلة معتبرة العدد عن حركة نداء تونس، انسحابه من وثيقة قرطاج التي قامت على أساسها الحكومة. ويبدو أن مرزوق قد شعر بالوهن في الأداء الحكومي ومن الخسارة الحاصلة لها في رصيدها الشعبي نتيجة لغلاء المعيشة، فلم يعد قادرا على المراهنة على الحصان الخاسر وخير الانسحاب.

كما أن موقعين على وثيقة قرطاج وأعضاء في الائتلاف الحكومي مثل حزب المبادرة الدستورية وحزب المسار شكلوا مع أحزاب أخرى بالتوازي مع الاحتجاجات تحالفا انتخابيا لخوض الانتخابات البلدية التي ستجري في أيار/مايو المقبل بعيدا عن النداء والنهضة. ويضم هذا الائتلاف الانتخابي الجديد إضافة إلى الحزبين المذكورين الأحزاب المنسحبة إما من الائتلاف الحكومي أو من وثيقة قرطاج أو من حركة نداء تونس مثل الحزب الجمهوري وحزب آفاق تونس وحزب البديل ومشروع تونس وحزب المستقبل وتونس أولا وغيرها.

وترأس هذه الأحزاب المؤتلفة بمناسبة الانتخابات البلدية شخصيات هامة لها وزنها على الساحة وماضيها السياسي مثل كمال مرجان وزير الخارجية الأسبق وأحمد نجيب الشابي الذي تزعم المعارضة التونسية في وقت ما زمن بن علي ومهدي جمعة رئيس الحكومة الأسبق ومحسن مرزوق الأمين العام السابق لحركة نداء تونس ومستشار رئاسة الجمهورية. فهل يكون هذا الائتلاف الجديد بديلا لتحالف النداء والنهضة في انتخابات 2019 ويتمكن من بناء قدراته والتأسيس لكتلة وسطية قوية قادرة على قيادة البلاد؟

تونسية خلال الاحتجاجات الأخيرة

تونس: بدء العد العكسي للتخلص من يوسف الشاهد وإنهاء الحملة على الفساد

رشيد خشانة

يوسف الشاهد

الأرجح أن ذيول الأزمة الاجتماعية التي أبصرتها تونس في مطلع العام ستطيح برئيس الحكومة يوسف الشاهد، الذي لم يعد خافيا على أحد أن قيادة حزبه «نداء تونس» تُخطط للتخلص منه، منذ أن بات متقدما في استطلاعات الرأي بين الذين يعتزمون الترشيح لرئاسة الجمهورية. وتونس مُقبلة على انتخابات رئاسية وبرلمانية في 2019 لم يُعلن الرئيس الحالي الباجي قائد السبسي (92 عاما) أنه لا يعتزم ترشيح نفسه لها، فيما طلب رئيس حركة «النهضة» راشد الغنوشي من الشاهد «إيضاح موقفه» بالإعلان رسميا أنه لا يعتزم المشاركة في السباق الرئاسي. واضطر الشاهد لقطع الشك باليقين، عندما أدلى بتصريحات نفى فيها أن يكون يُفكر في منافسة الباجي قائد السبسي في 2019. لكنه لم يقُل إنه لن يخوض المعركة الرئاسية إذا ما زهد فيها قائد السبسي. وحملت الكيانات اليسارية التي دعمت الحراك الاجتماعي الأخير المياه إلى طاحونة خصوم الشاهد، من دون القدرة على تحسين صورتها لدى الرأي العام.

الأخطر من ذلك أن تلك «الاحتجاجات» سرعان ما استُخدمت غطاء لأعمال إجرامية تمثلت في حرق مقرات رسمية ومؤسسات خاصة، واقتحام أخرى تحت جنح الظلام من أجل السلب والنهب والاعتداء على الأمنيين، على نحو لا صلة له بالاحتجاج السياسي السلمي، ولا بممارسة حرية التظاهر المكفولة دستوريا في إطار ضوابط قانونية واضحة. لذا كانت تلك الأعمال الفوضوية مشبوهة المصدر والرسالة، وليس أدل على ذلك من أن مكونات هامة من المجتمع المدني مارست الاحتجاج على ارتفاع الأسعار، لكن بوسائل لم تترك مجالا للانزلاق نحو العنف والهدم، من ذلك على سبيل المثال المظاهرة الكبيرة التي قادها اتحاد العمال في سيدي بوزيد، احتجاجا على رفع الأسعار، والتي انطلقت من مقر الاتحاد الجهوي للعمال نحو مبنى الولاية، من دون تسجيل أي حادث.

عودة إلى المؤقت؟

الثابت أن الشاهد يُدرك بعد تلك الاضطرابات أن أيامه باتت معدودة على رأس الحكومة، وأن مصيره سيكون مثل مصير سلفه المستقل حبيب الصيد، الذي اضطره الحزبان المؤتلفان «النداء» و«النهضة» إلى الاستقالة. والصيغة الأكثر ترددا في الأوساط القريبة من القصر الرئاسي هي تسمية حكومة تكنوقراط لإدارة البلد حتى 2019 ما يعني العودة إلى المؤقت الذي لا يستطيع الوزراء في ظله اتخاذ أي قرار، وترحيل الحلول الكبرى إلى ما بعد الانتخابات الرئاسية والبرلمانية. وشكل انهيار الائتلاف المسمى «حكومة الوحدة الوطنية» ذريعة للمترصبين برئيس الحكومة، إذ غادرت الأحزاب الموقعة على ما يُعرف بـ«وثيقة قرطاج» (مقر الرئاسة) مقاعد الائتلاف واحدا بعد الآخر، ولم يتبق من سند للحكومة سوى نقابتي العمال ورجال الأعمال، لكنهما لن تستطيعا منعها من السقوط. وأتت هذه الصيغة السحرية (حكومة الوحدة الوطنية) لتسويغ الإطاحة بحبيب الصيد صيف 2016 عندما شعر الموقعون على «الوثيقة» أنهم باتوا أُربان السفينة. غير أن الرُبان ظلوا غير منسجمين منذ تشكيل الائتلاف، لا بل ما فتئوا يتدافعون عبر الميديا التقليدية والجديدة، حتى بالضرب تحت الحزام أحيانا. والظاهر أن المتنفذين في حزب «النداء» لا يريدون الصبر على الشاهد كي لا يمنحوه فرصة استثمار الانتخابات البلدية المقررة في أيار/مايو المقبل، هذا إن أجريت فعلا في أوانها. على هذه الخلفية استأثر الندائيون منذ البدء بالرئاسات الثلاث، ما جعل الخلافات الداخلية لـ«النداء» تنعكس سلبا في مرآة الأداء الحكومي والأداء البرلماني، وكذلك في العلاقات بين المكونات السياسية لحكومة «الوحدة» التي سرعان ما أصبحت حكومة الفرقة.

ويُعزى الشعور بالضيم لدى غالبية الأطراف المنخرطة في «وثيقة قرطاج» إلى أن القاعدة التي بُنيت عليها حكومة الوحدة الوطنية لم تكن منطقة من برنامج شامل للانقاذ، مع تحديد الكفاءات القادرة على تنفيذه، وإنما من إصرار على ترجمة النتائج الرقمية لانتخابات 2014 إلى حصص في الحكومة، تُوزع بمشيئة الحزبين. لذا رأينا وما زلنا نرى من هو أكفأ مُستبعدا من الموقع الذي يمكن أن يُعطي منه الكثير للبلد، ومن ليست لديه كفاءة يُدير قطاعا ليست له به معرفة كبيرة. لذا ستجد الحكومة المقبلة جبلا من الملفات الإجتماعية التي أرجئ البت فيها بسبب الصراع بين المتحاصصين، وفي مقدمها ملف التشغيل، الذي كان ولاعة الاضطرابات الأخيرة، إلى جانب ارتفاع الأسعار. ويصل متوسط البطالة حسب الاحصاءات الرسمية إلى 15.3 في المئة، إذ يوجد حاليا نحو 630 ألف عاطل عن العمل (سُكان تونس حوالي 11 مليون ساكن). غير أن نسبة البطالة في الولايات الداخلية أعلى من ذلك بكثير، فهي تفوق 25 في المئة في ولايات الجنوب الشرقي و24 في المئة في الجنوب الشرقي، وهي غير بعيدة عنها في ولايات الوسط الغربي والشمال الغربي، حسب تقديرات المعهد الوطني للإحصاء.

وإزاء انسداد الأفاق في وجه الشباب الذي يظل بلا فرصة عمل، لا تبقى أمامه سوى ثلاثة خيارات، فإما ركوب البحر نحو جنة الأوهام، بما تحمله تلك المغامرة من مخاطر ومفاجآت أليمة، وإما الانخراط في شبكات الجريمة بمختلف أنواعها، ومنها الجماعات الإرهابية، لما يدُرُّهُ من مال، أو إفناء شبابه في المقاهي، والقهر يحرق فؤاده.

مع بلوغ هذه الدرجة من الاحباط واليأس يغدو الشباب حطبا للعديمين والشعبويين الذين لا رصيد لديهم سوى بيع الوهم. واللافت أن الذين يُعتقلون ويُضربون ويُحاكمون هم من ذاك الشباب البريء، بينما يُفلتُ المُهيجون والغوغائيون من المحاسبة. الأخطر من ذلك أن الهرم الشبابي يتآكل من القاعدة والرأس في الوقت نفسه: من القاعدة بفعل تورط بعض الشباب في الجريمة و«الحرقة» (بفتح الحاء أي الهجرة غير النظامية) ومن الرأس بفعل الهجرة المنظمة للكفاءات، فالإحصاءات تشير إلى هجرة 100 ألف عقل تونسي في السنوات الست الأخيرة، وعلى كل عشرة من أولئك المهاجرين هناك واحدٌ على الأقل من العلماء أو أساتذة الجامعات أو الأطباء. وقد توجه 60 في المئة من هؤلاء إلى المقاصد التقليدية أي بلدان أوروبا الغربية، واتجه ما بين 25 و30 في المئة منهم إلى كندا وأمريكا، فيما تم انتداب الـ15 في المئة المتبقين في بلدان الخليج.

كما أظهرت دراسة أصدرها المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية أن 25 في المئة من الشباب التونسيين يُحاولون التواصل مع مهربين لترتيب الهجرة إلى الخارج، ما يُدلل على درجة الإحباط والقنوط لدى هؤلاء الشباب. ومن المؤشرات الرمزية على تلك الأزمة الوجودية أن 200 ألف شاب يهربون من الخدمة العسكرية، حسب وزارة الدفاع. وكيف يُطلب من شاب أو شابة أن يُدافع عن وطن لم يمنحه الكرامة؟

الكرامة لا تأتي سوى بالحصول على وظيفة في مشروعات ناجحة أو في القطاع العام، غير أن الدولة تُنفق غالبية إيراداتها على الرواتب، بسبب التوظيف العشوائي بعد الثورة، إذ تم إدماج الحاصلين على عفو عام، وغالبيتهم من كوادر «النهضة» في القطاع العمومي، من دون تكوين أو إعادة تأهيل (حوالي 7000 موظف) بالاضافة لتشغيل 2929 شخصا من أقرباء شهداء الثورة، على الرغم من أن اللائحة النهائية للشهداء لن تُعرف سوى في اذار/مارس المقبل. وينوء كاهل الدولة بأعباء كبيرة بسبب الديون الداخلية والخارجية، حتى أن المصارف المحلية رفضت هذه الأيام إقراض الحكومة، بالنظر لارتفاع حجم المديونية. ويلعب انتشار الفساد دورا مهما في الاستيلاء على المال العام وتحويل قسم من إيرادات الدولة إلى وسائد شبكات المهربين والمضاربين والفاسدين. ويتردد أن أحد أسباب المحاولات الجارية للتخلص من الشاهد يتمثل في المعركة التي فتحها على الفساد في العام الماضي، ودشنها باعتقال شفيق جرابة أحد أباطرة الفساد، الذي تحدى رئيس الحكومة في مقابلة تلفزيونية أن يتجاسر على اعتقاله، «لأنه غير قادر على اعتقال معزاة» على ما قال. وتسببت هذه المعركة، على خفرها ووداعتها، في تأزيم العلاقات بين رئيس الحكومة والحزب الذي ينتمي إليه، وإشعال صراع مباشر مع مديره التنفيذي، الذي هو نجل رئيس الجمهورية حافظ الباجي قائد السبسي.

خط أحمر

وتُفيد الأوساط القريبة من الحزب أن الشاهد لامس الخط الأحمر بطلبه اعتقال خمسين شخصا على علاقة بجرائم، بينهم نواب وقياديون في «النداء» و«النهضة». وفي المقابل يعتبر المقربون من رئيس الحكومة أن مجرد فتحه هذا الملف هو الذي سيكون سببا للإطاحة به. ومن عناوين الفساد التي اتجه لها الشاهد ميناء رادس التجاري جنوب العاصمة، الذي زاره مرتين، والذي يلتهم أموالا ضخمة من العملة الصعبة، بسبب دفع رسوم يومية عن تأخير إفراغ حمولة السفن التجارية في الميناء. وتتحكم في أعمال الشحن والتفريغ شركة عمومية يسيطر عليها اتحاد العمال، ومن الصعب تخصيصها وتطويرها. وتُساوي هذه الرسوم نصف إيرادات تونس من القطاع السياحي، الذي يُعتبر قطاعا استراتيجيا في اقتصاد البلد. وربما هذا ما دفع الرئيسة السابقة لاتحاد الصناعيين والتجار وداد بوشماوي إلى القول أن «التهريب قتل الصناعة».

الباب الثاني للفساد هو الصفقات العمومية الكبيرة التي يعقدها ممثلو الدولة، والتي تشوبها إخلالات وخروق مختلفة. إذ قدر رئيس الهيئة العليا لمكافحة الفساد المحامي شوقي الطبيب خسارة الدولة بسبب التلاعب بالصفقات بألفي مليار دينار (800 مليون دولار). أما الباب الثالث فهو الأراضي الزراعية التي تملكها الدولة، والتي أعطيت في عهد بن علي لـ«مستثمرين» من زبناء الحزب الحاكم السابق، وتُقدر مساحتها بـ250 ألف هيكتار، والتي ستؤمن إذا ما أعيدت هيكلتها وإحياؤها، إيرادا سنويا لا يقل عن 4000 دولار في الهكتار الواحد، إضافة لأربع فرص عمل. بهذا المعنى تغدو المعركة مع الفساد اقتصادية للحد من ارتفاع نسبة المديونية والتضخم المالي، والحيلولة دون استمرار هبوط سعر الدينار، الذي اجتاز حاجز الثلاثة دنانير مقابل اليورو الواحد، علما أن نحو 80 في المئة من مبادلات تونس التجارية تتم مع الاتحاد الأوروبي. وإذا ما صح أن حكومة تكنوقراط ستحل محل الحكومة الحالية، فإن جميع هذه الملفات ستُقفل وبهنا بال الفاسدين، لأن الحكومة الجديدة ستكتفي بتصريف الأعمال والإعداد للانتخابات الرئاسية والبرلمانية، أسوة بما فعلت حكومة التكنوقراط الأولى برئاسة مهدي جمعة (2014–2015) والتي تركت ملفات ملتهبة عالقة، بعضها حتى اليوم.

والأرجح أن حكومة التكنوقراط المقبلة ستتألف من وزراء قريبين من الحزبين المؤتلفين في إطار المُحاصصة التي شلت البلد منذ أربع سنوات، والتي نزعت من مسار الانتقال التونسي ألقَهُ وتميُزه، وحولته إلى ضرب من ضروب الصراع على تقاسم جلد الثور.

حوار

محمود العالول نائب رئيس حركة «فتح» لـ «القدس العربي»:

لن نواجه دولا عربية تسير نحو التطبيع وسنتركها لشعوبها

إشارة أبو مازن إلَيّ لا تعني تمهيدا لخلافته... ولسنا أسرى خيار الدولتين

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

محمود العالول

أكد نائب رئيس حركة التحرر الوطني الفلسطيني «فتح» محمود العالول (أبو جهاد) لـ «القدس العربي» أن السلطة الفلسطينية جادة في تطبيق قرارات المجلس المركزي حتى لو كلف ذلك انهيارها، معتبراً أن مصطلح «يخرب بيتك» جاء تعبيراً عن ألم وخذلان، وأنه ربما كان يفضل القول «يخرب بيتكم» لأن كل الإدارات الأمريكية المتعاقبة شاركت إسرائيل احتلال فلسطين.

وشدّد العالول على أن الخيار الوحيد المطروح هو «حلّ الدولتين» الذي «ترفضه إسرائيل ولا تقول ما هو تصوّرها»، وقال «اذا كانت تريد بقاء شعبنا تحت الاحتلال، فهذا خيار لم يعد ممكناً أبداً».

أما الموقف من دول عربية قد تؤيد «السلام الإقليمي» المطروح امريكياً فلخّصه العالول بالقول: «نسعى الى أن تكون لنا علاقات إيجابية مع الجميع، مع أمتنا العربية ومع العالم، ومن له موقف آخر حيال قضيتنا وحيال الأمة العربية نتركه لشعبه ولا نفتح معركة معه».

وفي ما يلي نص الحوار:

■ دعنا نبدأ بما يتعلق بالشكل واللغة لا بالجوهر، هل فوجئ محمود العالول باستخدام الرئيس مصطلح «يخرب بيتك» في حديثه عن رئيس الولايات المتحدة؟

■ **الرئيس في القسم الكبير من الخطابات يخرج عن النص كما حصل مع الخطاب الأخير، المصطلح يستخدم في عاداتنا وقصصنا في أحيان كثيرة، وهو تعبير عن الألم والخذلان من الأمريكيين.**

■ لو علمت مسبقا هل كنت ستنصحه باستخدام هذا المصطلح؟

■ **ربما كنت أنصحه باستخدام مصطلحات أخرى أشد من هذا، لا أعرف لماذا التركيز على المصطلح، هذا تعبير عن الشعور عن مدى الخذلان، وهو واضحٌ تماماً في هذا السياق، وقد اضطررنا في الآونة الأخيرة لاستعراض كل علاقتنا مع كل الإدارات الأمريكية المتعاقبة خلال السنوات الماضية وليس إدارة ترامب فحسب، وقد قيّمنا أنه لن يخرج منهم أبداً أي خير للشعب الفلسطيني وللأمة وهذا واضح تماما.**

■ هذا تقييمك أم تقييم القيادة الفلسطينية؟

■ **هذا تقييم كل القيادة الفلسطينية، إذا استعرضت العلاقة مع كل الإدارات الأمريكية يظهر أنها لم تقدم أي شيء حقيقي للفلسطينيين، بل عملت على سحب البساط من تحت أقدامهم بممارسة الضغوط عليهم وتدعم عدوهم المحتل أراضيهم بكل ما تستطيع من قوة.**

مستوطنة إسرائيلية

جانب من اجتماع المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية

■ أكان من الأفضل القول إذن «يخرب بيتكم» لكل الرؤساء الأمريكيين؟

■ **نعم بالتأكيد، من الواضح أن خطوة ترامب الأخيرة بشأن القدس المحتلة جاءت مرتبطة بخطوات أخرى وليس بالقدس فحسب، كخطوته الخاصة التي بدأ يعمل عليها وترتبط بملف اللاجئين وملف وكالة غوث اللاجئين "أونروا"، واضح تماماً أن الجانب الأمريكي يمارس شراكة مع الاحتلال الإسرائيلي في احتلال فلسطين، وقضية القدس كانت خطوة صارخة في عدوانها فأخرجت الناس عن طورهم.**

■ سئلنا الأسئلة السابقة حول لغة الخطاب ومصطلحاته لأن إسرائيل وظفت المصطلح في دعايتها لإلقاء الكرة مجدداً في الملعب الفلسطيني فكيف تابعت وقيّمت ردود فعل إسرائيل على الخطاب وعلى التوصيف المذكور؟

■ **الموضوع ليس ردود فعل إسرائيل على أجزاء من خطاب الرئيس أبو مازن، فالأهم هو إسرائيل وخاصة حكومتها الحالية غير معنية أبداً بالسلام، ولا تقرّ بأي أفكار تفضي الى التسوية، ولا تعترف بحل الدولتين، ولا تتحدّث عن ذلك على الإطلاق، وترفض وقف الاستيطان وإنهاء الاحتلال وأي حديث عن الحدود... كل ذلك لا علاقة له بما قاله الرئيس أبو مازن والردود عليه، نعم هم حاولوا توظيف الخطاب لأغراضهم الدعائية وهذا ليس بجديد. سياسة أبو مازن العقلانية المرنة والمعتدلة في الفترة الماضية وضعتهم في الزاوية أمام العالم، أبو مازن كسب العالم الى جانب الفلسطينيين في مواجهة الإسرائيليين في هذا الموضوع، ولذلك كنت تراهم يتحدثون عن هذا الرجل المعتدل وهم يشيرون الى ممارسته «الإرهاب الدبلوماسي» وإنه ليس شريكاً أو أنه معاد للسامية الخ... خلال الفترة الماضية كلها ناصبوه العداء والتحريض.**

■ قرر المجلس المركزي تجميد الاعتراف بإسرائيل واتفاق أوسلو وتأكيد فقدان الشريك الإسرائيلي للسلام وغيرها من القرارات الصارمة، ولكن السلطة متمسكة بتسوية الدولتين وبالبحث عن مفاوضات في مسارات أخرى فكيف يستوي هذا مع ذاك؟

■ **ما ورد من قرارات المركزي غير موجه لإسرائيل فقط، إسرائيل لا تريد السلام وهذه مسألة محسومة تماما، لكن قرارات المركزي موجهة الى أطراف عدة، الى الغرب والى العالم كله، وبالنسبة الى عملية السلام، فحتى الآن لا يوجد شيء مطروح على الطاولة غير تسوية الدولتين، رغم أنه آخذ بالتآكل الى درجة كبيرة.**

■ تدّعي أوساط فلسطينية، خاصة المعارضة ربما، أن السلطة الفلسطينية متمسكة بمفهوم الدولتين والرهان على المفاوضات لأنها ترغب في الحفاظ على مصالح مكوناتها هي، ماذا تقول عن هذه التقييمات؟

■ **لا علاقة لهذا الموضوع بالمصالح، هذا موضوع مصيري مرتبط بمصير الشعب الفلسطيني وبقضيته الوطنية وليس غاية جزئية لها علاقات بمصالح هنا أو هناك، ما نبحث عنه مرتبط بحرية واستقلال الشعب الفلسطيني ولن نترك وسيلة أو طريقاً إلا سنسلكها من أجل هذه المسألة، من الصعب التقاط نتائج قرارات المجلس المركزي بشكل جزئي، أو بما يقوله فلان أو علان أو معارضة، أو بأي حديث عن مصالح، ينبغي أن نرى الصورة شاملة، لم يعد لدينا أوهام أبداً بأن الولايات المتحدة يمكن أن تعمل من أجل السلام، «غسلنا أيدينا» من الولايات المتحدة بهذا الموضوع، ولذا نبحث اليوم عن وسيلة توصلنا الى حرية شعبنا وإنهاء الاحتلال، هذا هو الأساس، لقد يئسنا من الولايات المتحدة، ولهذا نتوجه اليوم الى الاتحاد الأوروبي وللأمم المتحدة، ونتوجه الى العالم لبناء مرجعية دولية بديلة وللعمل على بلورة مؤتمر دولي، هذا هو الاتجاه العام. هكذا ينبغي قراءة مجمل قرارات المجلس المركزي ولا يجوز النظر اليها بشكل جزئي، بمعنى هذا صرّح وهذا قال أو علق، فالمسألة ليست هكذا.**

■ كان د. صائب عريقات قال للقناة «الثانية» الإسرائيلية قبل أسبوعين إنه يدعو الرئيس عباس الى تبني خيار الدولة الواحدة، فهل هذا تعبير عن تهديد أو غضب أم خيار حقيقي؟

■ **كنا نتحدث عن حل الدولتين وأنه بدأ يتآكل، لسنا أسرى خيار الدولتين ولكن لا خيارات أخرى الآن مطروحة على الطاولة سوى خيار حل الدولتين. وإذا كانت إسرائيل لا تريده على الإطلاق فلتقل لنا ماذا تريد، يعني البديل نعم هو حل الدولة الواحدة ربما، نريد من إسرائيل أن تقول ما هو تصورها، نحن الآن كفلسطينيين بين النهر والبحر نساوي اليهود عددا وربما أكثر، فهل يمكنهم أن يقولوا لنا ماذا يريدون، وما هو الحل الذي يتصورونه لهذه الكتلة البشرية؟ أن نبقى بدون خيار سوى بقاء شعبنا تحت الاحتلال، هذا خيار غير قائم ولم يعد ممكناً أبداً. ولذا فعلى الإسرائيليين أيضا البحث عن حل، الخيار المطروح هو حل الدولتين، وإذا كانوا مصرّين على رفضه فليبلغونا ماذا يريدون وربما يكون الحل البديل هو حل الدولة الواحدة.**

■ لماذا ترفض إسرائيل حل الدولتين رغم أن هذه التسوية تمنحها 78 في المئة من فلسطين التاريخية؟

■ **لأن أطماعها غير محدودة وهي تتجاوز الـ78 في المئة والاتجاه السائد فيها هو التطرف، وربما يفكر بعض عقلائها في ما كنا نقوله عن واقع الاحتلال.**

■ هل ما زالت السلطة الفلسطينية تأمل في بديل من نتنياهو مثل معسكر السلام أو العقلاء في إسرائيل لتحقيق «الدولتين»؟

■ **اعتقد أن الاتجاه السائد في إسرائيل اليوم هو جو التطرف، ولذا فنحن غير متمسكين بشخص أو بخيار مع مجموعة ما، بل نبحث عن حقوق الشعب الفلسطيني وعن إنهاء الاحتلال وعن الحرية والاستقلال وليس مهمّا مع مَن في اسرائيل.**

■ قرارات المجلس المركزي قابلة للتطبيق أم هي للمناورة؟

■ **كان هناك قرار في المجلس المركزي يطلب من اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير البدء الفوري في تطبيق هذه القرارات، لم يعد أمامنا خيار سوى مقاومة التوجهات الإسرائيلية بكل الوسائل الممكنة، سواء بالعمل السياسي أو الميداني أو الدبلوماسي، أو بإعادة النظر في العلاقة مع دولة الاحتلال كالاعتراف والتنسيق الأمني، كل ما ورد سيُطبّق بالإضافة الى تعزيز صمود الشعب الفلسطيني على الأرض ومقاومة الانتهاكات الإسرائيلية. لا خيار أمامنا سوى هذا.**

■ هل هي قرارات قابلة للتطبيق على الأرض؟

■ **نعم، سيبدأ بتطبيقها لا محالة، ولم يترك لنا أحد خياراً سوى ذلك، ماذا تستطيع أن تفعل أمام الانتهاكات الإسرائيلية بحق شعبنا.**

■ حتى لو أدى ذلك إلى انهيار السلطة الفلسطينية؟

■ **حتى لو كان ذلك، لا مشكلة لدينا، نحن طلاب حرية واستقلال وهذا يكلفنا معاناة وأذى ونحن جاهزون لتحمل ذلك لكن الأساس بالنسبة إلينا هو استقلالنا وحرية شعبنا.**

■ في حال أقدمت مصر والسعودية على السلام الإقليمي ماذا تفعلون؟

■ **لن نفعل شيئاً، قرارنا واضحة، لا نريد أبداً توسيع جبهة أعدائنا ونقول إن عدونا الرئيسي هو الاحتلال الإسرائيلي والسياسة الأمريكية المناصرة له، ليس لنا عدو آخر، نسعى لأن تكون لنا علاقات إيجابية مع الجميع، مع أمتنا العربية ومع العالم، من له موقف آخر حيال قضيتنا وحيال الأمة العربية نتركه لشعبه ولا نفتح معركة معه.**

■ أشار الرئيس عباس إليك بأنك موجود، فهل هذه إشارة منه باعتبارك خليفته في قيادة السلطة الفلسطينية؟

■ **لا هذا غير مطروح أبداً، ربما تحدث عن ذلك في سياق آخر مرتبط بما يجري على الأرض أو غيره، كما قلت لك الرئيس عباس يخرج عن النص في أحيان كثيرة، ليس هذا هو المقصود.**

■ هل هناك آلية لترتيب موضوع خلافة الرئيس عباس؟

■ **بالتأكيد هناك مؤسسات فلسطينية وفتحاوية والأمور مرتبة ولا مشكلة في هذا الخصوص.**

■ كيف ترى دور فلسطيني الداخل حيث تتزايد لديهم أوساط تعتقد بحل الدولة الواحدة وبضرورة النضال المشترك من أجله عبر طرفي الخط الأخضر وبرؤية استراتيجية، فما رأيك؟

■ **نحن نتفهم تماماً الظروف الخاصة بشعبنا خلف الخط الأخضر ونترك لهم الخيار ولا نريد لهم أبداً أن يكونوا في وجه العاصفة، نريد لهم دائما السلامة، فلديهم برامج وقدرة على التأثير من خلال طبيعة وجودهم في الداخل لكنهم جزء أساسي من هذا الشعب الفلسطيني ويتفاعلون معه ومع قضاياه وما يؤلمه يؤلمهم.**

■ تدفع إسرائيل الثمن هو الأهم، لأن العالم والغرب مرتبط بشبكة مصالح ولن تنهي احتلالها إلا المقاومة أو الانتفاضة الشعبية على الأرض لا المفاوضات، أما النشاط الدبلوماسي فغير كاف كما تدلل التجارب، لكن السلطة الفلسطينية تمنع ذلك؟

■ **لا، على الإطلاق، قرارات المجلس المركزي الأخير أكدت ضرورة تفعيل المقاومة الشعبية في وجه الانتهاكات الإسرائيلية، وهي قائمة وتمارس بشكل دائم ومن يمارسها بشكل كثيف مع شعبنا هم أبناء فتح الذين يقودونها، هذا جزء من الإستراتيجية الفلسطينية ولم نختلف عليها أبدا.**

■ يعني أنت راض عن مستوى المقاومة الفلسطينية؟

■ **لا بد من زيادة وتيرة المقاومة الشعبية حتى يصبح الاحتلال مكلفا لاسرائيل.**

■ هل يمكن تدفيع إسرائيل الثمن الحقيقي ونحن منقسمون بين رام الله وغزة؟ هل تستطيع اليوم وبعد سماع الكثير من الكلام أن تبشر الناس بأن استعادة الوحدة الوطنية ستكتمل على الأرض؟

■ **نعم هذا موضوع مصيري ولن نتوقف عن السعي للوصول إليه، هناك تواصل مع الإخوة في حماس في هذا المضمار، سنخطو قريباً خطوات الى الأمام.**

■ هل نحن اليوم أقرب الى الوحدة الوطنية أكثر من أي وقت مضى منذ 2007؟

■ **نعم بالتأكيد.**

■ نتوجه للاتحاد الأوروبي وللأمم المتحدة وإلى العالم لبناء مرجعية دولية بديلة عن الدور الأمريكي

■ نحن طلاب حرية واستقلال وهذا يكلفنا معاناة وأذى لكننا جاهزون لتحمل ذلك، الأساس بالنسبة لنا هو استقلال وحرية شعبنا

■ نتفهم الظروف الخاصة بشعبنا خلف الخط الأخضر ونترك لهم الخيار ولا نريد أن يكونوا في وجه العاصفة

حريات

«القدس العربي» وسط حلقة نقاشية: حقوق أم مزايا؟:

أبناء الأردنيات في الواجهة مجددا والسلطة التنفيذية تمارس "الإقصاء"

عمان ـ «القدس العربي»:
بسام البدارين

أظهر عضو البرلمان الأردني عقلة الغمار صلابة كتلة المبادرة النيابية التي يمثلها، عندما أعاد برغم الجدل السلبي كله وفي خطاب الكتلة خلال مناقشات البرلمان للموازنة المالية التمسك وتأكيد ضرورة التزام الحكومة والأجهزة التنفيذية حقوق ومزايا المواطنة الأردنية وأبنائها من غير الأب الأردني.

المبادرة ضغطت خلف الكواليس في إطار إعادة إنتاج مفهوم الاشتباك الإيجابي مع الحكومة، لكي تشمل وسيلة البدل النقدي عن دعم الخبز أبناء الأردنيات في خطوة من المرجح أن لها دورا بارزا مرة أخرى في تسليط الأضواء على ملف حقوق أبناء الاردنيات سواء في البعد الغيجابي او السلبي، وهي خطوة تقررت بكل حال على المستوى الحكومي منتصف الأسبوع الماضي ،.

أصدر رئيس الوزراء هاني الملقي تعليماته أن يشمل البدل النقدي عن رفع أسعار الخبز شريحة أبناء الأردنيات والمواطنة الأردنية المتزوجة من أجنبي مادامت تنطبق عليها معايير الفئات الاجتماعية المشمولة بنظام بدل النقد عن الخبز.

الخطوة، وخلافًا لمرات سابقة لم تنته بجدل ونقاش حول هذا الموضوع، لكنها أعادت الاعتبار لإظهار ملف مزايا أبناء الأردنيات اللواتي يواصلن الطلب، ومن جميع الجهات في التعامل باحترام وتقدير مع أوضاع أولادهن بالمعنى القانوني والعملي في الأردن.

مزايا أبناء الأردنيات تتعرض لضغط عند التنفيذ والتطبيق وقد تحدث مع «القدس العربي» سابقًا عن هذا الموضوع مؤسس المبادرة البرلمانية عضو مجلس النواب السابق الدكتور مصطفى حمارنة عندما اعتبر أن أبناء الأم الأردنية وديعة بالمعنى الأخلاقي بأيدي أطراف المجتمع جميعهم وملف يدخل في باب الحقوق أكثر من أي باب آخر، متوقعًا أن انحسار الجدال بالمدلول السياسي حول هذه القضية ساعد في اتخاذ خطوات ينبغي أن تخضع للمتابعة دائمًا.

الحمارنة كان قد استغرب عدة مرات الإصرار على تسييس مسألة حقوقية بسيطة تعبّر عن الاحترام لركن نصف المجتمع، وهو المرأة الأردنية في الوقت الذي أعاد فيه أعضاء كتلة المبادرة الاعتبار مجددا للمنجز المتعلق بحقوق أبناء المواطنة الأردنية بعيدًا عن التخمة السياسية التي حاولت تشويه مواقف واتجاهات لها علاقة بقضية حقوقية.

الحكومة السابقة برئاسة الدكتور عبد الله النسور كانت قد أقرت لائحة تعليمات خاصة بمزايا أبناء المواطنة الأردنية المتزوجة من أجنبي حيث فرصة الحصول على العلاج والتعليم وإصدار رخصة قيادة سيارة ورخصة مزاولة مهنة بعد أن تبنت المبادرة عندما كان الحمارنة في مجلس النواب تعريفًا للمسألة يتعلق بجوانب وطنية واقتصادية واستثمارية وبيئة اجتماعية مستقرة لها علاقة بالسلم الاجتماعي بدلا من تكوين نظرة عدائية للمرأة الأردنية وأفراد عائلتها وأولادها من غير أردني.

إساءة مباشرة لكل امرأة أردنية

القصة كانت قد ثارت مجددا قبل نحو شهرين عندما تسبب عضو البرلمان السابق محمود الخرابشة بضجيج واسع النطاق في إثر ظهوره في أحد برامج محطة تلفزيون ألمانية مطالبا شابا يحمل والده الجنسية المصرية أن يحمل والدته ويغادر الأردن.

حصل ذلك خلال إفادة تلفزيونية تقدم بها الشاب عندما قال إنه ولد في عمّان من أم أردنية وينتمي لها ولا يعرف غيرها ويريد أن يحصل على حقوقه الطبيعية المعيشية وفرصته كاملة مثل أقرانه من الأردنيين.

ردة فعل وعبارة الخرابشة آنذاك تسببت بعاصفة من الجدل والانتقاد عبر وسائط التواصل الاجتماعي حيث هوجم الرجل بقسوة من قبل الناشطات في مجال حقوق الإنسان وحقوق المرأة وتم تذكيره بأن مطالبته كل ابن أردنية بحمل أمه والمغادرة، لا يمكنها أن تكون تعبيرا عن موقف سياسي بقدر ما هي إساءة مباشرة لكل امرأة أردنية.

حسام مصطفى وهو ناشط شاب أمه أردنية ووالده من جنسية عربية، نظم حلقة نقاشية خاصة وسط مجموعة من الشبّان حضرتها «القدس العربي» وتخللها التذكير بأن حرمان شريحة موجودة فعلا في الأردن ولا يمكن ترحيلها من المشاركة في مجمل عملية الإنتاج الوطني مسألة لا تفيد المملكة ولا المجتمع، ناصحًا الخرابشة ومن يتبنى موقفه السلبي بالحرص على إظهار قدر من الاحترام للمرأة الأردنية والاهتمام بعدم إنتاج وإثارة مساحات احتقان وسط المجتمع بلا مبرر.

مصطفى شرح أن الحديث هنا عن شبان وصبايا لا يعرفون وطنا بالمعنى العاطفي والوجداني إلا الأردن، ليس فقط بحكم مكان الولادة وجنسية الأم أو الإقامة، لكن أيضا وهذا الأهم بحكم النتاج الطبيعي لعلاقة عاطفية ومصالح تمأسست في المجتمع، بحكم اعتبارات تمنع أبناء الأردنيات في الكثير من الحالات من المغادرة أصلا إما لأسباب قانونية أو عائلية أو بسبب الانفصال بين الزوجين.

يقول مصطفى: تلك ليست عدالة في حال كانت أمي أردنية وولدت في عمّان ونشأت وترعرعت وتعلمت فيها، أن لا أحصل على حقوق معيشية متوازية لها علاقة بالتعليم وفرص العمل والخضوع لكل الاعتبارات وتحديدا تلك التي يعيشها أقراني ومن ولدوا معي من أردنيين.

في الجلسة نفسها تحدث ناشطون آخرون عن صعوبة تصديق ما سمّوه بالتقليم السياسي الذي يعادي حقوق أبناء الأردنيات ليس فقط بسبب المبالغة في إحصائهم وأعدادهم.

ولكن أيضا بسبب وجود وعي متكرس وسطهم بأن الحديث عن حقوق معيشية واجتماعية طبيعية ومتاحة لأي مقيم شرعي في أي بلد في العالم وليس عن حقوق سياسية يمكن أن تنافس الخرابشة أو غيره في البرلمان أو في مناصب الوزارة ويمكن ان تزاحم الأردنيين في فرص ومساحات التمثيل.

خدمات إنسانية بسيطة

الناشطة آسيا المغربي بدورها استعرضت الأرقام التي يتم الإشارة لها عند تسييس هذه المسألة وتحدثت عن خدمات إنسانية بسيطة تكفلها كل مواد الشرعة الدُّولية لكل من يحمل إذنا بالإقامة في بلد، ولكل من يولد أصلا في دولة، مع أن الكثير من الدول المتحضرة تمنح أبناء المرأة أصلا بموجب الدستور والقانون حقوقا سياسية وسيادية كاملة، وهو أمر قالت المغربي إن أحدا لا يطالب به في الأردن بسبب الادراك المسبق للحساسيات التي يمكن ان يثيرها.

أكثر من حلقة نقاشية نظمت لتبيان النواقص التي يتحدث عنها أبناء الأردنيات وهم يستعرضون مشكلاتهم الحيوية والمغربي مع مصطفى يصران على أن دخول ما سمي بمزايا أبناء الأردنيات إلى حيز الإطار القانوني بموجب ما تقرر بين البرلمان والحكومة السابقة لم يرافقه بعد وللأسف التزام حقيقي من سلطات التنفيذ بتلك النصوص والبروتوكولات القانونية.

وفيما يقر قادة المبادرة والحمارنة منهم أن التزام تعليمات القانون هنا ينبغي ان يتجاوز الحالة السياسية لأي حكومة وأن يكون ملزما لكل المستويات التنفيذية من دون تباطؤ أو مماطلة، فيما يحصل ذلك يتحدث راصدون حقوقيون عن قصور منهجي ومبرمج في متابعة المعاملات المعنية بمزايا أبناء الأردنيات وعن شوفينية وطنية تمارس ضدهم في بعض المؤسسات عند التقدم بطلباتهم ومعاملاتهم.

ويبدو هنا أن الأجهزة التابعة لوزارة الداخلية مثلا تحظى بالحصة الأكبر من الشكاوى المتعلقة بالتسويف والمماطلة وعدم الالتزام بما تقرر في السياق النظامي والقانوني على مستوى الدولة فيما يحتاج دعم معاملات المعنيين في دوائر مثل مجالس البلديات ومديريات التربية والتعليم ودوائر وزارة الصحة إلى غطاء سياسي يمنع التلكؤ البيروقراطي ويلتزم الإطار القانوني وينهي حالات التمييز التي ترصد هنا وهناك من قبل بعض أبناء الأردنيات وهم يراجعون مؤسسات القطاع العام المعنية بالخدمات.

تعقيدات بيروقراطية

لا يطالب النشطاء بامتيازات خاصة بل يتحدثون عن خدمات طبيعية وبسيطة تتيح لهم فرصة التعلم والتدرب والعمل وسط المجتمع الذي ولدوا فيه ويحترمون تقاليده، وبالتالي لا يتحدث النشطاء هنا عن حقوق سياسية بل مزايا خدماتية لها علاقة بالعادة بحقوق معروفة عندما يتعلق الأمر بإقامة طبيعية في أي دولة مثل الحصول على رخصة لفتح مشروع وتسجيل ملكية عقار وتمكين القطاع الخاص من تعيين أبناء الأردنيات أصحاب الكفاءة وفي ظل التنافس الطبيعي ومن دون إعاقات.

يتحدث المعنيون أيضا عن تقبل أمني لفكرة المزايا التي تقررت بفعل قواعد الاشتباك الإيجابي قبل أكثر من ثلاث سنوات بين السلطتين بما في ذلك منع التعقيدات البيروقراطية عند أي مراجعات والحصول على أذونات أمنية بالعمل خارج البلاد وحصة من مقاعد التعليم الجامعي المتاحة لكل الأردنيين في الجامعات الرسمية بعيدا عن التعامل مع أبناء الأردنيات وكأنهم غرباء أو أجانب مع حقوق رعاية للأطفال منهم وتمكينهم من تلقي العلاج في المستشفيات الحكومية وحصولهم على الإعفاءات الطبية في حالات الطوارئ مثل بقية الأردنيين.

الراصدون هنا يشيرون في التفاصيل إلى غلاظة في المعاملة معهم عند زيارة دوائر مثل المتابعة والتفتيش والأحوال المدنية وعن تباطؤ في إصدار رخص المهن ورخصة قيادة السيارة وعن نظام أولويات يخدم اللاجئين قبلهم في سلك التعليم الحكومي والقطاع الصحي.

تلك كلها في طبيعة الحال وبعد أن قرعت المبادرة البرلمانية الجرس مجددا في تذكير الجميع بهذا الملف، مشكلات إدارية بسيطة تحتاج لغطاء سياسي حاسم فقط بعدما أنجز الحمارنة وفريقه اختراقهم الأكبر في تمرير مفهوم حقوق أبناء المرأة الأردنية لكي تصبح ثقافة جديدة في المجتمع وحتى داخل أروقة الدولة والمؤسسات.

وهي ثقافة لديها أصدقاء وانصار اليوم ومؤيدون ويواجهها مسؤولون في حالة خجل من إعاقتها.

في المقابل لديها خصوم شرسون وتواجه في بعض المفاصل حالة استعصاء إداري تحاول إعادة الجميع مجددا ملف تسييس قضية ليست خاضعة للتسييس من حيث الشكل والجوهر حتى بعدما تقلصت هوامش الاعتراض في المجتمع وتغيرت تلك النظرة السلبية لمزايا وحقوق أبناء الأردنيات وتطورت قليلا تلك الثقافة السلوكية السياسية التي تعتبر احتضان وتأهيل شريحة موجودة ومستقرة في المجتمع أفضل بكثير وأقل كلفة بالمطلق من تركها لهوامش الاقصاء والاستهداف وفي كثير من الأحيان للبطالة والحرمان من التعليم والحقوق الأساسية حيث وقعت الحكومة الأردنية على كل المواثيق الدُّولية التي تضمن حرية الأقليات وتمنع التمييز بين الرعايا والمواطنين والمقيمين وتقر بالنص حرية التنقل والمأكل والملبس والسفر والعمل.

الحديث اليوم في الحالة البرلمانية والسياسية الأردنية عن حقوق أبناء الأردنيات أقل ضجيجا مما كان يحصل في الماضي والبعد الثقافي في المسألة تكرس أكثر من الماضي.

لكن المقاومة السلبية لا تزال موجودة والشكوى ترصد بين الحين والآخر مرة من خلال حالة استعصاء إداري وبيروقراطي تحاول تضليل أصحاب القرار والعبث مع هذه المزايا الحقوقية ومرة من خلال تصريحات أو تعليقات لقيادات في المجتمع من الصنف الذي يحترف بث ثقافة الكراهية أو يبالغ في الوطنية عبر المتاجرة بها أو حتى من الصنف الذي يميل برغم ثبوت عدم حصول مشكلة نتجت عن مزايا أبناء الأردنيات إلى العزف الدائم على وتر المخاوف والهواجس السياسية.

محصلة الموقف، إن مزايا أبناء الأردنيات عادت إلى الواجهة مؤخرا مرة جديدة ولكن بضجيج أقل وعبر لافتة الشمول بالبدل النقدي للخبز أو عبر خطاب جديد للمبادرة البرلمانية التي صمدت سياسيا ووطنيا برغم كل التحرش بها.

وهي عودة محمودة بالنسبة للمجتمع الحقوقي وإن كانت التذمرات من مستوى الالتزام ما زالت في عمق المشهد.

كتب

الروائي السوري فادي عزام في «بيت حُدُد»:

تجسيد المأساة وحقائق الثورة المغدورة

هاشم شفيق

كلُّ حرب لها ضحاياها ومشعلوها، وكل مأساة لهاً مدوِّنوها وكتابها وموثقوها، ولها الشاهد العياني، والمشارك، إنْ كان صحافياً، أو كاتباً، أو أديباً مغامراً ووطنياً، وجد البلاد في عهدته، أو في قلبه كتعبير نيرودا، وهو المواطن التشيلي حين كتب أثناء الحرب الأهلية «إسبانيا في القلب»، أو همنغواي حين كتب روايته «وداعاً للسلاح»، وموديانو في مجمل رواياته، وستيفان زفايغ في مذكراته التي كتبها في البرازيل قبيل انتحاره هناك، كذلك الفرنسي اندريه مالرو الذي كتب رواية «الأمل»، هذا ناهيك عن «المذكرات المضادة» التي كتبها مالرو ودوَّن الكثير عن خفايا الحرب العالمية الثانية، وفضح أيضاً الكثير ممن هادنوا وصمتوا، وابتعدوا وتواطأوا مع الأجنبي الدخيل، والمعتدي على أرضهم الفرنسية. كتابات ووثائق وروايات كثيرة ظهرت عن الحربين العالميتين الأولى والثانية، وصُنعتْ أفلام لا تحصى عنهما، ولا تزال حتى اللحظة تكتب روايات مستعيدة تلك الأيام العصيبة في الحياة الأوروبية والأمريكية.

أزعم أن الحروب والجوائح والتهاويل الكارثية والتراجيديات هي من يصنع الأعمال الباهرة والمؤثرة، كونها ترتبط بالمصير الإنساني وبالنهايات للبشرية، ومآلات المجتمعات حين تدهمها كارثة ما، أو مأساة تفجر الدم وتحصد الكائنات الحية، وتدمر الحياة وتفني الأرض والبشر، ومثالنا الساطع والحي في عالمنا العربي حربا الخليج الأولى والثانية، وحروب «داعش» في كل من العراق وسوريا، ومن ثم حروب «الربيع العربي» وما آلت إليه من انتكاسات وحروب دموية ومصائب يومية، في كل من اليمن وسوريا.

وفق هذا السياق، بدت الحرب السورية حرباً مدمرة، دمرت بلدات وحواضر ومدائن لا تحصى، كل ذلك جاء عبر نداء يطالب بالحرية، والحقوق الديمقراطية، والانفتاح الفكري والعقائدي، وعدم احتكار السلطات بيد واحدة، وحصر المعتقدات في معتقد واحد، فحصلتْ ثورة سلمية، من دون سلاح في المبتدئ، حوَّلتها السلطات الفاشية والطائفية والديكتاتورية إلى ثورة مسلحة بالقوة، قوة المحق والقتل والتعذيب، قوة البراميل المتفجرة، والمواد الكيميائية التي طاولت النساء والشيوخ والأطفال، وقضت على حياة كاملة لآمنين، غير مسلحين، وشردتْ شعباً أعزل إلى مدن مجاورة وأجنبية، تعدى العشرة ملايين، من أجل الحفاظ في النهاية على الكرسي لشخص واحد، وفئة واحدة، طائفية، مستوردة بميليشيات خارجية، وعصابات وافدة من هنا وهناك، لتقول: نحن أقوى من الشعب، ونحن كعيِّنة مجرمة الأكثر بقاء على هذه الأرض المحروقة، والمدماة والمحروثة بالقنابل والصواريخ الإيرانية والروسية، والمسقطة بغاز السارين والخردل، وبراميل الموت المحمولة بطائرات الحاكم.

مناسبة هذا الكلام الآنف، المحزن والمؤسي، هو صدور رواية «بيت حُدُد» للروائي والإعلامي السوري فادي عزام، الذي جسَّد على نحو خلاق ومبدع حقيقة هذه الثورة المغدورة، بتفاصيل لا تحصى، وحبكات كثيرة تخللت هذا العمل المتعدِّد والكبير والبوليفوني، ذا الأصوات الكثيرة والمتداخلة في نسيج شخصيات لا تنسى، شخصيات مركزية ومُعبِّرة، عبَّرتْ بحنكة وحذاقة ودربة جمالية، دربة المُتْ بالتقانات المنتسجة داخل النص الروائي، كتضفير شبكي مجدول بإتقان، متواشج ومتناغم ومتسق مع الحادثة اليومية، والواقعة الحربية، والمشاهد التراجيدية المتوالية، ذات السمة الفيلولوجية، الظاهرة، تلك التي تميل في أحيان كثيرة، لتتخذ البعد الأبستمولوجي، مثل دراسة بحثية، تبحث في شؤون المجتمعات، لتربطها بالتاريخ والحضارات والتكاوين الأولى، لبلد حافل بالمبادآت والاجتراحات والتخليق الأولي، على صعيد البناء الأول للحضارات الإنسانية كـ «بيت حُدُد» على سبيل المثال، هذا البيت المثالي والاستاتيكي والأركيولوجي، آنه بيت متحفي، مستمد اسمه من إله الصواعق والأمطار «آداد» كما تجسَّده الأسطورة الرافدية، العراقية والسورية القديمتين.

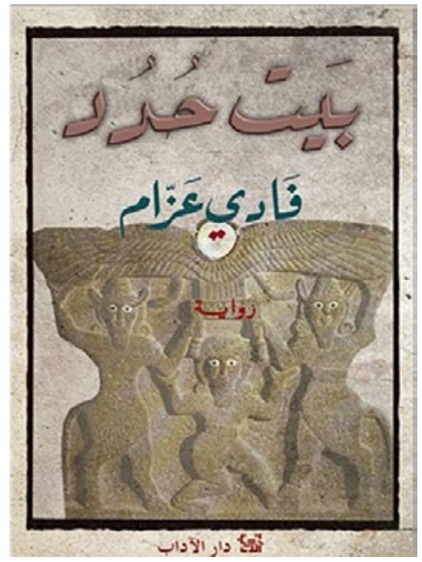

على بدء انطلاقة شرارة الثورة السورية، في مثل هذا التوقيت. ومكان الرواية يتوزع بين دبي حيث يقيم فيديل المخرج السينمائي ولندن، ثم دمشق وبعض المناطق السورية التي ثارت على النظام البعثي الفاشي في سوريا.

لكن الشخصيتين فيما بعد ستكونان في دمشق، ففيديل يأتيه عرض مغرٍ لإخراج فيلم في سوريا، وأنيس الطبيب في تشلسي، تأتيه رسالة صوتية على المجيب الآلي، تدعوه إلى القدوم لسوريا، لتسوية الإرث الذي تركه له خاله، هو «بيت حُدُد».

حال وصول الشخصيتين، ستبدأ ثورة الرواية، فهي عمل جامع وشام، تتجلى فيه صورة الثورة السورية المزقة بنيران الأسلحة الثقيلة، وأجندات أجنبية استغلت الثورة والثوار، واحتلت واستباحت الدول الموالية للنظام البعثي المقادير والمقاليد والدفة الحربية، لتكون الأداة التي غيَّرتْ من اتجاهات الثورة وسياقها الاستراتيجي، المتمثِّل بإزاحة كابوس النظام الديكتاتوري عن سوريا.

وحين تدخل الحرب إلى بلد، سيظهر في المقابل العالم المناقض له، الحب، حرب وحب، وكما قال أوفيد صاحب «فن الهوى»: الحبّ ضرب من الحرب.

إذاً في غمار الحرب وداخل أتونها، تظهر قصص الحب، كتعويض عن عالم الموت والنهايات، والمهالك والكوارث التي تؤكدها الحروب، وهي تسير لتطحن بأسنانها النارية كل ما يمت للحياة بصلة.

وكما خطط الدكتور أنيس لرحلته التي أرادها، وهو في لندن، أن تكون مختصرة ببيع البيت ثم العودة إلى لندن ومواصلة عمله الطبي، غير أن التمني شيء، والأحداث والأقدار التي تقع عليك هي شيء آخر، ففور وصوله يسعى د.أنيس إلى الاتصال بمحام لترتيب عملية البيع، بيد أن المسار الجديد والواقع المختلف الذي واجهه كان يفوق الوصف، بعد إجراءات وحدوث وتصوير البيت وهبوب رياح الثورة، حيث سيقلب كل شيء رأساً على عقب، سيقع الدكتور وهو في سياق بحثه عن مشترٍ لبيع البيت التراثي، في حب سامية المناضلة والمنحازة للثورة، وسيكون البيت مقراً لتجمع الثوار. فيديل سيقع أيضا في حب ليل المتزوجة أيضاً من عادل وهو طبيب أورام، وثمة رويدا الصحافية الشيوعية، وعيسى صديق رويدا التي ستعتقل بسبب نشاطها الحزبي. وعيسى هذا هو صديق قديم للدكتور وليل، وهو الذي سيلتقيه في إحدى مقاهي الشام، بعد وصوله بقليل، ليوضِّح له مسار الحياة الجديدة، في ظل غياب الدكتور أنيس الطويل عن دمشق، مستغرقاً في الحديث عن الأصدقاء القدامى، وماذا حلَّ بهم، وأين أصبحوا، كعباس الذي أصبح مخبراً في الأمن وغيرهم.

وعطفاً على هذه البدايات، ستدخل الشخصيات المسالمة في منعطفات خطرة، فحين ستتطور الثورة السلمية إلى حرب مفجعة، طاحنة، تتشارك بها دول إقليمية وأجنبية، وتدخل على الطرف الآخر ميليشيا تنظيم «الدولة» الإسلامية الطائفي المجرم، ستتلوَّث الثورة، والأبيض سيدخل بقوة السلاح وجبروته إلى المنطقة الرمادية، ليكون وقود الحرب الطاحنة والضحية في آن، وكمثال على ذلك ها هو الدكتور أنيس القادم من لندن، لتسوية بيع بيت تراثي، سيُختطف ويُجبر من قبل قادة بعض الميليشيات المسلحة وميليشيا النظام، على عمل عمليات جراحية، لمجموعة مسلحة تتاجر بالأعضاء البشرية. ابنه سامي الذي جاء إلى دمشق أيضاً، سينخرط في الحراك السوري، وسيقع في يد عصابات النظام، ولكنه سوف ينجو بعد لأي ومصائب لا تعد ولا تحصى، ليتخلص من هذا الأتون، عبر وساطات أدَّتْ به إلى أن يعود إلى لندن لينتتج موقعاً إلكترونياً خاصاً بـ«بيت حُدُد» جامعاً التدوينات البحثية، ليودعها المكتبة الوطنية البريطانية. سامية التي تتحدَّر من أسرة علوية والتي ارتبطتْ بعلاقة مع أنيس وانخرطتْ في الثورة، ستعمل في مستشفى ميداني يسعف الثوار الجرحى، لتنقذ ما يمكن انقاذه.

ومثل أي حرب، يسود في بعض جوانبها اللا قانون، وتطغى شريعة الغاب، كي يحل الفساد والنهب والقتل كسمات بارزة، سنشهد ميليشيات تتصارع وتتقاتل ليل نهار، ثمة خليط ظاهر، جنود روس، شبِّيحة النظام، المخابرات ورجال الأمن، ميليشيا عراقية وإيرانية، يقابلها جنود فارون، الجيش الحر، عصابات مسلحة من هنا وهناك، «داعش» وأخواتها، أكراد مدعومون من أمريكا، دول ما تساعد هذا وذاك، دم وسلاح وقتل على الهُوية، سواتر وحواجز أمنية وعسكرية للنظام وللمعارضين، بيوت وبلدات تتهدَّم، وعود وعهود ومواثيق تذروها الرياح، مشرَّدون وخيام وضحايا بالآلاف، حيث تحول الضحية الى جلاد بقوة الكراهية والسلاح والقهر، كما حصل للدكتور أنيس، إذ يُسجن ليلاقي تعذيباً رهيباً، قاسياً ومرعباً، والذي سينتهي نهاية مأساوية، تؤدي به إلى الانتحار، وكذلك فيديل سيلاقي المصير ذاته، عادل زوج ليل يُصرف من عمله، ليصاب بجلطة، وليل أيضاً تُصرف من عملها، لدى مستشفيات النظام، كونها صديقة لسامية، تأتيها تهديدات من جماعة الطبيب سعد الدين البعثي والموالي للنظام، وتطلب منها مغادرة سوريا، وحتى لبنان، عليها ألا تفكر به.

هذه رواية وثيقة، رواية سينمائية، مترعة بالوثائق والشهادات والمدوَّنات، وتحتاج إلى أكثر من مبحث ودرس وتحليل يفيها حقها.

فادي عزام: «بيت حُدُد»
دار الآداب، بيروت ـ 2017
463 صفحة

تضجّ الرواية بالثيمات والفانتزمات والخطوط الدرامية التي تتواتر وتتدرَّج، كلما أوغلت الشخصيات في مصيرها المتشظي والدامي والدراماتيكي، إننا حقاً أمام عملٍ دراماتيكي يصلح لأن يكون فيلماً، جارحاً ومؤثراً، لا تشفير رمزيا في العمل، بل دلالات تظهر، ومعان تبرز، وطبوغرافيات تنهض من واقع أرض متربة بالآلهة والأساطير والتكاوين البكر للحضارات والبدايات والتشكلات البدئية، في الأرض السورية، حيث عملية الخلق والتخليق الميثيولوجي تأسست فوق تلك الأرض الرافدية، لتتشكل مدن أولى ترقى إلى آلاف القرون قبل الميلاد.

من هنا تشكلت ثيمة العمل، وتمحورتْ حول سياق جوهري تركز في «بيت حُدُد» التاريخي، وقام النسق السردي عبر شخصيات رئيسية، هي الخال أنيس الذي يملك هذا البيت، والمسجل باسمه عبر أوراق مكتوبة ومختومة، فهو طبيب جراح يعيش في لندن، له ابن اسمه سامي يعيش معه في المملكة المتحدة، ومتزوج من إنكليزية، طبيبة أيضاً، وهناك في السياق الثاني من السرد شخصية فيديل الذي يعيش في دبي، له والد ماركسي، سماه فيديل تيمناً بفيديل كاسترو، وأم تتمنى له أن يكون داعية، مثل أخواله، ولهذا حمل اسمين، فيديل الشيوعي وفضل الديني.

زمان الرواية

يبدأ في عام 2011 ولهذا دلالته الواضحة

سعود المولى في «من فتح إلى حماس، البدايات الإخوانية والنهايات الوطنية»:

مواقف الشيخ حسن البنا مهدت لانطلاق مقاومتي «فتح» و«حماس»

سمير ناصيف

لعل القليلين من أبناء الأجيال الجديدة في العالم العربي يدركون أهمية الدور الذي لعبته «حركة الإخوان المسلمين» في سياسة المشرق العربي والعالم الإسلامي لدى تأسيسها في بداية القرن الماضي في مصر على يد الشيخ حسن البنا ودورها في التأثير على حركات المقاومة المناهضة للاستعمار والرافضة لفرض إنشاء دولة إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني في أواخر أربعينيات القرن الماضي وبعد ذلك.

وربما على الذين يريدون صورة موضوعية (ولكن متعاطفة أيضا) مع هذه الحركة وتأثيرها بشكل خاص على منظمات المقاومة الفلسطينية منذ نشوئها وبعد انطلاق مقاومتها ميدانياً، قراءة كتاب المؤرخ والمحلل اللبناني الدكتور سعود المولى (الصادر مؤخراً) بعنوان: «من فتح إلى حماس: البدايات الإخوانية والنهايات الوطنية».

البعض من أبناء الجيل الجديد في منطقتنا قد يعرف ان الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر وبعض رفاقه في ثورة عام 1952 انتسبوا إلى هذه الحركة الإسلامية، قبل ان يختلف عبد الناصر معها (فيما بعد) بعدما تسلم منصب الرئاسة في عام 1954 من اللواء محمد نجيب حليفه في ثورة عام 1952.

كما ربما لا يدرك هؤلاء ان رئيس وزراء حكومة استقلال لبنان الراحل رياض الصلح، والملك السعودي (قبل صعوده إلى العرش) فيصل بن عبد العزيز، وأمين عام الجامعة العربية في تلك الفترة عبد الرحمن عزام شاركوا في «تظاهرة مصر الكبرى» في تشرين الثاني (نوفمبر) 1947 التي نظمها وأشرف عليها مؤسس «حركة الإخوان المسلمين» الشيخ حسن البنا وشاركت فيها قيادات وجماهير غفيرة من سائر أنحاء المنطقة وقبل ان أحد الأسباب الرئيسية لاغتيال الشيخ البنا على أيدي الحكومة المصرية وداعميها آنذاك كان تنظيمه لتلك المظاهرة الشديدة الأهمية في تاريخ المشرق الحديث، والتي نددت بقرار الأمم المتحدة والدول الاستعمارية الكبرى إنشاء دولة إسرائيل والاعتراف بالكيان الصهيوني.

في الفصل الأول من الكتاب، يؤكد سعود المولى ان جماعة «الإخوان المسلمين» تعاونت بشكل وثيق في عمليات المقاومة الفلسطينية والعربية في فلسطين (1947 إلى 1949) وخصوصاً مع الشهيد القائد الميداني عبد القادر الحسيني ومع الحاج المفتي أمين الحسيني. كما ساهمت في تهريب الحاج أمين من فرنسا إلى مصر، بعد ان لاحقته دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية واتهمته بالتعاون مع المانيا النازية خلال تلك الحرب.

في الفصلين الثاني والثالث، يتناول علاقة فتح (في الفصل 2) وحماس (في الفصل 3) مع تنظيم الإخوان. ويورد تفاصيل دقيقة وهامة أبلغه إياها القائد الشهيد خليل الوزير (أبو جهاد) قبل اغتياله، في مقابلة أجراها معه، وأكدت زوجة الوزير صحة ما ورد فيها. (إسرائيل اغتالت الوزير في عملية نفذها الموساد في تونس في نيسان (ابريل) عام 1988).

وحسب الكاتب، فان معظم قادة «فتح» و«حماس» انتسبوا في مرحلة ما (خصوصاً في الأربعينيات من القرن الماضي عندما كانوا طلاباً في مصر) إلى حركة «الإخوان المسلمين».

ولكن لدى إنطلاق المقاومة الفلسطينية ثم تأسيس حركة فتح (في الخمسينيات والستينيات) طلب أبو جهاد من القادة والناشطين في المقاومة والحركة عدم الدعوة إلى عقيدة أو أيديولوجية غير عقيدة ومبادئ «فتح» وعدم الوقوف مع أي حكومة عربية ضد أخرى في وثيقة النص التأسيسي لفتح التي وزعها الوزير في عام 1957. (ص 116)

واستناداً إلى حديث أجراه المؤلف مع انتصار الوزير (زوجة ابي جهاد) يشير في هامش صفحة (80) من الفصل الأول ان النسخة الأصلية من كتاب «البدايات» لابي جهاد الذي أصدرته حركة فتح عام 1986 تم تعديلها بناءً على رغبة الوزير، كانت قد أشارت إلى ان حركة المقاومة الفلسطينية الميدانية المسلحة لإسرائيل انطلقت بقيادة القائد خليل الوزير من غزة في عام 1954. وقد تم تعديل هذا الواقع الوارد في النسخة الأصلية لـ«عدم إغضاب أحد مؤسسي فتح». وكان اسم الكتيبة (بقيادة الوزير) التي نفذت هذه العمليات وردت في الفصل الثالث، يقول ان هذه الحركة ولدت في كانون الأول (ديسمبر) عام 1987 وأطلقها قادة من كبار حركة «الإخوان المسلمين» في فلسطين وهم الشيخ احمد ياسين وإبراهيم اليازوري ومحمد شمعة (ممثلو غزة) وعبد العزيز الرنتيسي (ممثل خان يونس) وصلاح شحادة (ممثل منطقة الشمال) وعيسى النشار (ممثل مدينة رفح) وعبد الفتاح دخان. وهؤلاء المؤسسون كانوا من اللاجئين إلى غزة. وقد دخلها محمود الزهار وموسى أبو مرزوق لاحقاً حيث أتوا من الجامعات المصرية.

من غزة (نهاية عام 1954 وبداية 1955) «كتيبة الحق» المنشقة عن حركة الإخوان، كما كان دافعها تعطيل مشروع أمريكي لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في غزة (عام 1953).

في الصفحة (98) يقول انه «بعد نكبة 1948 فان تجربة الإخوان في حرب فلسطين استهوت عدداً من الشبان في غزة، أبرزهم خليل الوزير وياسر عرفات ومحمود عباس وصلاح خلف وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار» ويضيف: «قد روى (لي) أبو جهاد كيف كان يتدرب على السلاح منذ العام 1949 على يد ضباط مصريين من الإخوان في قطاع غزة، وكيف قام معهم بعدة عمليات عسكرية ضد الاحتلال في أعوام 1950ـ1954».

بالنسبة لمعلومات الكتاب عن حركة «حماس» التي ويشير المولى إلى أمور هامة كانت لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة في نشوء حماس وتصاعد دورها، أولها انطلاق الحركات الإسلامية المقاومة بعد فشل التوجهات والحركات القومية العربية والناصرية، وثانيها توسع شعبيتها بعد اغتيال خليل الوزير (أبو جهاد) (عام 1988) وثالثها تغير سياسة إسرائيل التي صاغها وزير الدفاع موشي دايان بين عامي 1967 و1977 والتي سمحت للجمعيات الفلسطينية غير السياسية وغير المتعاطية بالشأن العام والتي «لا تشكل خطراً على الأمن» بممارسة أعمالها.

غير ان صعود التيار الإسلامي المتشدد والمقاوم في الضفة وغزة جاء (حسب الكاتب) لموازاة صعود اليمين المتطرف في إسرائيل بعد عام 1977 وبعد تصاعد موجات الاستيطان وظهور منظمات يهودية «غوش امونيم» وغيرها ارتكبت تعديات على المقامات والمقدسات الإسلامية وعلى المصلين (ص 142). ومما ساعد في هذا الصعود نشوء حركات جهادية مقاومة في مصر ثم الثورة الإسلامية في إيران (1979) وتطورات الحرب الأهلية اللبنانية.

وساهم صعود أرييل شارون إلى وزارة الدفاع عام 1981 في تأجيج الصراع بين الإخوان في فلسطين والمنظمة وخصوصا بعد تحويل غزة إلى سجن والغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982. وقررت آنذاك الحركات الإسلامية الفلسطينية تنشيط عمليات التسلح وانشأت «منظمة المجاهدين الفلسطينيين» (مجد) بقيادة الشهيد صلاح شحادة، كما تأسست في تلك الفترة «حركة الجهاد الإسلامي» بقيادة الشهيد فتحي الشقاقي. إلا ان القيادة العسكرية الحالية في «حماس» تتولاها «كتائب القسام» المستقلة في تحركاتها برغم وجودها تحت مظلة «حماس».

ويشير الكاتب إلى مرور فترات تعاونت فيها حركتا «فتح» و«حماس». ويستنتج القارئ بأنه لولا اغتيال القائد خليل الوزير لكان هذا التعاون (الميداني خصوصا) ربما تم إلى درجة أكبر نظراً للدور الهام جداً الذي لعبه الوزير في المقاومة الفلسطينية الموحدة عموماً. حيث نسق مع «الإخوان المسلمين» ومع الأحزاب الوطنية العربية واللبنانية وحظي باحترام الجميع، كما استهوته في شبابه تجربة «الإخوان المسلمين» في فلسطين هو والقائد ياسر عرفات والقادة محمود عباس وصلاح خلف (أبو اياد) وكمال عدوان.

وبالنسبة إلى الصراع بين «فتح» و«حماس» فيتناول المؤلف هذا الموضوع بين صفحتي (165 و180) في خاتمة الكتاب، حيث يعتبر السبب الرئيسي لهذا الخلاف عائد إلى معارضة «حماس» لاتفاقيات أوسلو التي وقعت عليها وشاركت في تطبيقها قيادة الرئيس الراحل ياسر عرفات لمنظمة «فتح» ولـ«منظمة التحرير الفلسطينية». كما تشير هذه الخاتمة إلى ان الأمور تفاقمت بين الجهتين بعد الانتخابات الفلسطينية لعام 1996 التي قاطعتها «حماس» وأدت إلى اعتقالات واسعة من السلطة لقيادات في «حماس» و«حركة الجهاد الإسلامي».

غير ان انتفاضة الأقصى في 28 أيلول (سبتمبر) عام الالفين، حسب الكاتب، وحدت الفلسطينيين ضد الاحتلال، وانتهت باتفاق بين الفصائل عام 2005 تبعته مشاركة «حماس» في الانتخابات الفلسطينية لعام 2006. كما تم الاتفاق على عدم رفض القبول بالمبادرات العربية للسلام وبينها مبادرة الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز في مؤتمر القمة في بيروت لعام 2002 والاعتراف بمنظمة التحرير كالممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.

ولكن بعد فوز «حماس» في الانتخابات التشريعية الفلسطينية لعام 2006، يشير الكاتب إلى ان إسرائيل كانت المسؤولة الرئيسية عن تعطيل عمل حكومة القائد إسماعيل هنية.

ويستنتج الكاتب في المقاطع الأخيرة من الكتاب ان منظمة «فتح» رغم نواقصها، كانت أفضل إنجاز ثوري تحرري عربي، وانها هي التي صنعت انطلاقة الثورة الفلسطينية، وان سر نجاحها كان اعتمادها على التعددية التي دعا إليها القائدان الشهيدان خليل الوزير وياسر عرفات، هذه التعددية هي التي تعكس وضع المنطقة وتسمح بتعدد وجهات النظر، ولكنها تتمسك بخط سياسي متماسك وملتزم حول قضايا التحرير والاستقلال والعودة. (ص 179ـ180).

سعود المولى: «من فتح إلى حماس: البدايات الاخوانية والنهايات الوطنية»
دار سائر المشرق، بيروت 2018
208 صفحات

المقال

بلال فضل

زيتون سيناء وعنب الصين

سعدت كثيراً بهديته الجميلة: زجاجات من زيت الزيتون، وبعض من الزيتون السيناوي والمريميه، لكن ما أسعدني أكثر كان لقاءه أخيراً في بيتي في القاهرة بعد سنوات من المراسلة بدأت حين كان طالبا في سنته الجامعية الأخيرة، أبلغني تحيات أقاربه وأهالي قريته، وتقديرهم لأنني ساهمت في كسر التعتيم على ما يعيشونه من غشومية أمنية، حين نشرت استغاثة روى فيها ناشط سيناوي بعض ما جرى من مصائب لأهل سيناء في النصف الثاني من عام 2013. نظرت إلى كيس الزيتون بأسى، وحكيت له عن المفاوضات المضنية التي خضتها آنذاك مع رئيس التحرير، للإبقاء على فقرة تستنكر تدمير مزارع الزيتون التي تفتح يوميًا الأهالي، بزعم أهمية الحذف لعدم إضعاف الروح المعنوية للضباط والجنود، الذين يتسلل الإرهابيون لضربهم من داخل بساتين الزيتون، فتجادلنا حول خطل ذلك المنطق المشابه للمنطق الإسرائيلي في التعامل مع الفلسطينيين، وعن دور تصرفات غبية كهذه في تغذية الإرهاب، وهو اتهمني بالمزايدة والرعونة، ثم حسم الجدل بتخييري بين حذف الفقرة أو حجب المقال بأكمله. وحين نُشر المقال، الذي كان من أوْاخر ما نُشر لي، ووصلتني ردود الأفعال المرحبة من داخل سيناء واللاعنة من خارجها، سعدت لأنني لم أختر حجب المقال بأكمله، كأقل واجب تجاه معاناة أهلنا في سيناء، والتي كان الباحث المتميز إسماعيل الإسكندراني فكّ الله سجنه، أبرز من يسلط الضوء عليها في كتاباته المهمة.

حكى لي زائري العزيز عن واقعة عبثية جرت خلال حملات قطع ما يقرب من ربع مليون شجرة زيتون في تلك الفترة اللعينة، حين فوجئ صاحب مزرعة بالضابط الذي يقود حملة قطع زيتونه، وهو يوقف الجرافة قبل أن تبدأ بقطع نخلة هاتفاً في سائقها: «حاسب دي نخلة بتسبّح ربنا، حرام»، فصرخ صاحب المزرعة من غُلبه: «أيوه سيبوا النخلة اللي بتسبّح ربنا، وشيلوا الزيتون أصله بيسب الدين». لم نضحك عالياً كما كان يُفترض، لأن الكآبة ظلت تخيم على حديثنا، بعد أن روى وقائع شهور كاملة من العربدة الأمنية، أحرقت فيها منازل ومزارع وسيارات، وقُتل فيها صديقه طالب الطب برصاص ميري غبي، وأطلقت نقطة تفتيش الرصاص على الميكروباص الذي كان صديقي يستقله، فقتلت الراكب الذي يجلس أمامه ليموت من غير دية ولا تحقيق ولا اعتذار ولا حق لأهله في الشكوى، وشُنّت حملات أمنية عشوائية خلّفت وراءها قرى محروقة يُمنع على أحد أن يدخل إليها للتصوير والتوثيق، فيما أصبحت مهمة الصحافيين والمصورين شبه مستحيلة بسبب حظر التجول الذي يبدأ في الرابعة عصر كل يوم.

كان آخر ما رواه في جلستنا، واقعة مصرع فتاة من أقاربه، لقيت حتفها بسبب لم يعد مرتبطا بالموت في أي من بلاد الدنيا: مغص كلوي حاد، شاء حظها أن تصَاب به بعد بدء حظر التجول، وحاول أهلها بكل ما لديهم من علاقات ووساطات أن يقنعوا الشرطة بمساعدتهم في إسعافها إلى أقرب مستشفى فقال لهم الضابط المناوب إنه لا يستطيع المساعدة لأن قراراً كهذا في يد الجيش وحده، قالوا له أنهم حاولوا الاتصال بمعسكر الجيش فلم يوفقوا في ذلك، طلبوا منه رقم قائد المنطقة، فقال إنه لا يعرفه، استحلفه أبوها أن يساعده لأن الموقف لا يحتمل أي تأخير، فأقسم له بكل المقدسات إنه لا يمتلك أي رقم لضباط الجيش، وإنه سبق أن طلب منهم أي أرقام ليتم التواصل عليها، فرفضوا منحه الأرقام، وقالوا له باستعلاء إنهم سيتصلون به في حالة وجود ما يستدعي الاتصال. لم يكن التواصل بالتليفونات المحمولة متاحاً وقتها، بعد قطع خدمات المحمول عن المنطقة، لكن أهل الفتاة وجيرانهم استمروا في محاولة الحصول على أرقام تليفونات لقادة الجيش في المنطقة المجاورة، أو حتى في القاهرة، وبالطبع لم يفكر أحدهم في خوض مغامرة مجنونة بالتحرك لإسعاف الفتاة مهما حدث، لأن الأيام الماضية كانت قد شهدت إطلاق النار على أكثر من سيارة تعامل أصحابها مع حظر التجول باستخفاف، فاستمرت محاولات الوصول إلى حل للأزمة، واستمرت الفتاة في الأنين والوجع، ولم يكن أحد يتوقع أن تلفظ أنفاسها قبل ساعة من طلوع الصباح وانتهاء حظر التجول.

قبل أن يغادر زائري، رجاني ألا أنشر اسم قريته أو عائلته، لكي لا يتسبب في المزيد من وجع القلب لأهله، ظللنا بعدها على تواصل متقطع، يتضامن معي حين يسمع عني ما يسوؤه، يطمئن علي بعد السفر مؤكداً أهمية استمرار التواصل، نتبادل التهنئة في الأعياد ك «تلكيكة» للسؤال عن الأحوال، يسألني عن بعض الكتب التي أرشحها للقراءة في برنامجي، يطلب ترشيح روايات مبهجة لأنه مل من «عشرة البؤس»، يشكو من غلاء أسعار الكتب قائلاً: «بقيت لما تشوف رواية لهاروكي موراكامي في إيد حد، لازم تعدي جنبه وتقول بصوت مسموع: تلاقي أمه اللي جابيها له»، يعزيني في وفاة أبي والبراء أشرف وعلاء الديب، أساله عن الوضع في سيناء فيجيب ضمن رسائل متفرقة: «الوضع في سيناء عامل زي صورة أشعة للوطن كله، كل أمراض الوطن من استبداد وجهل وغباء وعمالة واستغلال وتجارة بالدم وتطرف وانتهاك حرمات، كله بيتجسد للعيان هنا، وده اللي مخليني يئست من الوضع، وحاسس إن حله مش في يوم وليلة زي ما ناس بتقول... خلال أسبوعين فقط شيعت أربع أصدقاء ماتوا ميتة بشعة منهم من وجدنا جثثه في الشوارع، ومُنيت ميدنتنا بنحو 30 جثة ملقاة في الشوارع في أسبوعين دون أي تفاصيل أو أي تغطية، فقط عليك أن تعتاد رائحة الدم إن أردت أن تتنفس هنا».

أنشر مقالاً في أغسطس/آب 2015 عن قصة استشهاد مجند في سيناء بعد عملية إرهابية، فيرسل متأثراً بما نشرته، ثم يخبرني في نهاية رسالته أنه عائد للتو من مكان تملؤه رائحة الدم: «بعد ما دانة مدفع اخطأت أو ربما أصابت اتجاهها نحو بيت في منطقة أبو العُراج بالشيخ زويد، يقطن فيه ثلاثة أطفال بنت وولدين ورجل كبير، لينتهي الحال بجثة فتاة ممزقة وأطفال على وشك بتر ذراع أحدهم، ورجل مصاب بالشظايا في كل جسده، وأهل عمالين يتحايلوا على والد البنت في التليفون إنه يرضى يمضي على ورقة وفاة البنت لينتهي عشان ياخد آخر حقوقها: الدفن. يرحمني ربي من رؤية جثة الفتاة، أروح وأفتح الفيسبوك الاقي مقالتك بتاعة (توزيعك فين يا مصطفى)، أسأل هل ممكن يكون مصطفى القادم هو اللي ضرب الدانة، ولّا مصطفى القادم هو اللي الدانة حتصيبه مش الطفلة يسرا، كنت أتمنى يكون عندي العقل الكافي للتحليل والتفكير، لكن صدقني، الوقت اللي حتشم فيه الدم، هو الوقت اللي حينتفي فيه عقلك، باكتب لك عشان تدعي لي إن قلبي لا يموت، وإن إخوات يسرا ما يكبروش والشظايا لسه في قلوبهم».

لم أعد أرهقه بمراسلته عقب كل حادث إرهابي، تتم التغطية فيه على الفشل والتخبط والكذب، بالإعلان عن غارات جوية وتصفيات جسدية لا يعلم حقيقتها أحد، وأكتفي بأن أدعو له ولكل الأبرياء بالسلامة، وحين وقعت مجزرة مسجد الروضة، سارعت لمراسلته، وقلقت حين تأخر في الرد، لكنه طمأنني عليه بعد يومين في سطور قصيرة مشحونة بالألم، حكى فيها عن نزوحه قبل الحادث مع أسرته من قريته الباشمة، إلى مكان لم يكن يبعد كثيرا عن قرية الروضة، ثم حدثني عن فيديو منتشر لطفل فقد أخوته وأقاربه في المجزرة، وعن تعليقات «الناس» التي تستغرب كيف يتحدث الطفل بكل برود: «ما يعرفوش أن الواد ده مات له أقارب قبل كده في حوادث تانية، وإن دي مش أول تجربة ليه ولا لينا مع الموت».

لم أجد رداً مناسباً على رسالته، ظللت أكتب وأحذف، أتوقف وأعاود، وأخيرا كتبت رسالة مرتبكة فيها ترشيحات لروايات مبهجة، حكيت له فيها عن شاب من أصول صينية، تمثلك أسرته متجرا قريبا من بيتي في نيويورك، رآني بعد يومين من المجزرة فأبلغني حزنه وتضامنه هو وأسرته وتأثرهم لما جرى، كانت زبونة حيزبونة تتابع حوارنا فعلّقت بجفاء: «إنهم يقتلون بعضهم ثم يغضبون حين نصفهم بالإرهاب»، تجاهلها تماماً، ثم سألني فجأة: «هل تحب العنب الأسود؟»، فظننت، وبعض الظن إثم، أنه يقترح إضافته إلى ما اشتريت، قبل أن أدرك أنه يرغب في إهدائي كيساً من العنب الفاخر تعبيراً عن تضامنه، حكيت لصديقي السيناوي ذلك، وختمت رسالتي قائلاً: «لك في دمّتي كيلو عنب ممتاز مهدى من شعب الصين الشقيق إلى أهل سيناء الحبيبة».

ولم أرسل الرسالة.

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

سعيد يقطين*

لعبة التحدي والخضوع

كنت في أواخر التسعينيات منشغلا بتتبع البرمجيات وشراء المجلات الإلكترونية العربية والفرنسية والإنجليزية التي تقدم إلى جانب معلومات حول المعلوميات والثقافة الرقمية أقراصا مدمجة تتضمن كتبا أو برمجيات ضرورية، أو ألعابا إلكترونية. وكان طموحي أن أتقدم في مجال صناعة البرمجيات. ولما رأيت أن هذا التوجه قد يستغرقني لم أعد أهتم كثيرا بهذا النوع من المعلومات، واتجهت إلى الدراسات الأكاديمية المختلفة في النهاية إلى الانتحار برمي النفس من مكان عال، أو بالسكين، ومن هنا جاءت التسمية؟ لأن الحوت الأزرق ينهي حياته بالانتحار.

بعد تحميل اللعبة، وتسجيل الدخول، يخير اللاعب بين قبول الاستمرار أو الخروج. ولا يعني القبول سوى التقيد بكل ما يطلب منه تنفيذه حتى النهاية: برنامج يومي (خمسين يوما). وفي كل يوم تقدم مطالب عليه أن يعملها، ولا يمكنه التراجع أو الانسحاب نهائيا. يتطلب البرنامج الاستيقاظ يوميا في الرابعة وعشرين دقيقة صباحا، متابعة مقاطع فيديو تتصل بالعنف، وسماع مقاطع موسيقية تدفع إلى الاكتئاب، عدم التواصل مع الآخرين، إيذاء النفس بجرحها بأداة حادة، وبعث الصور الدالة على التنفيذ، التدرب على الوقوف في أماكن مرتفعة،.. وكل الذين انغمروا في اللعبة، عبر ممارسة «التحدي» و«الخضوع» لم يكن أمامهم في النهاية سوى الانتحار.

حين اعتقل بودیکین صرح بصدد ضحاياه بأنهم «مجرد نفايات بيولوجية، وكانوا سعداء بالموت. ما فعلته كان تطهيرا للمجتمع». هذا النص يمثل خلفية ومقصد إنتاج اللعبة، وهو يعبر بدقة عالية عن تصور للحياة والموت، ويستحق لوحده دراسة خاصة. إنه يلخص بكلمة ما أسميته في دراستي للسيرة الشعبية بـ«دعوى النص». كما أن برنامج اللعبة اليومي يتطلب الوقوف على برنامجه السردي من لحظة «الآوان»، (طلب التسجيل)، إلى «القرار» (قبول اللعبة والانخراط فيها)، إلى النفاذ (الانتحار). كانت إحدى الحيل التي يلجأ إليها الراوي الشعبي لإثارة جمهوره إيقاف العمل السردي في نقطة مفصلية تقض مضجع المروي له، فيستأنف الحضور في اليوم التالي لمتابعة القصة. ومرة ترك الراوي عنترة معتقلا، فلم يتم أحد السامعين، فراح يطرق باب الراوي ليلا مقدما له مالا ليحكي له ما سيقع لعنترة، وإلا فإنه لا يطرق له جفن؟

أثارت العاب الفيديو الباحثين في السرديات الرقمية، وتعتبر من أهم الإنجازات السردية الرقمية إلى حد بروز «سرديات لعبية» تهتم بهذا النوع من الإبداعات التفاعلية. لا أريد الخوض في تحليل لعبة الحوت بالحياة في مواجهة الموت: الحقيقة الأزلية.

يكفي أن نتوقف على المعطيات التالية حول مبرمج اللعبة لندرك خلفيات إقدامه على «صناعته»ـها. هو فيليب بوديكين من روسيا، 21 سنة، طالب علم نفس، إلى جانبه معرفته بالمعلوميات وصناعة البرمجيات. بعد خمس سنوات من التفكير والعمل أنتج هذه اللعبة بهدف التوجه بها إلى مراهقين ما بين الثانية عشرة والستة عشر عاما بحيث تؤدي اللعبة في النهاية إلى الانتحار برمي النفس من مكان عال، أو بالسكين، ومن هنا جاءت التسمية؟ لأن الحوت الأزرق ينهي حياته بالانتحار.

بعد تحميل اللعبة، وتسجيل الدخول، يخير اللاعب بين قبول الاستمرار أو الخروج. ولا يعني القبول سوى التقيد بكل ما يطلب منه تنفيذه حتى النهاية: برنامج يومي (خمسين يوما). وفي كل يوم تقدم مطالب عليه أن يعملها، ولا يمكنه التراجع أو الانسحاب نهائيا. يتطلب البرنامج الاستيقاظ يوميا في الرابعة وعشرين دقيقة صباحا، متابعة مقاطع فيديو تتصل بالعنف، وسماع مقاطع موسيقية تدفع إلى الاكتئاب، عدم التواصل مع الآخرين، إيذاء النفس بجرحها بأداة حادة، وبعث الصور الدالة على التنفيذ، التدرب على الوقوف في أماكن مرتفعة،.. وكل الذين انغمروا في اللعبة، عبر ممارسة «التحدي» و«الخضوع» لم يكن أمامهم في النهاية سوى الانتحار.

حين اعتقل بودیکین صرح بصدد ضحاياه بأنهم «مجرد نفايات بيولوجية، وكانوا سعداء بالموت. ما فعلته كان تطهيرا للمجتمع». هذا النص يمثل خلفية ومقصد إنتاج اللعبة، وهو يعبر بدقة عالية عن تصور للحياة والموت، ويستحق لوحده دراسة خاصة. إنه يلخص بكلمة ما أسميته في دراستي للسيرة الشعبية بـ«دعوى النص». كما أن برنامج اللعبة اليومي يتطلب الوقوف على برنامجه السردي من لحظة «الآوان»، (طلب التسجيل)، إلى «القرار» (قبول اللعبة والانخراط فيها)، إلى النفاذ (الانتحار). كانت إحدى الحيل التي يلجأ إليها الراوي الشعبي لإثارة جمهوره إيقاف العمل السردي في نقطة مفصلية تقض مضجع المروي له، فيستأنف الحضور في اليوم التالي لمتابعة القصة. ومرة ترك الراوي عنترة معتقلا، فلم يتم أحد السامعين، فراح يطرق باب الراوي ليلا مقدما له مالا ليحكي له ما سيقع لعنترة، وإلا فإنه لا يطرق له جفن؟

أثارت العاب الفيديو الباحثين في السرديات الرقمية، وتعتبر من أهم الإنجازات السردية الرقمية إلى حد بروز «سرديات لعبية» تهتم بهذا النوع من الإبداعات التفاعلية. لا أريد الخوض في تحليل لعبة الحوت الأزرق، ومريم، وسواها من البرمجيات الرقمية المشابهة، وآثارها على أجيالنا الصاعدة. ولكني أريد طرح أسئلة حول العصر الرقمي الذي نعيش فيه، وكيف نتفاعل معه على المستويات كافة، من البيت إلى المدرسة فإلى السياسة.

ما هو التعليم الرقمي الذي نربي عليه أولادنا؟ ما هو التكوين الرقمي الذي يحصل عليه الأساتذة المتعاقدون الذين نتركهم نهب أطفال باتوا ضحايا اللعب الإلكتروني، وألعاب السياسات الرعناء المتعاقبة؟ حتى باتوا يجلدون معلميهم على مرأى من التلاميذ؟ أين التعليم الخاص الذي نطيل له ونزغرد؟ كم عدد المبرمجين الذين أهلهم ليسـاهموا في إنتـاج المعرفة واقتصادهـا؟ وكم عدد المختصين في الاقتصاد والتدبير الذين جعلهم يؤسسون لتصورات تقطع دابر التخلف والتبعية، وتجعل اقتصاداتنا وسياستنا في مستوى دول كانت بالأمس القريب أكثر تخلفا منا؟ ما الذي جعل بوديكين ينسل إلى بيوتنا ويودي بحياة فلذات أكبادنا التي تمشي على الأرض؟

ما الفرق بين ترامب وبودیکين؟ لا فرق في رأيي: كلاهما له برنامج سردي، ولا فرق بين «تحدي لعبة الحوت الأزرق»، و«لعبة النار والغضب». إن كلا منهما مبرمج بكيفية خاصة، حسب الدعوى النصية نفسها. كما أن كلا منهما يعتبر «الخاضعين» لـ«تحدي» لعبته مجرد نفايات بيولوجية (المراهقون الصغار)، أو حشالات (المراهقون الكبار)، لا تستحق الحياة؛ إن ترامب في برمجته يضطلع بـ«القوامة السردية» (narrative agency) نفسها: يدمج لاعبي «السياسة العربية» بمنطق بوديكين نفسه: الاستفراد بدولة، أو دولتين، أو مجموعة دول عربية، في آن واحد، حثهم على القطيعة مع بعضهم البعض، الإعلان على الولاء الدائم، تقديم سيناريوهات متعالية على القوانين الدولية، تأكيد الانغمار في اللعبة بشراء الأسلحة الأمريكية لجرح الذات، وإيذاء الشعوب، وعدم الانسحاب من اللعبة مهما كانت الآثار، وإجراء المناورات... وإذا كان بوديكين قد فكر وخطط لبرنامجه خلال سنوات، درس فيها نفسية المراهق، فإن ترامب يعتمد في برمجته على تاريخ طويل في التعامل مع ذهنية الحاكم العربي، وهو يجره إلى لعبة التحدي، أي الخضوع لإرادته، بهدف تحقيق الانتحار، ليس الفردي، ولكن الجماعي للتاريخ والجغرافيا والحضارة العربية الإسلامية.هل يكفي أن نلعن بوديكين، أو نشتم ترامب، وندين البرمجيات القاتلة؟ كلا. علينا تكوين مبرمجي لعب التحدي من أجل الحياة.

* كاتب مغربي

مصاعب الاقتصاد الأفغاني

طفل أفغاني يتطلع في بالوناته وينتظر مجيء زبائن لشرائها في أحد شوارع مزار شريف في وقت يعاني الاقتصاد الأفغاني من مصاعب كبيرة. فأفغانستان دولة فقيرة تعتمد كليا في تجارتها واقتصادها على جيرانها من حيث الاستيراد والتصدير والمعاملات التجارية الأخرى. هذه المعاملات تتأثر مع تأثر علاقات أفغانستان السياسية مع تلك الدول، فهي تملك القرار النهائي في قضية انتعاش الاقتصاد الأفغاني الهش الذي يزيده اضطرابا الوضع الأمني المتردي.

آداب وفنون

الصورة في شعره شكلت معادلاً موضوعياً للفكرة:

ت. س. إليوت وشعرنا الحديث

عبد الواحد لؤلؤة

ثانية وثالثة تُذَكِّرني الشهور بغياب بعض من كبار الشعراء والأدباء. ففي الرابع من كانون الثاني/يناير من عام 1965 توفي «الشاعر ـ الناقد الأمريكي المولد، البريطاني التجنّس ت.س.إليوت، الذي ولد في 26 ـ 9 ـ 1888 في سانت لويس بولاية مزّوره الأمريكية، عام وفاة الشاعر ـ الناقد الإنكليزي ماثيو آرنولد. بين هاتين القامتين في الشعر والنقد كثير من الوشائج. آرنولد إبن مدير مدرسة «ركبي» الشهيرة، حيث درس ليلتحق بجامعة أكسفورد، أعرق الجامعات البريطانية، وإليوت درس في «سانت لويس» التي أسس جامعتها جدُّه لأبيه، حامل دكتوراه في اللاهوت من هارفرد، الجامعة التي التحق بها إليوت عام 1906 واستعدّ لدراسة الفلسفة، ثم ذهب إلى باريس لقضاء سنة في السوربون لدراسة الأدب الفرنسي والفلسفة. وبعدها قضى سنة في كلية «مرتن» أقدم كليات أكسفورد، لدراسة الفلسفة الإغريقيّة، وبعد أن قضى سنة دراسية أقدم الجامعات الألمانية، لكن نشوب الحرب العالمية الأولى في صيف 1914 حال دون ذلك الحلم.

مثل آرنولد الإنكليزي، كان إليوت يتقن عدداً من اللغات الأوروبية إلى جانب الإغريقية واللاتينية. ونلمس ذلك من كتابات الإثنين في النقد وفي القصائد التي كتباها. يرى النـاقدان أن من الضروري على الشاعر أن يكون محيطاً بمجمل النتاج الشعري منذ هوميروس حتى معاصري الشاعر نفسه، وبلغاتها الأصلية. وربما كان هذا ممكناً في القرن التاسع عشر، يوم كانت الثقافة لا تكتمل دون الإحاطة بتراث الإغريق والرومان.

أما في القرن العشرين يوم كان إليوت يكتب نقداً وشعراً، فهذا الطلب موضع تساؤل وشكّ. لكن الشاعر ـ الناقد إليوت يقول في مقال له شهير، بعنوان «التراث والموهبة الفردية» ما مؤداه أن الذي يريد أن يبقى شاعراً بعد الخامسة والعشرين من العمر عليه أن يحمل في نخاع العظم منه أفضل ما أنتجه الشعراء منذ هوميروس حتى المعاصرين، وبعدد من اللغات الأصلية. وقد كتب إليوت شعراً يمثل هذا كله، بدءاً من أول قصيدة نشرها عام 1915 بعنوان «أغنية حب.ألفريد بروفروك» وذلك في مجلة «شعر» الأمريكية التي كانت تصدرها هارييت مونرو، وتوالت قصائده على المنوال نفسه. والفرق الملحوظ بين قصائد آرنولد وقصائد إليوت هو التزام الأول بالأوزان التقليدية وبالقوافي. لكن الثاني أدخل أسلوب «الشعر الحر» الذي اشترعه والت وتمان الأمريكي في مجموعة بعنوان «أوراق العشب» التي نشرها عام 1855. في «الشعر الحر» بمعناه الدقيق لا توجد «أبيات» بالمعنى التقليدي، بل إن الأسطر/الأبيات تلتزم بالتعبير عن «الفكرة» أو «الصورة» وقد يطول السطر أو يقصر.

لكن إليوت بقي يراعي شيئاً من القوافي التي تبدو في أغلبها غير مُتقصّدة ولا عن عمد. وهو يرى أن كتابة الشعر الحرّ الجيد أصعب من كتابة الشعر الموزون المقفى. كما يرى أن الفكرة يجب أن تأتي قبل العاطفة. لذا فهو يأخذ على الرومانسيين أن ليس لديهم «كفاية من معرفة»، على ما في شعرهم من جمال وتعبير عن المشاعر.

كان إليوت شديد الاهتمام بالشعر الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر. فقد كان شديد الإعجاب بشعراء مثل جول لافورغ وبودلير ورامبو وفيرلين لما في شعرهم من رمزية وصُوَر. قبيل الحرب العالمية الأولى التقى إليوت الشاعر الأمريكي عزرا باوند وتأثر كثيراً بأسلوبه «الصُوَري» الذي يقدّم الصورة التي توحي بالفكرة.

ت.س.إليوت

يدعم ذلك إشارات تضمينية من شعراء «يسكنون نخاع العظم منه». وقد أدى ذلك إلى وصف شعره بالصعوبة والغموض. ومع غياب الوزن والقافية من الشعر التراثي صار الشعر الحرّ بشكله الحديث يعتمد على ترابط الأفكار بدعم من الصور التي قد تكون مفرطة، مما يزيد في صعوبة الفهم، وبخاصة عند من يعوزه «الكثير من المعرفة» والإحاطة بأفضل أمثلة الشعر من هوميروس إلى الحاضر. وهنا تبرز فكرة «المعادل الموضوعي» الذي يقدّم الصورة لتكون «معادلاً للفكرة» التي يريد الشاعر تقديمها. نلمس ذلك في أول قصائده المنشورة «أغنية حب». فشخصية بروفروك ليست شخصية عاشق، بل شخصية «باحث عن العشق» في صورة إنسان ضعيف متردد، غير واثق من نفسه أو مما يُقدِم عليه. فهو في هذه القصيدة يطلب من زميل «فلنذهبْ إذن، أنت وأنا» عند هبوط الظلام، لنذهبن معاً، لأنه لا يجرؤ على الذهاب وحده «خلال شوارع بعينها، نصف مهجورة» بحثا عن حب تكتنفه «تراجعات مُغمغِمَة... لقضاء ليلات حب في فنادق رخيصة... في شوارع تتلوى مثل جدل عقيم بمقصد خفي... يقود إلى سؤال غَامر... لكن لا تَسَل ما هو... دعنا نمضي لنقوم بزيارتنا»... هذا «البطل» الباحث عن الحب يكثر من التأجيل في إعطاء صورة عن إخفاقاته، لأنه كان يقيس إنجازات حياته بعدد ملاعق القهوة التي يحضّرها في فطور كل صباح... لا شيء بطولي في حياته. وهو يحاول أن يبدو شاباً فيقلب نهاية سرواله ليحاكي الأزياء الشائعة، بلبس سروال من الفانيلا البيضاء، ويغرق شعر رأسه. لكن إذ يسير بمحاذاة الشاطئ، يحاول أن يقضم خوخة ليثبت أن أسنانه ما تزال قوية ولكن لا فائدة، لأنه لا يجلب انتباه الحوريات في البحر، «فغناؤهن ليس له» لا مثل غناء الحوريّات عند مرور سفينة يوليسيس. هذه الصور في تسلسلها توحي بفكرة عن هذه الشخصية وهي شخصية الضياع والضعف عند الإنسان المعاصر، صورة تشتد تعقيداً في قصيدته الكبرى «الأرض اليباب» التي جاءت بعد هذه القصيدة بخمس سنوات. والصور تشكل معادلاً موضوعيا للفكرة التي يريد عرضها الشاعر.

جبرا ابراهيم جبرا

تتميز قصائد إليوت المبكرة بهذه «الصُوَرية» التي قد تصل حد الإفراط أحياناً. من ذلك أربع قصائد بعنوان «مقدمات» هي مقدمات موسيقية صورية، تظهر دائماً في قصائده اللاحقة. ففي أوّل هذه المقدمات الأربع نقرأ: «يهبط المساء الشتائي/ بروائح الشّواء في ممرّات البنايات/ الساعة السادسة/ النهايات المحترقة لنهارات مدخّنة/ وها هي عَصفةُ ريح تكتنف/ المزق المُتسخة/ لأوراق ذاوية حول قدميك/ وجرائد من عَرَصات خاوية/ تصطفق الزخّات/ على ستائر مكسّرة وفوهات مداخن/ وفي زاوية الشارع/ حصان عربة مُستوجد ينفث من جلده البخار وهو يضرب الأرض بحوافره/ثم تضاء المصابيح».

هذه صور خُواء حيث لا شيء يحدث. والصورة الأخيرة: تضاء مصابيح الشارع، فقد عمّ الظلام الذي يغطي على القليل من صور الحياة. هذه الصورة استهوت السياب فاستعملها في قصيدة «الموسم العمياء»:

الليل يُطبق مرّةً أخرى، فتشربُه المدينة والعابرون إلى القرارة.. مثل أغنية حزينة

وتفتّحت، كأزاهر الدّفلى، مصابيحُ الطريق،

كعيون ميدوزا تُحجّر كل قلبٍ بالضغينة

وكأنها نُذُرٌ تُبشّر أهلَ بابل بالحريق.

هذا مثال بسيط لأثر أسلوب إليوت في استعمال الصُّور معادلاً موضوعياً للفكرة أو الشعور: وفي هذه الحالة يؤس الحياة التي تحياها مومس عمياء، والوقت ليل يطبق على المدينة، وأزاهر الدّفلى هي أزاهر قليلة في شجيرة الدّفلى التي تنمو في المقابر. وتفتّحها الكئيب هي كل «مصابيح الطريق» المتوفرة في مدينة تشرب الليل. وهي أزاهر مثل عيون ميدوزا في الأسطورة الإغريقية، شَعرُها أفاعٍ، إذا نظر إليها المرء تحوّلت عيناه بياضاً لا يرى، فطوّرها بدر إلى عيون تحجّر كل قلب بشري إلى ضغينة على هذا المجتمع الذي اضطر عمياء أن تصبح موسماً لتعيش. ولكن هذه الحال تُبشّر أهل بابل (العراق) بالحريق والدمار.

ثمة الكثير من أمثلة الشعر العربي الحديث التي تستعمل أسلوب «شعر التفعيلة» وهو نسخة مهذبة من الشعر الحرّ الذي يخلو من الوزن والقافية، وقد برع في الشعر الحرّ قليلون من الأدباء: في لبنان، توفيق صايغ، في العراق، جبرا إبراهيم جبرا، في المغرب، محمد بنيس، وآخرون، الصّوَريّة واستعمال الكثير من الأساطير من الشرق والغرب، والإشارات التضمينية هي ما أفاده شعرنا الحديث من إليوت.

قراءة في معارض تشكيلية تشهدها القاهرة:
موضوعات الحب والطفولة والروح الشعبية

من اعمال الفنان مصطفى ربيع

من أعمال الفنان عفت حسني

القاهرة ــ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

من خلال عدة معارض أقيمت مؤخراً في القاهرة، ورغم تباين الخبرات الفنية والجمالية، والعوالم التي تعبّر عنها، إلا أن من الممكن اكتشاف حالة عامة تربط بينها، حالة جمالية بعيدة عن صخب الموضة وصرعة التقليد والتكرار المزمن. حالات إنسانية ترتبط بالوعي المصري والبيئة المصرية إلى أقصى حد، دون محاولة لتغريب أو نظرة متعالية استعراضية في أساسها كما نراها في العديد من المعارض القامة والتي ستقام بالطبع. فما بين ذكريات طفولية وأيقونات تمثل حالات الحب المختلفة، وحس وروح شعبي يتأصل في العلاقة بين الرجل والمرأة، أو عالم الأنوثة الشعبي كما كان يعرفه المصريون جيداً. تأتي أعمال الفنانين لتحتفي بالشعور الإنساني، وتحاول التواصل من خلال اللون والتكوين مع المتلقي، كتذكارات من عالم منسي أو تعمّد الكثيرون نسيانه في مناخ التوتر والقلق الذي نحياه.

نغمات البهجة

«نغمات البهجة» هو عنوان معرض الفنان عفت حسني، الذي أقامه في غاليري «بيكاسو» والذي من خلاله يبحث ويجسد حالة من التناغم بين الإنسان والطبيعة والأشياء من حوله. الأمر هنا يؤكد أن الحالة الأنثوية وروحها الشعبي هو الأساس، الطبيعة ، أشجار، حيوانات، طيور، كائنات بحرية كالأسماك، كلها في حال من التوافق، لابتكار عالم آخر، وكأنه يحوّل الوقائع والمشاهد البصرية المألوفة إلى حالة حلم مستمر، فلا توجد غرابة في اجتماع أسد أبي زيد الهلالي وسيفه المعهود، وإحدى الأسماك، وديك الصباح يتصدر ويحتل مساحة كبيرة من خلفية اللوحة. أما فكرة التأنيث فتأتي من الألوان المبهجة والخطوط المنحنية في أكثرها، سواء في حالة غير مباشرة كما في اللوحة السابقة، أو في لوحات أخرى، يختلط فيها مشهد قديم من الواقع، وتفاصيل من الحلم، امرأة وحبيبها في عربة حنطور، وحصان تبدو خطوطه المنحنية أشبه بالبراق كما تمثلته المخيلة الشعبية، وحاولت التعبير عنه في بعض الرسومات. الروح الأنثوي أيضاً يتأكد من خلال حالة دائمة من القوة والحضور للمرأة، سواء كانت راقصة شعبية أو امرأة مترفة تسكن إحدى الحارات المصرية القديمة، الجمال الأنثوي المثير للبهجة والفرح، وحتى إن كانت اللوحة تتمثل لوحات النساء الاستقراطيات، إلا أنها تحتفي بامرأة شعبية، في جلستها المسترخية والواثقة تماماً. وبخلاف الانشغال بالعديد من الموروثات ورموز الأساطير الشعبية، السيف الأخضر، الأسماك، الحصان، الذي يبدو دوماً في حال وله بالمرأة التي تفوقه ثقة وجمالا، وهو لا يستطيع مجاراتها، رغم ما يُعرف عنه من قوة.

روح الحب

ويأتي معرض الفنان جورج فكري، المعنون بـ «روح الحب» والذي أقامه مؤخراً في غاليري «الزمالك للفن» كتنويعات لعلاقات الحب المتباينة الفئات، وفي شكل أقرب للأيقونات، ذلك من حيث شكل الوجه والجسد، والألوان التي تشبه ألوان الأيقونات القديمة، الأزرق والأحمر. يستعرض الفنان حالات عديدة غاية في الرقة بين المرأة والرجل، بداية من العناق والإيماء وصولاً إلى فارس الأحلام الذي يبدو فوق حصانه، تحيطة دائرة القمر في السماء. في كل لوحة أو لقطة يبدو الطقس الاحتفالي بهذه العلاقة، سواء من خلال صديقات الفتاة الحالمات، حيث يعزفن موسيقاهن على آلات مختلفة، ويتخذن شكلاً دائرياً، يوحي بمدى الجو الرومانتيكي، المستمر والممتد إلى ما لا نهاية. حالة متواصلة من السعادة التي لا تنتهي. الأمر الآخر هو تباين الفئات الاجتماعية التي يرصدها الفنان، فلا يقتصر الأمر على فتيات المدن البسيطات، بل وفي جو متناغم ينتقل إلى عالم الريف والفلاحين، المرأة هنا تقوم بعمل اعتيادي لطالما تقوم به في الحقيقة، مجرد إعداد كوب من الشاي، بينما الرجل يسترخي في الحقل بعد عمل يوم شاق. ورغم كون اللقطة اعتيادية ومُستهلكة بصرياً، إلا أننا نتلمس فيها شحنة عاطفية صادقة، من إيماءة بسيطة وابتسامة وعيون تشعر بالحب. تعبيرات بسيطة وعميقة في الوقت نفسه، دونما صخب لوني أو حركي، فما بين المرأة والرجل القمر المستدير، الذي يُشكل مع وجهيهما اتزان التكوين والحركة في اللوحة. يرحل الفنان أيضاً إلى بيئة السواحل، حيث المركب والبحر وشباك الصيد. تبدو الدوائر سمة أساسية في تشكيل اللوحات، بما لها من مدلول، حيث الزمن الدائم الذي لا ينتهي، والحب القائم إلى الأبد. الدائرة وإن لم تكن صريحة في بعض التفاصيل، هنا تبدو الأجساد والأرض والسماء، كلها خطوط أقرب إلى المنحنية، فلا توجد خطوط حادة أو متكسرة، حتى لا تخدش هذه الحالة في أي لحظة من لحظات التوتر أو القلق.

زمن البراءة

ومن العالم الأنثوي وأساطيره، وأيقونات المُحبين، يأتي عالم الطفولة، «زمن البراءة» كما أطلق عليه الفنان مصطفى ربيع في معرضه الشخصي الأول، والمقام في غاليري «الزمالك للفن». وربما تشترك الذاكرة في هذه المعارض، ذاكرة الحارات الشعبية ومصر ما قبل السبعينيات من القرن الفائت، كما في معرض عفت حسني، أو تماثل ذاكرة الأيقونات المقدسة، كما في معرض جورج فكري، إلا أن ذاكرة مصطفى ربيع تصبح هنا ذاكرة عالم الطفولة، أو البراءة كما أطلق على لوحاته. ورغم رومانتيكية العنوان، إلا أن للطفولة هنا منطقها ومنطق حياتها. الألوان المبهجة، والأجساد التي تقترب من رسومات الأطفال، هنا يبدو الأسلوب قريبا تماماً من العالم الذي أراد الفنان التواصل معه وإحياء تفاصيله من جديد. لقطات تجسد حالات الفرح، الأعياد والحفلات الصاخبة ومظاهرها، رحلات المصايف، والألعاب الطفولية في الشارع. لكن اللافت هو تجسيد هذا العالم المختفي من خلال نساء ورجال تجاوزا هذه السن ـ سنوات طفولتهم ـ لكنهم يصرون عليها ويحاولون في استماته القبض على هذا الزمن وهذه اللحظات التي فرّت ولن تعود إلا من خلال الذاكرة وحدها. هنا يبدو الحس الرومانتيكي، رغم مظاهر الفرح وتفاصيله في كل لوحة أو لقطة من اللقطات، حيث الحفل القائم والمستمر. بالطبع لم يتجاوز الفنان الفئة الاجتماعية التي يعرفها جيداً وهو أمر يُحسب له، حتى لا يتورط كالكثير من مدّعي الفن، الذي يتواصلون مع بيئات يجهلونها، فتصبح أعمالهم كلقطات السائح الغريب، فتثير بعضا من الشفقة والكثير من السخرية.

هذه لمحة سريعة عن العالم الذي حاول الفنانون التعبير عنه وتجسيده، في محاولات للعودة إلى زمن أهدأ نسبياً عما نحياه، محاولة للتواصل عبر ما كان، حتى يمكن مواصلة اللحظة الآنية، شحنة عاطفية للقدرة على الاستمرار. فرغم الصخب والاختناق، يبدو الملاذ الأخير في المخيلة، وخاصة مُخيلة الفنان، التي لا عاصم له سواها وسط طوفان السخف والتكرار والتقليد، الذي أصبح سمة عامة من سمات التشكيل المصري، إلا مَن رحمه ربه.

من أعمال الفنان مصطفى ربيع

من اعمال الفنان جورج فكري

تحقيقات

مشاعل النور تتحول إلى أدوات قتل

جامعات السودان تغرق في العنف الطلابي

الخرطوم – «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

شهدت جامعة الدلنج جنوب كردفان في السودان في الحادي عشر من هذا الشهر حادثة قتل بشعة عندما أطلق جندي النارعلى طالب وطالبة وتسبب في مقتلهما في الحال قبل أن ينتحر، الأمر الذي أدى إلى إندلاع تظاهرات أعقبها إغلاق الجامعة لأجل غير مسمى.

ولم تكن هذه هي الحادثة الأولى في الجامعات السودانية، فقد سبقتها حوادث قتل وطعن وضرب بالسيخ والآلات الحادة والسبب واحد هو عدم تقبل الآخر، من حيث الرأي والسلوك والمعتقد الأيديولوجي والثقافة المحلية. وظهرت في السنوات الأخيرة أسباب عاطفية، كما حدث في جامعة الدلنج قبل أسبوع أو كلية الصحة في جامعة الخرطوم قبل عدة سنوات.

رقصة «العجكو»

ويؤرخ لأحداث العنف في الجامعات السودانية بما عرف بواقعة «العجكو» وهو اسم لرقصة شعبية من تراث غرب السودان قُدّمت عام 1968 في جامعة الخرطوم ضمن أسبوع ثقافي واعترض الطلاب الذين ينتمون إلى جماعة «الإخوان المسلمين»على أن تقدم هذه الرقصة فتاة واندلعت أحداث عنف راح ضحيتها طالب.

وقبل حادثة العجكو، قدمت جامعة الخرطوم أحمد القرشي طه، وهو أول شهيد في ثورة أكتوبر السودانية في عام 1964التي قامت ضد حكم الفريق إبراهيم عبود العسكري وأدت إلى سقوطه وقيام حكومة ديمقراطية بعد أول انتفاضة شعبية في المنطقة واستشهد بعد القرشي بأسبوع بابكر عبد الحفيظ.

ويتفق كثير من المتابعين لهذا الملف على أن عهد حكومة الإنقاذ بقيادة البشير شهد إنتشارا واسعا لهذه الظاهرة، ففي 4 كانون الأول/ديسمبر1989 اصيب الطالب بشير الطيب (جامعة الخرطوم/كلية الآداب) في أحداث عنف ليلفظ أنفاسه بعد يوم من الحادث.

وبعد يومين تصاعدت الأمور بمطالبة الطلاب فتح تحقيق وتدهورت الأوضاع سريعا ليتم اغتيال الطالبة الثانية محمد أبوعاقلة، بالرصاص في وسط الجامعة وفي اليوم نفسه اغتيل سليم محمد أبو بكر الطالب بالسنة الثانية في كلية الآداب. وقد اعتبرت هذه الأحداث بداية حقيقية للعنف ضد الطلاب الذي استمر عاما بعد عام سواء أكان من السلطات الأمنية أم من الطلاب ضد بعضهم.

وامتدت حوادث قتل الطلاب لتشمل الجامعات في كل مناطق السودان واتخذت شكلا وُصف بالمنهج، ليفوق عدد الضحايا المئة، ومعظمهم بسبب الضرب بالرصاص والآلات الحادة. لكن جامعة الجزيرة شهدت حادثة من نوع آخر قبل عدة أعوام، فقد توفي في 2012/12/7 أربعة من طلابها بالدفعات «35.34» غرقاً في ترعة المزرعة التجريبية في المدينة الجامعية بودمني وذلك بسبب فرارهم من عنف السلطات الأمنية عقب احتجاجات بسبب الرسوم الجامعية.

مقتل طالب مقتل أمة

عام من الأحزان المتواصلة

وشهد العام الماضي عدة حوادث أبرزها هجوم بالسكاكين والسواطير نفذه طلاب في جامعة أمدرمان الإسلامية على أحد مواقع سكن الطلاب، راح ضحيته طالبان وأصيب تسعة آخرون. وشهد العام ذاته أحداث عنف دامية بين طلاب معتصمين داخل جامعة النهود غرب كردفان وآخرين رافضين للاعتصام، وأصيب 12طالبا بجروح. وشهدت جامعة الفاشر(غربي السودان) في آب/أغسطس الماضي فض تجمع سلمي طلابي باطلاق النار دون وقوع قتلى مع وجود أصابات خطيرة.

وفي أيار/مايو الماضي شهدت جامعة بخت الرضا في ولاية النيل الأبيض أحداث عنف راحت ضحيتها طالبة وشرطي وبعد شهرين من هذه الأحداث وفي حالة هي الأولى من نوعها، قدم أكثر من ألف طالب من ولايات دارفور استقالاتهم من جامعة بخت الرضا وغادروا مدينة الدويم في ولاية النيل الأبيض احتجاجا على ما وصفوه باستهدافهم من قبل إدارة الجامعة.

وأصدرت رابطة طلاب دارفور في جامعة بخت الرضا بيانا أكدت فيه أنهم عانوا من التمييز العرقي وأن إدارة الجامعة ظلت تتهمهم بالعنف وتحرض عليهم مجتمع المدينة.

واللافت في الأحداث التي تقع في الجامعات، تبادل الاتهامات بين الطلاب المنتمين للحزب الحاكم وأحزاب المعارضة، وخير مثال على ذلك ما حدث عام 2016 عقب مقتل الطالب أبو بكر صديق الذي يدرس في المستوى الأول في كلية الهندسة، جامعة كردفان غربي السودان.

فقد تبادلت الحكومة والمعارضة اللوم في أسباب العنف، وقالت المعارضة إن الأجهزة الأمنية وطلاب المؤتمر الوطني هاجموا الطلاب أثناء تقديمهم قائمة كتلة التحالف المشاركة في انتخابات اتحاد الجامعة بحشود كبيرة مدججة بالأسلحة النارية، بينما أصدرت حركة الطلاب الإسلاميين الوطنيين

في جامعة كردفان بينا قالت فيه إن الطالب أبو بكر الصديق هاشم، اغتالته أيادي الغدر والخيانة من ميليشيات الحركات المسلحة التي سمت نفسها الذراع العسكري لتحالف قوى المعارضة في الجامعة.

أسباب داخلية وخارجية

وحسب مجموعة «طلاب بلا عنف» فإن أسباب تنامي ظاهرة العنف الطلابي متعددة ومتنوعة «إذ يرجعها البعض إلى أسباب داخلية تتعلق بظروف الجامعة وأوضاع الطلاب، وأسباب خارجية ترتبط بالأجواء العامة المشحونة بالاحتقان السياسي والاجتماعي الذي يسود الوطن».

وعلى صعيد إشكاليات البنية الداخلية للمنظومة الجامعية، فيعاني الطلاب من سوء الخدمات التعليمية وسوء المنظومة القانونية الحاكمة للعملية التعليمية، وتدني مستوى الخدمات المقدمة للطلاب في المدن الجامعية.

ويتحدث بعض الطلاب عن تواطؤ عمادات شؤون الطلاب ضدهم وبالذات الناشطين منهم، وهو ما يخلق عدم احترام لهذه الإدارات من قبل الطلاب. ويعتبر آخرون أن الوحدات الجهادية الموجودة في الجامعات، والتي تتبع للحزب الحاكم، هي السبب الأساسي في العنف. ودار جدل واسع حول دور هذه الوحدات ومهامها، وأصدرت جامعة الخرطوم قرارا في نيسان/أبريل 2014 بتصفية الوحدة الجهادية في الجامعة.لكن بعد أربعة أشهر فقط أعيدت هذه الوحدة وتم اتباعها لعمادة الطلاب.

ويرى الدكتور عصمت محمود المحاضر في كلية الآداب، جامعة الخرطوم، أن العنف الطلابي له تاريخ قديم في مؤسسات التعليم العالي في السودان وعلى نحو خاص جامعة الخرطوم ودائماً موصول بالمجموعات العقائدية. ويعدد أنواع ذلك العنف لـ«القدس العربي» ويقول:»أحيانا يكون العنف خطأ سياسيا للتنظيم وذلك بتوجيه من خارج الجامعة، وأحيانا يكون صادرا من مجموعة متفلتة داخل التنظيم، ولكن التنظيم لا يستطيع أن يعلن ذلك ويتبنى هذا العنف باعتبار أن ذلك أخف ضررا من الإعلان عن حقيقة كونه مجموعة متفلتة داخل التنظيم، وفي بعض المرات يكون حادثا فرديا جراء أجواء الكراهية والشحن العقائدي».

ويعتبر عصمت أن أبرز خلفيات العنف هي أن معظم التنظيمات العقائدية أو غيرها تظل تُدار بواسطة مكاتب حزبية خارج الجامعة وليس كنشاط طلابي فقط. ويصف حكومة الإنقاذ بأنها تتعامل مع قطاع الطلاب باعتباره مهددا أمنيا محتملا و»لهذا يظل القرار الأمني متوغلا داخل مؤسسات التعليم العالي على كافة المستويات».

وفي تقديره أن هذا الوضع يأتي بقيادات إدارية على مستوى الجامعات ترهن القرار التربوي لصالح التوجيهات الأمنية ويضيف: «التعيينات والإملاءات الأمنية، خاصة على مستوى عمادات شؤون الطلاب، جعلت من هؤلاء العمداء والعمادات مجرد ضباط أمن– إن لم يكونوا كذلك– وأدت لتوظيف عمادات الطلاب في المنحى الأمني عبر ملاحقة الطلاب الناشطين عبر لجان المحاسبة والتحقيق».

غياب الدور التربوي

وهو يرى أن فقدان الدور التربوي والتواصل بين الإدارات وعمداء شؤون الطلاب من جهة والطلاب من الجهة الأخرى هو سبب رئيسي لعدم القدرة على إطفاء الحرائق الصغيرة التي تنشأ في الجامعات.

وفي تعليقه على تبديل الحرس الجامعي بقوات من الشرطة يقول، إن الشرطة تتعامل مع الوقائع التي أمامها وفق عقلية جريمة وجاني وبلاغ ومحاكمة، وهناك شحن سالب لأفراد الشرطة ضد الطلاب والطالبات.

ويقول الناشط السياسي محمد الفكي سليمان وهو من كوادر الحزب الاتحادي المعارض: «حضرت فصولا مهمة من العنف الطلابي في الجامعات، وعلى الرغم من وجود أسباب متعددة إلا أن السبب الرئيسي هو رغبة الدولة في قولبة الطلاب في نموذج صممته بنفسها، لذلك كان الفضاء الطلابي هو المختبر الذي يجب أن تطبق فيه هذه المشروعات كونه يحتوي على خامة بشرية يمكن تشكيلها».

ويضيف أن الحكومة كانت تندهش عندما يأتي صوت طلابي مغاير رافضا المشاركة في الحرب الأهلية التي حصدت خيرة شباب الوطن ثم انتهت إلى هذا الفشل الذي نراه، ويرجع ظهور عبارات مثل «الطابور» وهي تعني الخائن، لتلك التعبئة، حيث تم تغذية طلاب الحزب الحاكم بانهم حملة مشاعل الهداية، لذلك ظهر العنف لأن الجانب الآخر كان يدافع عن كيانه.

ويعترف الفكي أنه كان يحمل سكينا طوال الوقت ويبرر ذلك بقوله: «لأنني كنت كادرا إعلاميا ووجها معروفا في الجانب الآخر للحزب الحاكم، وبالتالي عرضة للاستهداف المستمر من قبل كوادرهم الذين لا يتورعون عن ضرب أي من مخالفيهم في الرأي بصورة يومية. حملي للسكين سلوك لا يشبه الطلاب ولكن ماذا كان يجب علي ان أفعل حتى أحمي نفسي؟ وكثيرا ما كنت استخدم هذه السكين حتى أعبر مجموعات مسلحة بالعصي والسيخ».

إلغاء السكن والإعاشة

ويضيف الفكي أسبابا أخرى للعنف مثل إلغاء السكن والإعاشة ويقول: «هو أمر يظنه البعض بسيطا، إلا انه بالغ الخطر في بلد فقير مثل السودان، وفي ظل السياسات الاقتصادية التي اتبعتها حكومة المؤتمر الوطني أصبحت الجامعة فيها مجموعة من الطلاب تملك كل شيء من سيارات فارهة وملابس فاخرة وعطل مريحة وأطعمة لم يسمع بها 80 في المئة من زملائهم، وأغلبية لا تجد وجبة واحدة طول اليوم، وهذا وضع يجعل الطلاب أكثر استجابة للعنف بسبب الشعور بالظلم وفقدان الأمل».

شرطة جامعية

وبعد انتشار العنف في ساحات الجامعات، أعلنت وزارة الداخلية عام 2016 إنشاء إدارة شرطية متخصصة لتأمين الجامعات، وقوبل هذا القرار برفض من الطلاب والعديد من الأساتذة الذين أعلنوا أن دخول الشرطة للجامعات سيزيد من حدة التوتر، لكن آخرين أيّدوا الخطوة وطالبوا بتدريب هذه الشرطة من النواحي السلوكية للتعامل مع قطاع الطلاب وردت وزارة الداخلية على المتشككين أنها دربت 460 من حملة الشهادات الجامعية، فضلا عن 300 من المجندين.

طلاب بلا عنف

ولم يقف الطلاب مكتوفي الأيدي إزاء الدماء التي تسيل في مدرجات وساحات الجامعات، فنشأت العديد من المجموعات التي تسعى إلى إحتواء هذه الأحداث ومنها «مبادرة طلاب بلا عنف» وهي مبادرة شبابية وطلابية لإنهاء دائرة العنف داخل وخارج الجامعات السودانية وإحياء قيم التعايش السلمي بين كل مكوناتها ونبذ التعصب والقبلية.

مؤشرات العنف

وقامت المبادرة بدراسة أوردت من خلالها تعدد مؤشرات تنامي العنف الطلابي في الجامعات وذلك من خلال كثافة العمليات والانتشار الجغرافي للعنف، إذ لم تعد ظاهرة العنف الطلابي مقتصرة على جامعات بعينها، بل طالت معظمها، إضافة للتطور النوعي للأدوات المستخدمة، حيث تم اللجوء في بعض الحالات إلى الأسلحة البيضاء والأعيرة النارية وتعددت أدوات وطرائق العنف، وتم تقسيم العنف في الجامعات إلى ثلاثة مستويات هي: العنف بين الطلاب وبعضهم والعنف بين الطلاب وإدارة الجامعة والاشتباكات التي وقعت بين الطلاب وقوات الأمن.

محاولات خجولة

وعلى مستوى السلطتين التنفيذية والتشريعية، بذلت جهود لمناقشة ظاهرة العنف داخل الجامعات، لكنها اتخذت مسارا واحدا هو تجريم الطلاب دون التطرق لعنف السلطات تجاههم. وطالبت البروفيسور سمية أبو كشوة وزيرة التعليم العالي، البرلمان– في وقت سابق– باجازة قوانين ضد حمل السلاح والعنف في الحرم الجامعي، مع مراقبة الطلاب بواسطة الكاميرات الإلكترونية وتطوير الحرس الجامعي، واكتفى نواب برلمانيون بالمطالبة بحظر النشاط السياسي في الجامعات ومحاكمة الطلاب الذين يتسببون في اتلاف الممتلكات العامة.

ميديا

صورة للرئيس بوتفليقة تثير جدلا في الجزائر

لندن ـ «القدس العربي»

أثارت صورة للرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة موجة من الجدل في بلاده، كما جددته بشأن حالته الصحية ومكان وجوده ومشاركته في المناسبات العامة وسط اعتقاد بأن حالته الصحية ربما تكون متدهورة إلى درجة أكبر بكثير مما هو معلن.

وفي تفاصيل الواقعة فقد تم تكريم «صورة خشبية» للرئيس بوتفليقة خلال اجتماع لرؤساء البلديات في الجزائر انعقد الخميس الماضي، حيث وضع المجتمعون صورة بوتفليقة على خشبة المسرح ووضعوا وشاحاً للتكريم عليها، وهو ما أثار موجة جدل في الجزائر بسبب تكريم الصورة وليس الرئيس.

واعتبر كثير من المغردين على «تويتر» والمدونين على «فيسبوك» أن تكريم الصورة يمثل «إهانة» للرئيس وليس تكريماً له، فيما تساءل آخرون عن سبب غيابه وعن حالته الصحية.

ووصف الناشط السياسي كمال قرابة هذا المشهد بأنه «صورة مؤلمة» وكتب: «كنتُ أهم بكتابة أسطر عن ندوة الداخلية بالمنتخبين المحليين وآفاق التنمية ودور الناخب حتى صدمتني هذه الصورة من الندوة لكبار مسؤولي الدولة، وهم منهمكون في تكريم الرئيس الذي اختزل في صورة بإطار من الخشب وذكرني بآلهة قريش التي إن جاع صاحبها أكلها وإن برد أشعلها ليدفأ... بؤساء نحن والوجع بلغ مداه».

وعلق الإعلامي نسيم لكحل بالقول: «أهانوك وأيّ رجل أهانوا!» وخاطب شقيق الرئيس سعيد بوتفليقة بالقول: «كيف ترضى أن «يكرموا» شقيقك الرئيس بهذه الطريقة التي تختزله في مجرد صورة يحتضنها إطار خشبي. إنها طريقة تُستعمل عادة مع الموتى لا مع الأحياء، إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم... أيها العابثون... أليس فيكم رجل رشيد؟! ألم تبق في رصيدكم ذرة حياء؟!».

وقال عضو المجلس الولائي في ولاية تلمسان نورالدين بلهواري إن «تكريم الرئيس من خلال صورته، إهانة للرئيس. أليس في البلد رجل رشيد؟».

يشار إلى أن عبد العزيز بوتفليقة هو الحاكم العاشر للجزائر منذ التكوين الوطني الجزائري وهو في الـ19 من عمره والرئيس الثامن منذ الاستقلال، وهو من مواليد عام 1937 وكان قد التحق بعد نهاية دراسته الثانوية بصفوف جيش التحرير في عام 1956. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2012 تجاوز في مدة حكمه مدة حكم الرئيس هواري بومدين ليصبح أطول رؤساء الجزائر حكما، وفي 23 شباط/ فبراير 2014 أعلن رئيس وزرائه عبد المالك سلال ترشحه لولاية رئاسية رابعة وسط جدل حاد في الجزائر حول صحته ومدى قدرته على القيام بمهامه كرئيس دولة.

وزير أردني يسجن اثنين من الصحافيين وزملاؤهم يحتجون

لندن ـ «القدس العربي»

تسببت شكوى قضائية تقدم بها وزير لا يزال في منصبه في الحكومة الأردنية في اعتقال صحافيين وإحالتهما إلى القضاء الذي رفض إخلاء سبيلهما انتصاراً للشكوى الشخصية من الوزير، فيما تصاعدت وتيرة الغضب في أوساط الصحافيين الأردنيين بسبب الواقعة حيث نظموا اعتصاماً طالبوا فيه بإطلاق سراح زملائهم المعتقلين.

وفي التفاصيل التي حصلت عليها «القدس العربي» من مصدر إعلامي أردني تقدم وزير المالية الأردني عمر ملحس بشكوى ضد اثنين من الصحافيين كانا قد نشرا تقريراً يتهمانه فيه بالتهرب الضريبي، وهو ما أغضب الوزير الذي تقدم بشكوى قضائية ضدهما، فيما أمر المدعي العام بتوقيفهما وإيداعهما السجن على الفور لحين إحالتهما إلى المحكمة.

والصحافيان هما: رئيس تحرير موقع «جفرا» الإخباري على الانترنت عمر محارمة والمحرر شادي الزيناتي، حيث قرر المدعي العام توقيفهما يوم السادس عشر من كانون الثاني/ يناير الحالي قبل أن يوافق على تكفيلهما وإخلاء سبيلهما بعدها بيومين، وتحديدا يوم 18 يناير/كانون الثاني الحالي، وذلك بعد يوم واحد من اعتصام نفذه عشرات الصحافيين أمام مقر نقابتهم تضامنا مع محارمة والزيناتي.

وجاء توقيف الصحافيين بعد يوم واحد من قرارات الحكومة الأردنية المتعلقة برفع الأسعار.

وشارك العديد من الصحافيين الأردنيين صباح الأربعاء الماضي في اعتصام ضد اعتقال زميليهما حيث تم تنفيذ الاعتصام أمام مقر النقابة في عمان بعد أن رفضت الحكومة السماح لهم بتنفيذه أمام مقر رئاسة الحكومة، حسب مصدر إعلامي أردني تحدث للـ«القدس العربي».

ورفع الصحافيون صوراً لكل من محارمة والزيناتي وشعارات تطالب بالإفراج عنهما والتراجع عن سياسة توقيف الصحافيين في قضايا المطبوعات والنشر، كما عبروا عن غضبهم من قرار منعهم الاعتصام أمام دار رئاسة الوزراء، وهتفوا «حرية حرية... حكومتنا عرفية» و«شدوا شدوا بالأقلام...على الفاسد والجبان».

وقال الصحافي باسل العكور «إن الحكومة عرفية تريد أن تسكت أصواتنا وتريد أن تلغي دورنا في وسائل الإعلام، هي لا تريد شهوداً على فسادهم واعتدائهم على حقوق الناس والحريات العامة والصحافية».

وانتقد منعهم من الاعتصام أمام دار رئاسة الوزراء تحت طائلة الاعتقال، معتبرا في ذلك رسالة خطيرة، مؤكداً في الوقت ذاته عزمهم عدم الرضوخ للتهديدات الحكومية.

وحسب المعلومات التي تم نشرها في الأردن فقد تم توقيف كل من المحارمة والزيناتي استنادا للمادة 11 من قانون الجرائم الإلكترونية، والتي تجيز توقيف الصحافيين وتنص على معاقبة أي شخص ينشر ما ينطوي على ذم أو قدح أو تحقير عبر المواقع الإلكترونية بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وبغرامة لا تقل عن مئة دينار ولا تزيد على ألفي دينار.

ولا يجيز قانون المطبوعات والنشر الذي ينظم عمل الصحافيين في الأردن توقيف أي صحافي أو إعلامي في قضايا النشر، كما لا يتضمن أي عقوبات سالبة للحرية بسبب الرأي، إلا أن الحكومة والقضاء وحتى المشتكين العاديين يلجأون إلى ملاحقة الصحافيين بموجب القوانين الأخرى، ومن بينها قانون العقوبات وقانون الجرائم الالكترونية، وكلاهما يتضمن عقوبات بالسجن والغرامة بسبب النشر أو إبداء الرأي.

الانتخابات الرئاسية في مصر تهيمن على شبكات التواصل الاجتماعي

لندن ـ «القدس العربي»

هيمنت الانتخابات الرئاسية المرتقبة في مصر خلال العام الحالي على اهتمامات النشطاء المصريين على شبكات التواصل الاجتماعي خاصة في أعقاب إنسحاب أحمد شفيق من السباق الانتخابي وإعلان الفريق سامي عنان الترشح، فضلاً عن أن إعلان المستشار مرتضى منصور ترشحه للانتخابات أثار موجة من الجدل المزوج بالسخرية. واعتبر الكثير من المصريين أن ترشح عنان لانتخابات الرئاسة يشكل مفاجأة كبيرة، بينما تحداه آخرون بأن يستمر على قراره بمنافسة السيسي، فيما رأى قسم ثالث أن ترشح عنان ربما يكون تمهيداً من المؤسسة العسكرية في مصر للتخلص من السيسي وإنهاء حياته السياسية، وهو ما يمكن أن يشكل دليلاً أيضاً على عدم رضا الجيش عن أداء السيسي الذي ارتبط اسمه بالعديد من الأزمات في البلاد.

وأطلق النشطاء المصريون العديد من الحملات والوسوم على «تويتر» لتبادل وجهات النظر حول الانتخابات الرئاسية المصرية، فيما أطلقوا حملات تدعو لعدم التجديد للسيسي ودعم أي مرشح آخر، فيما أبدى آخرون عدم تفاؤلهم من الانتخابات المقبلة.

سامي عنان

وكتب الناشط والأكاديمي المصري الدكتور حازم عبد العظيم معلقاً على إعلان عنان ترشحه لانتخابات الرئاسة إن «ترشح سامي عنان يعني أحد الاحتمالين: الأول، استكمال المسرحية الهزلية مجاملة للسيسي ليعطي شرعية تنافسية للانتخابات. وهما جنرالات ومصالحهم متشابكة. الثاني أن يكون جادا وحقيقيا بأجندة سياسية حادة ومعارضة تماما لسياسات السيسي وانشقاق واضح عن معسكر «طنطاوي–السيسي–العصار». لن أحكم قبل أن أسمع منه».

أما الإعلامي والناشط الحقوقي هيثم أبوخليل فغرد على «تويتر» قائلاً: «نزول سامي عنان ليس تمثيلية إنما هو الإعلان الصريح عن صراعات في الأدوار العليا في مصر لا يعلم الشعب المصري عنها شيئاً وإحنا قاعدين نتفرج».

وقال الإعلامي سامي كمال الدين في تغريدة له إن «أسوأ ما في ترشح الفريق سامي عنان للرئاسة أن الذي أعلنه هو أمين عام حزب مصر العروبة الديمقراطي سامي بلح».

وكتب أحد المغردين: «ارتباك شديد من مؤيدي السيسي، مش عارفين يشتموا عنان ولا يقولوا من حقه يترشح، في انتظار الأوامر أعلى النخلة».

أما الحساب المعروف بنشر بعض الأسرار والفضائح على «تويتر» ويحمل اسم (طامح) فعلق على ترشح عنان بالقول: «سيترشح الفريق سامي عنان للانتخابات الرئاسية وقد أخذ الضوء الأخضر للترشح من جهات كبرى سيادية في مصر. تذكروا هذه التدوينة وأنشروها عني».

وربط أحد المغردين بين التسريبات التي شغلت المصريين في الأيام الماضية وبين ترشح عنان لانتخابات الرئاسة، حيث قال: «تسريبات الأمس، وإعلان عنان ترشحه رسميا لانتخابات مصر أراها تعني أن هناك أطرافاً في المخابرات المصرية تريد إسقاط السيسي بشكل أو بآخر».

وعلق المؤرخ المصري الدكتور محمد الجوادي على ترشح عنان بالقول: «أحد المقربين من سامي عنان قال لي إن دولة عربية كبيرة تقف معه وإن البس معه عالخط فقلت له: اذن المقصود هو إهانته لا ترشيحه، فهذه الدولة لا تقف مع أحد إلا لتضيعه، وأنظرها حين تبنت ثورة سوريا فبعد إن كانت 90% في أيدي الثوار باعتهم لبشار بشهادة أوباما».

مرتضى منصور

وأثار إعلان المستشار مرتضى منصور ترشحه لانتخابات الرئاسة موجة من الجدل أيضاً على شبكات التواصل الاجتماعي في مصر حيث اعتبر العديد من النشطاء أن ترشح رئيس نادي الزمالك للانتخابات الرئاسية ما هو إلا محاولة للتغطية على قرار كان متوقعاً أن يصدر بمنع ظهوره في وسائل الإعلام.

وكان تقرير لمفوضي مجلس الدولة قد أوصى بوقف برنامج الإعلامي أحمد موسى «على مسؤوليتي» ومنع رئيس نادي الزمالك من الظهور في الإعلام حيث أقام المحامي طارق العوضي منذ عامين دعوى بمنع مرتضى منصور من الظهور في الإعلام وأرفق بها جميع «شتائم وسباب مرتضى» على وسائل الإعلام.

وتباينت تعليقات النشطاء بين السخرية من ترشح مرتضى وبين اعتباره «نائبا عن السيسي في شتم باقي المرشحين» وبين من وصفه بأنه «النسخة المصرية من ترامب».

وعلق أحد الساخرين على «تويتر» بالقول: «مرتضى منصور لو فاز برئاسة الجمهورية هيقفل النادي الأهلي ويقبض على مشجعيه، ويسرح اللاعبين، وهيعمل سيديهات لمصر كلها».

وكتب آخر بسخرية: «مرتضى منصور لو بقى رئيس هيعمل الآتي: هيشيل اللون الأحمر من علم مصر، هيحط في اللون الأبيض خطين حمر صغيرين، هيمسك ابنه أحمد وزير الدفاع ويحط النسر على كتفه، هيحط مكان النسر شعار الزمالك، هيجيب هاني العتال نائب ليه، هيمسك باسم مرسي وزير الرياضه، هيعدم أحمد الشناوي وعلي جبر».

وغرد آخر: «عموما مرتضي منصور مستحيل يكسب الانتخابات لأن تمانين تسعين في المليه من الناس أهلاويه مش هيرضوا يدوله صوتهم عشان ميسبش نادي الزمالك».

السيسي يرد بحملة

ومع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية أطلق مؤيدون للسيسي الوسم (#مع_السيسي_مصر_أقوى) لحث المصريين على التصويت للسيسي في الانتخابات والترويج له من أجل تحسين مركزه الانتخابي.

وسرعان ما صعد الهاشتاغ إلى قائمة الوسوم الأكثر تداولاً على «تويتر» في مصر والعالم العربي بعد أن شارك مؤيدو ومعارضو السيسي في استخدامه من أجل استعراض إنجازات الرجل عبر هذا الوسم، واستعراض أخطائه من قبل المعارضين له.

وكتبت رانيا منصور: «#مع_السيسي_مصر_أقوى من أي اتجاه؟ اقتصاد منهار حتى التفريعة طلعت لرفع روحنا المعنوية، مفيش دولار عشان مفيش سياحة عشان، مش عارف ينتصر في حرب الإرهاب اللي وَرّطنا فيها عايشين على الشحاتة من هنا وهناك، وآخر المتمّة باع جزيرتين وبنتعاير من طوب الأرض ومن اللي يسوى وما يسواش إننا شحاتين».

أما الإعلامي أسامة جاويش فكتب مغرداً: «#مع_السيسي_مصر_أقوى من ناحية نهر النيل اللي راح، ولا من ناحية تيران وصنافير اللي فرّطت فيهم، ولا من ناحية حقول الغاز اللي باعها اختشوا شوية».

وفي السياق ذاته كتبت سما آدم: «40 مليارا ضايعة من الميزانية، 81 مليار دولار ديون، مفيش مصانع، أقل شقة فالإسكان بقت بنص مليون، مفيش فرص عمل، السياحة واقفة والاقتصاد منهار والصحة مفيش.. حتى زراعة القصب والقمح والأرز اتوقفنا عنها وهنضطر نستوردها بالمليارات ويبجي كائن هلامي يقول #مع_السيسي_مصر_أقوى ادينى عقلك».

وقال أحد المغردين: «مصر قوية بالصرف الصحي اللي مغرق الشوارع والزبالة اللي تحت الكباري، والحرامية اللي واكلين خيرها، والحقوق المسلوبة والشباب اللي مالين السجون، ولقمة العيش اللي بقى صعب الوصول ليها والأخلاق اللي ما بقت موجودة والدين اللي اتنسى والكرامة اللي اتداست.. مصر تنهار».

في المقابل كتبت زيزي طيبي على «تويتر»: «احنا جامدين، ومصر دولة جامدة، هذا هو رئيس مصر من نستمد منه القوة والتحدي والإصرار للقضاء على الإرهاب وممارساته وتحقيق تنمية مستدامة واستكمال المشروعات القومية التي بدأها واستقلال الإرادة الوطنية واستعادة هيبة الدولة لنصل إلى حلم بناء دولة مدنية حديثة».

وقالت مغردة أخرى: «#مع_السيسي_مصر_أقوى.. لا فرط ولا هيفرط في حبة رمل، بيحارب الوقت عشان بكرة، اجمدوا يا مصريين معاه ووراه، بلدنا تستاهل نتحمل ونصبر ونكمل معاه».

وقال آخر: «#مع_السيسي_مصر_أقوى ترتيب الجيش المصري أصبح الأول عربياً والعاشر دولياً، القوات البحرية المصرية السادسة عالمياً، القوات الجوية المصرية العاشرة عالمياً. الجيش المصري مع السيسي أصبح قوة لا يستهان بها. تحيا مصر يا ريس».

علوم وتكنولوجيا

ابتكار بطارية خارقة يمكن إعادة شحنها خلال ثانية واحدة

لندن – «القدس العربي»:

نجح باحثون ومهندسون صينيون من جامعة «تشجيانغ» في صنع بطاريات ألمنيوم أيون خارقة، يمكن إعادة شحنها خلال ثانية واحدة فقط، وهو ما يشكل تطوراً ثورياً جديداً في مجال التغلب على مشكلة نفاد الطاقة من البطاريات في الهواتف الذكية، والتي تعتبر أهم العقبات التي تواجه شركات صناعة المحمول في العالم.

وقام البروفيسور تشاو غاو باستخدام رقائق الغرافين «الكربون» التي تبقى محافظة على 91 في المئة من قدرتها، حتى بعد إعادة شحنها أكثر من 250 ألف مرة.

ويؤكد الباحثون دوما على أن الغرافين يعد موصلا جيدا للكهرباء والحرارة ويتميز بخفة وزنه ومرونته وهو مادة خاملة كيميائيا (لا يدخل في التفاعلات الكيميائية) كما يعتبر مادة تتمتع بمساحة كبيرة تعتبر صديقة للبيئة، وهو من المواد التي تستخدم في مجالات علمية صناعية كثيرة، ويمكن الحصول منه على قدرة تخزينية هائلة في البطاريات التي تتطلب وقتا قليلا أثناء الشحن مقارنة بالمواد الأخرى.

ونشرت مجلة «سيانس أدفانسز» الأمريكية تقريرا عن النوع الجديد من البطاريات المرنة الآمنة وغير القابلة للاشتعال، والتي تُشحن بالكامل خلال بضع ثوان (تشحن خلال 1.1 ثانية فقط) بالإضافة إلى أنها تعمل بشكل فعال ضمن إطار درجات حرارة واسع جدا من 40 درجة تحت الصفر إلى 120 درجة مئوية، والأهم من هذا وذاك أنها لا تنفجر عند ملامستها للنار.

يذكر أن بطاريات «الألمنيوم أيون» هذه لا يمكنها منافسة نظيراتها المصنعة من ليثيوم أيون تجاريا، بسبب حجمها الكبير نسبيا والتكلفة المرتفعة بسبب نوع الكهرباء المستخدمة فيها.

وينشغل العلماء والباحثون والعديد من الشركات الكبرى في البحث عن حلول جديدة لمشكلة نفاد البطاريات التي يُعاني منها ملايين المستخدمين حول العالم، وفي هذا الإطار أعلن مجموعة من العلماء مؤخرا أنهم بصدد ابتكار بطارية جديدة يتم إعادة شحنها بواسطة ملح الطعام الذي يتوفر بسهولة في كل مكان، وبثمن رخيص جداً، على أن البطارية المبتكرة تدوم لمدة أطول بكثير من الـ«ليثيوم» التقليدية المستخدمة حالياً في الهواتف المحمولة والتي تنفد منها الطاقة سريعا.

وحسب التكنولوجيا الجديدة التي يجري تطويرها من قبل فريق بحثي فرنسي فان البطارية الجديدة التي يتوقع أن يراها العالم قريبا تعمل بالطاقة المستمدة من أيونات الصوديوم، وتستخلص الصوديوم من ملح الطعام المتوفر بشكل واسع في المنازل والمطابخ والمطاعم والمقاهي.

وكشف فريق البحث الفرنسي عن النموذج الأول من نوعه للبطارية وأطلقوا عليها اسم «Na–ion» مشيرين إلى أنها «تتضمن طاقة أكثر، وتشحن بسرعة أكبر، وتعمر لفترة أطول عند المستخدمين».

ويقول الباحثون إن التكنولوجيا التي يعملون على تطويرها يمكن أن ترتقي لاحقاً ليتم استخدامها في عمليات تخزين الطاقة الناتجة عن توربينات الرياح والخلايا الشمسية، أي أنها يمكن أن تحدث تطوراً كبيراً في عالم الطاقة البديلة المتجددة، وأن تؤدي للتغلب على الكثير من العوائق التي تواجه مصادر الطاقة البديلة.

ويقول الباحثون إن التكنولوجيا الجديدة تمثل تطوراً في عالم البطاريات، سواء إذا ما قورنت ببطاريات الليثيوم المستخدمة في الأجهزة الالكترونية، أو ببطاريات الـ«أسيد» المستخدمة في السيارات والمركبات.

وفي الولايات المتحدة تمكن باحثون مؤخراً من ابتكار تكنولوجيا جديدة من شأنها أن تؤدي إلى إنتاج بطاريات تعمر حتى عشر سنوات دون الحاجة إلى إعادة شحنها، حيث أعلنت شركة «أتميل» الأمريكية المتخصصة في تصميم ودراسات أشباه الموصلات والرقائق الالكترونية، أنها تعمل حالياً على تطوير بطاريات جديدة تقوم بشحن نفسها عبر استلهام الطاقة من جسم الإنسان، وهو ما سيجعل بطارية المحمول تقوم بإعادة شحن نفسها طوال مدة حملها من قبل المستخدم.

وتعتمد التكنولوجيا التي أعلنت الشركة أنها تقوم بتطويرها على رقائق ذكية فائقة القدرة تنتمي إلى عائلة المعالجات الذكية «ARM» التي تنتجها الشركة والتي تم استخدامها أصلاً من قبل «آبل» في إنتاج أجهزة «آيباد» و«آيفون فايف أس» وهو ما يشير إلى أن التكنولوجيا الجديدة التي قد ترى النور ستكون متوائمة مع الأجهزة التي تنتجها شركة «آبل» الأمريكية.

أما في روسيا، فقد تمكنت شركة روسية من توظيف الطاقة النووية لأول مرة في إنتاج بطارية خارقة لتحدث بذلك ابتكاراً ثورياً غير مسبوق، حيث أنتجت بطارية تدوم لمدة 50 عاماً قبل أن تنفد منها الطاقة ويحتاج مستخدمها إلى تبديلها.

ووفقا للخبراء فإن «هذه البطارية التي ابتكرتها شركة «روس أتوم» مؤخرا تعتبر اختراعا مهما في عالم الطاقة، فهي تعتمد نظائر العناصر المشعة لتوليد تيار يكفي لتشغيل بعض الأجهزة الكهربائية، التي لا تحتاج الكثير من الطاقة، ما يجعل منها نموذجا فريدا للبطاريات النووية الصغيرة».

ونقلت قناة «روسيا اليوم» عن مدير قسم التطوير في مؤسسة «لوتش» الفدرالية الروسية بافل زايتسف قوله إن «هذه البطارية قد تكون مفيدة للاستخدامات الطبية، كونها تعمل لفترات طويلة دون انقطاع، ومن الممكن استخدامها مستقبلا في تشغيل منظمات القلب الإلكترونية».

وتعتبر مشكلة نفاد البطاريات الأزمة الأكبر التي تعاني منها شركات إنتاج الهواتف المحمولة الذكية، كما تبذل مجهودا استثنائيا من أجل حلها، لكن أغلب الحلول المستخدمة حتى الآن لا تزال محدودة الكفاءة والفعالية، فيما تعمل الشركات الكبرى مثل «آبل» الأمريكية و«سامسونغ» الكورية على تطوير قدرات البطاريات في هواتفها والبحث عن حلول لنفاد طاقتها الكهربائية في وقت مبكر.

واضطرت شركة «سامسونغ» مؤخراً لإنتاج هواتف جديدة تتمتع بخاصية توفير الطاقة، ولكن شريطة تعطيل بعض المزايا في الجهاز، بما في ذلك الشاشة الملونة لإبقاء البطارية على قيد الحياة مدة أطول.

82 في المئة من الموظفين في الشرق الأوسط لا يتقنون أمن المعلومات

لندن – «القدس العربي»:

تبين من دراسة حديثة صادرة عن واحدة من أهم وأشهر شركات أمن المعلومات في العالم أن الغالبية الساحقة من الموظفين العاملين في الشركات والقطاع الخاص في منطقة الشرق الأوسط لا يدركون المعايير اللازمة لأمن المعلومات، وهو ما يعني أن كل واحد من هؤلاء يشكل ثغرة أمنية للشركة أو الموقع الذي يعمل فيه ويمكن للقراصنة والـ«هاكرز» النفاذ من خلالها.

وجاءت هذه النتائج في الدراسة الاستطلاعية التي أجرتها شركة «كاسبرسكي لاب» المتخصصة في أمن المعلومات بالتعاون مع شركة «بي تو بي إنترناشونال».

ووجدت أن 18 في المئة فقط من الموظفين في منطقة الشرق الأوسط وتركيا وأفريقيا مدركون إدراكاً كاملاً لسياسات أمن تقنية المعلومات ولوائحه التنظيمية في الشركات التي يعملون فيها.

ويقول الباحثون إن هذا الأمر يفرض تحديات إضافية عندما يتعلق بوضع إطار العمل الصحيح للأمن الإلكتروني، إذا أضيف إليه ما وجدته الدراسة من أن 40 في المئة من الموظفين ينظرون إلى الحماية من التهديدات الإلكترونية باعتبارها «مسؤولية مشتركة».

ووجدت الدراسة التي شارك فيها 7993 موظفاً يعملون بدوام كامل وطرحت أسئلة تتعلق بالسياسات والمسؤوليات المتعلقة بأمن تقنية المعلومات لدى الشركات، أن 28 في المئة من العاملين في منطقة الشرق الأوسط وتركيا وأفريقيا يرون أنه لا توجد سياسات أمنية راسخة في شركاتهم على الإطلاق. وأظهرت بصورة مثيرة للاهتمام أن الجيل بالمقارنة ليس عند أدنى مستوى، إذ يعتقد حوالي نصف المستطلعة آراؤهم 49 في المئة أن جميع الموظفين، بمن فيهم في ذلك هم أنفسهم، يجب أن يتحملوا مسؤولية حماية أصول تقنية المعلومات لدى الشركات التي يعملون فيها، من أخطار التهديدات الإلكترونية.

وقال الباحثون إن الموظفين يفعلون عكس ما يعتقدون به في بعض الأحيان، مثلما أثبتت دراسة أخرى من «كاسبرسكي لاب» فقد كان إهمال موظفين سبباً في شنّ هجمات على شركاتهم بواقع 55 في المئة من حوادث الأمن الإلكتروني خلال العام الماضي، وفقاً لتقرير أصدرته «كاسبرسكي لاب» بعنوان «العامل البشري في أمن تقنية المعلومات: كيف يساهم الموظفون من داخل الشركة في تعريض الأعمال التجارية للخطر؟».

ويمكن أن يشكّل هذا التناقض خطراً على الشركات الصغيرة تحديداً، حيث لا توجد وظيفة مخصصة لأمن تقنية المعلومات، بل يجري توزيع المسؤوليات الأمنية التقنية بين موظفي تقنية المعلومات وزملائهم من غير المختصين، ما قد يعرض أمن الأعمال التجارية وسلامتها للخطر جرّاء إهمال متطلبات أساسية، مثل التغيير الدوري لكلمات المرور أو تثبيت التحديثات الضرورية. ووفقاً لخبراء كاسبرسكي لاب، فإن الإدارة العليا والمختصين في الموارد البشرية والمالية ممن لديهم إمكانية الوصول إلى البيانات المهمة في شركاتهم، هم في العادة الأكثر عرضة لخطر الاستهداف.

وتستفيد الشركات الصغيرة والمتوسطة من التدريب المنتظم للموظفين على التوعية الأمنية في تقنية المعلومات، ومن المنتجات المصممة خصيصا لتلبية احتياجاتها الخاصة، وذلك بُغية التصدي لهذه المشكلة وحلها، فعلى سبيل المثال، يتضمن حل الأمن السحابي (Endpoint Security Cloud) من كاسبرسكي مزايا مثل إعدادات الأمان مسبقة التهيئة، والحماية الفورية عبر جميع الأجهزة، وقدرات الإدارة السهلة التي لا تتطلب خبرة متعمقة، ما يقلل العبء عن كاهل فرق تقنية المعلومات.

وقال فلاديمير زابوليانسكي رئيس قسم الشركات الصغيرة والمتوسطة لدى «كاسبرسكي لاب» إن «المشروع لا يزال في مراحل تطويره الأولى، فإن الباحثين أكدوا أنهم لا يريدون تقديم وعود «غير واقعية» لما يمكن أن يقوم به «القط الروبوت».

وتشهد تكنولوجيا صناعة «الإنسان الآلي» أو «الروبوت» تطوراً هائلاً منذ سنوات، حيث يخشى بعض العلماء أن تصل إلى درجة تخرج فيها عن سيطرة البشر، وهو ما يعني أنها ستتسبب في هلاك البشرية بأكملها.

وتم مؤخراً اختبار أحدث ابتكار لـ«روبوت» يقوم بالعديد من الأعمال الانسانية ويُدعى «ANYmal» في مختبر أنظمة الروبوتات في مدينة زيورخ السويسرية، حيث ظهر الإنسان الآلي الجديد وهو يقوم بطلب المصعد الكهربائي، كما يأتي الروبوت الذي كان قيد التطوير لأكثر من عام بأربعة أرجل.

ويواصل المختبر عملية البحث في كيفية استخدام أرجل الـ«روبوت» من خلال القيام بمهام بسيطة للغاية، كما أنقن «ANYmal» تسلق الأدراج ببطء.

وأصدر مركز الروبوتات والميكاترونيكس في ألمانيا مؤخرا، النسخة التجريبية من الروبوت «David» وهو يقوم بثقب كتلة من الخرسانة.

واختبر المركز أيضا الروبوتات التي تعمل بشكل تعاوني مع البشر، وفي أيلول/سبتمبر من العام الماضي عمل «روبوت» آخر كمعاون مع رائد في وكالة «ESA» في الفضاء.

وفي حين أن الروبوتات تثبت نفسها في المهام الميكانيكية التي تتطلب قدرا من الدقة والتكرار، يقول الباحثون إنها قد تستغرق 40 عاما قبل أن تنجح في التحديات الأكثر تعقيدا.

وأوضحت دراسة أجرتها جامعتا كمفوردو ويل، استنادا إلى أفكار أكثر من 300 خبير في الذكاء الاصطناعي، أن الروبوتات ستتمكن من إنجاز جميع المهام البشرية بحلول عام 2053.

وفي تطور آخر، نجح علماء التكنولوجيا في ابتكار «روبوت» يمكنه مساعدة الأشخاص العاديين والمسؤولين السياسيين على اتخاذ القرارات المناسبة بما في ذلك التصويت في أي انتخابات أو قرارات يتم التصويت عليها كالقوانين التي تصدر في البرلمانات.

وهذا الروبوت هو الأول من نوعه في العالم، ويتمتع بذكاء أعلى من أي «روبوت» آخر بسبب كونه لا يقدم مساعدة مادية آلية، وإنما يساعد الشخص على التفكير واتخاذ القرارات المناسبة، لكن هذا النوع من الإنسان الآلي يشكل جرس انذار لخطر كبير يواجه البشرية، وهو أن «الروبوت» قد يحكم العالم يوما وربما يتفوق في قدراته على البشر العاديين.

ويحمل الروبوت الجديد الذكاء اسم «نايغل» وهو متخصص في تقديم المساعدة فيما يخص القرارات السياسية.

وقالت جريدة «دايلي ميل» في تقرير لها إن هذا الروبوت طوره باحثون في شركة «كايمبرا سيستيمز» الأمريكية العملاقة التي تأسست عام 2012 وتتخصص في بحوث الذكاء الصناعي، وتقول على موقعها الالكتروني إن الخبراء فيها وضعوا نتائج بحوثهم المستمرة منذ أكثر من 60 عاماً في مجال الذكاء الصناعي، ووصفوا الرجل الآلي الجديد أنه «أول ذكاء اصطناعي في العالم يحاكي البشر».

اكتشاف مهم قد يسمح للبشر بالعيش على المريخ

لندن – «القدس العربي»:

وجد العلماء صفائح جليدية ضخمة تمتد عبر سطح المريخ، ما يمكن أن يغير في مجريات الأحداث المتعلقة بإمكانية العيش على الكوكب الأحمر.

واستخدم العلماء في بحثهم صورا من مركبة «ناسا» الفضائية التي تدور حاليا حول المريخ، حيث وجدوا 8 مواقع يبدو أنها تحتوي على رواسب ثلجية ضخمة في منحدرات حادة، حسب ما ذكرت جريدة «اندبندنت» البريطانية.

وقالوا إن الجليد قد يكون مصدرا سهلا للمياه، بالنسبة للمستكشفين الذين يرغبون في السفر والعيش على الكوكب الأحمر.

وعرف الباحثون منذ فترة طويلة أن سطح المريخ يحوي بعض الجليد الضحل، وأن هناك كميات محدودة في قطبيه. ولكن البحث الأخير يصف شيئا جديدا تماما، صفائح سميكة تحت السطح منتشرة على طول المنحدرات الكبيرة.

وقال كولين دوندداس، عالم الجيولوجيا البحثية في «فلاج ستاف» في ولاية أريزونا الأمريكية والذي قاد الدراسة: «كان من المستغرب أن نجد جليدا منتشرا على السطح في هذه الأماكن، وفي خطوط العرض الوسطى، حيث توجد عادة طبقة سميكة من الغبار».

واستخدم الباحثون صورا من مركبة استطلاع المريخ (Mars Reconnaissance Orbiter) التي درست الغلاف الجوي وتضاريس المريخ منذ عام 2006 بما في ذلك تاريخ تدفق المياه في الأعماق أو بالقرب من سطحه.

وأظهرت النتائج أن الجليد قد يكون أكثر انتشارا مما كان معروفا سابقا، بحيث يمكن استخدامه كماء لدعم البعثات الاستكشافية الروبوتية أو البشرية في المستقبل، وربما إنشاء قاعدة دائمة على الكوكب الأحمر. ويمكن استخدام المياه للشرب والحصول على أوكسيجين للتنفس منها.

ويقول عالم الكواكب، شين بيرن، في مختبر جامعة أريزونا، وهو مؤلف مشارك للدراسة التي نشرت في مجلة «العلوم»: يحتاج البشر إلى الماء أينما ذهبوا، ومن الصعب جدا نقله أو حمله. وانحصرت الأفكار السابقة في سحب قطرات الماء من الجو شديد الجفاف، أو تحطيم الصخور المحتوية على الماء، للاستخدام البشري على المريخ.

وأضاف بيرن قائلا: «لدينا الآن ما نعتقد أنه جليد ماء نقي إلى حد ما، موجود تحت السطح مباشرة، يمكن أن يكون الحل للمستكشفين».

«قط آلي» لخدمة كبار السن ومؤانستهم في وحدتهم

لندن – «القدس العربي»:

يعمل باحثون أمريكيون مختصون في مجال الذكاء الصناعي على إيجاد حل لمشكلة الوحدة والعزلة والفراغ التي يعاني منها كبار السن في العالم، حيث يجري تطوير «قط آلي» من شأنه ملء بعض الفراغ الذي يعاني منه هؤلاء الأشخاص.

ومن شأن القط الآلي أو «القط الروبوت» أن يكون في خدمة المسنين الذين يواجهون صعوبات في القيام ببعض المهام اليومية بحيث يكون مساعداً لهم ومؤنساً في حياتهم.

وقالت قناة «سكاي نيوز» التي استعرضت الفكرة في تقرير لها إن «القط الآلي» هو مشروع مشترك بين جامعة برأون في ولاية رود آيلاند في الولايات المتحدة، وشركة «هاسبرو» لصناعة الألعاب، وقد حظي المشروع بدعم مالي من مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية بثلاثة ملايين دولار بهدف تنفيذه.

وعلى الرغم من أن «القط الروبوت» متوفر للبيع منذ عامين بنحو 200 دولار أمريكي، إلا أن الباحثين يرغبون في دمج الذكاء الاصطناعي ليكون قادرا على القيام بمهارات أكثر من التي يؤديها حاليا.

ويعمل الباحثون على حصر الأنشطة التي تتطلب مساعدة ملحة لكبار السن من قبل «القط الروبوت» ومن بينها العثور على الأشياء المفقودة، وتذكير الشخص بتناول الدواء أو مواعيد زيارة الطبيب.

ويتميز «القط الروبوت» عن القط الحقيقي في أنّ الأول لا يحتاج إلى عناية خاصة من مرافقته، لا سيما في ما يتعلق بنظافته الشخصية.

وقالت سيدة أمريكية تبلغ من العمر 93 عاما إن تجربتها مع «القط الروبوت» الذي اشترته العام الماضي «رائعة للغاية» وأضافت أنها لا تشعر بالوحدة طالما أنه بجوارها.

وعلى الرغم من أنّ المشروع لا يزال في مراحل تطويره «كاسبرسكي لاب» إن مشكلة افتقار الموظفين إلى التدريب قد تُشكل تحدياً كبيراً، لا سيما في الشركات الصغيرة التي لا تزال تشهد تطوير ثقافة الأمن الإلكتروني، وأضاف «لا يقتصر خطر التهديدات الإلكترونية على الموظفين أنفسهم، الذين يقع عليهم في المقابل التزام مهمّ بحماية شركاتهم من مخاطر تلك التهديدات، وفي هذا الصدد، ينبغي على الشركات أن تُولي تثقيف الموظفين اهتماماً كبيراً واستخدام حلول قوية تتسم بسهولة الاستخدام والإدارة، وتجعل تحقيق ذلك الهدف ممكناً حتى لأولئك الذين ليسوا خبراء في أمن تقنية المعلومات».

إحذر محادثاتك على «واتس آب» معرضة للسرقة

لندن – «القدس العربي»:

يتواصل اكتشاف الثغرات الأمنية التي يعاني منها تطبيق التراسل الفوري الأوسع انتشاراً في العالم «واتس آب» حيث اكتشف خبراء أمنيون برمجيات خبيثة جديدة وصفوها أنها «قوية» يمكن أن تؤدي إلى سرقة الرسائل والمحادثات والصور الموجودة على هواتف المستخدمين، وبالتالي التجسس بشكل كامل عليهم.

وحسب تقارير غربية فإن باحثين ومبرمجين تمكنوا من اكتشاف تطبيقات وبرمجيات خبيثة قادرة على التجسس على الهواتف العاملة بنظام «أندرويد» وقادرة على سرقة محتويات المحادثات التي يجريها المستخدم على «واتس آب».

وتورد التقارير إن هذه البرمجيات قادرة على الاستيلاء على الرسائل الموجودة في الهواتف الذكية المصابة بالفيروسات في تطبيق التراسل الفوري «واتس آب».

واكتشف باحثون من شركة «كاسبارسكي لاب» المتخصصة في مجال الأمن المعلوماتي الفيروس «سكيفوفري» مشيرين إلى أنه لا تربطه أي علاقة مع تطبيق «سكاي سكاي».

وبعد إصابة جهاز الضحية بهذا الفيروس يصبح «الهاكر» قادراً على حفظ صورك وفيديوهاتك وسجل مكالماتك ومعرفة موقعك الجغرافي.

وأوضح الباحث في مجال الأمن المعلوماتي، فنسنت دياز، أن البرمجيات الخبيثة التي تستهدف الهواتف الذكية آخذة في الارتفاع، مضيفا «القراصنة باتوا يعرفون أن هواتفنا تحتوي على أكبر قدر من المعلومات المهمة والسرية مقارنة مع الكمبيوترات».

وهذه ليست المرة الأولى التي يجري الحديث فيها عن إمكانية التجسس على محادثات الـ«واتس آب» حيث سبق أن اكتشف مهندس برمجيات يدعى روبرت هيتون، ثغرة خطيرة تسمح للغرباء بمعرفة مواعيد إرسال اثنين من مستخدمي «واتس آب» الرسائل لبعضهما، بالإضافة إلى إمكانية استغلالها لمعرفة مواعيد نوم هؤلاء المستخدمين دون اكتشافهما الأمر.

ووفقاً لموقع «فونيرينا» الهندي فإنه باستخدام ميزتي الحالة «status» و«last seen» يمكن لأي شخص تحليل الأرقام والحصول على فكرة جيدة عن أنماط النوم الخاصة بالمستخدم، فإعدادات «last seen» تسمح للجميع بالوصول إلى هذه البيانات، لذا عليك تقييدها لتصبح متاحة لجهات الاتصال فقط، أو السماح أن تكون مخفية للجميع، إذ تتيح لأي شخص تعقبك بشكل افتراضي، بينما لا يمكن إخفاء معلومات الحالة أو تقييدها بأي شكل من الأشكال.

وكشف هيتون كيف يمكن استغلال هذه المعلومات، ففي البداية قام بتطوير إضافة على متصفح «غوغل كروم» تسمح له بمراقبة أصدقائه، ومعرفة مواعيد ظهورهم «أونلاين» على تطبيق واتس آب، باستخدام تطبيق واتس آب ويب.

ومن خلال الاستعانة بهذه المعلومات ومقارنتها بنشاط مستخدم آخر استطاع معرفة ما إذا كانت هناك دردشة بينهما مع استغلال الثغرة نفسها في موقع «فيسبوك».

يشار إلى أن معرفة أنماط النوم الخاصة بمستخدمي تطبيق الرسائل تعد نوعا من المعلومات التي تثير اهتمام المعلنين على الإنترنت، لذلك فهذه الثغرة تساعد على تحقيق الأرباح بشكل كبير.

الغطاء شمل الحكومة والبرنامج الاقتصادي مرره تيار «الموالاة» في البرلمان:

سوط «رجال القصر» في الأردن يجلد وزارة الملقي بعد «أبشع» الميزانيات

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

تعرض برنامج حكومة الدكتور هاني الملقي للضغط والنقد في المجال الاقتصادي تحديدًا من بعض الشخصيات المهمة في مجلس الأعيان حصريًا له دلالاته في العمق السياسي المحلي، بصورة تؤشر مجددا على التفويض المرجعي المشروط الذي منح لهذه الحكومة بعد عبور الميزانية المالية الأخيرة برغم تميزها بقسوة وغلاظة على الشارع.

في مجلس الأعيان، خلال الاجتماع مع اللجنة المالية فيه وقف الرئيس الملقي أمام حقيقة لم يواجهها حتى في مجلس النواب، حيث ملحوظات قاسية ومهنية رفيعة وعريقة، من دون خطابات رنانة في عمق الأجندة الاقتصادية للطاقم الحكومي، على أساس عبور الميزانية تلقائيًا من مجلس الأعيان الذي لم يسبق له أن أعاق قانون أي ميزانية أو حتى علق عليه.

الموقف في إطار هذا التفاعل بدا أقرب إلى محطة تكامل ينبغي للملقي ورفاقه الوزراء التوقف عندها بعمق، لأن مصدر الملحوظة هم أعضاء مجلس الملك، ولا مجال للمزاودة عليهم، وهم لا يؤمنون أصلا بالاستعراض الشعبي والميكروفوني ولا يحتاجونه.

في هذا السياق تحديدًا بدت الملحوظات التقويمية التي تقدم بها عضو في مجلس الأعيان رئيس الوزراء الأسبق سمير الرفاعي أقرب إلى صيغة إشارات ينبغي لحكومة الملقي أن تنتبه إليها جيدًا وتقرأها بعمق.

الرفاعي هنا سجل علامة فارقة في تقويم الأداء والتخطيط الاقتصادي.

ما فعله الرجل ضمنًا، بعد التعمق بقراءة مفردات مداخلته في الاجتماع مع الملقي، هو أنه شكك بنتائج وتداعيات الخطة الرقمية التي بُنيت على أساسها الميزانية المالية، عبر الإشارة إلى أن التركيز على تعديل قانون الضريبة بصورة تؤدي إلى تحسين التحصيل الضريبي ومنع التهرب قد يكون الأسلوب الأنجح بدلًا من رفع الضريبة أفقيًا على السلع والخدمات، تحت لافتة تعويض العجز المالي.

طبعًا، عبّر الرفاعي وسانده زملاء له من الأعيان عن تخوفاته أن لا تؤدي اتجاهات الحكومة الاقتصادية والمالية

إلى توفير الحماية اللازمة للطبقتين الوسطى والفقيرة.

تلك كانت رسالة مُلغّزة جدًا في نقد أداء الحكومة لا يستنتجها إلا العميقون في مؤسسات النظام والدولة، ليس بسبب أهميتها، ولكن لأنها تنسجم بالضرورة مع الأمر الملكي المباشر الذي صدر لحكومة الملقي بكل اللغات عدة مرات، والذي يوجه تُجاه توفير مظلة حماية صارمة للفقراء والطبقات الوسطى.

معنى التلغيز هنا أن ثمة شكوكا داخل طبقة رجال الدولة من جزئية أن برنامج الملقي ووزير ماليته عمر ملحس صيغ فعلا بطريقة توفر الحماية التي أمر بها القصر.

يقدر خبراء هنا من بينهم رئيس اللجنة المالية الأسبق في البرلمان يوسف القرنة أن تخفيض الاعفاءات والتصعيد الضريبي على السلع والخدمات قد يؤدي فعلا إلى نتيجة سريعة تحت بند خفض العجز والميزانية، لكن الأرقام تكون لعوبة جدًا هنا، عندما يتعلق الأمر بانعكاسات سلبية على واردات الخزينة نفسها، من بند الضرائب والرسوم من جراء الكساد والركود.

وجهة نظر القرنة التي سمعتها «القدس العربي» مباشرة منه إلى هامش نقاشات البرلمان بمشروع الميزانية صادق عليها تمامًا الرئيس الرفاعي بوضوح عندما حذر تحت قبة الأعيان مما سمّاه «الركود التراكمي».

فهمت «القدس العربي» عدة مرات قبل هذه النقاشات من شخصية بوزن الرفاعي مباشرة أن الاعتماد على مضايقة القطاعات النشطة في السوق بالمزيد من الضرائب وكلف الإنتاج لن يؤدي لي تحقيق التنمية الاقتصادية المنشودة.

وحظيت حكومة الملقي بتضامن كامل من الدولة لإقرار واحدة من أبشع الميزانيات على المواطنين، ذلك في رأي نقيب التجار ممثل القطاع التجاري الناصح للحكومة خليل الحاج توفيق، يضع الفريق الوزاري مباشرة أمام التحدّي الأصعب، وهو تجنب الكساد والركود والحفاظ على القطاعات الحيوية.

الحاج توفيق، في نقاش تفصيلي مع «القدس العربي» عن القطاع التجاري تحديدًا قرع جرس الإنذار، وتحدث عن انخفاض ملموس في نشاط القطاع، ويمكن أن يزداد ليصل إلى منسوب رديء جدًا يُنذر بأزمة في الوقت الذي انتقد فيه إصرار الإدارة المالية في الحكومة على تجاهل الحوار مع أطراف السوق، وعملية الإنتاج والتجارة الداخلية ومع القطاع لخاص.

كثيرون في الأثناء يحذرون من كسب الحكومة جولة وخسارتها في المقابل معركة كاملة وأساسية باسم التنمية الاقتصادية.

الحديث هنا عن خروج مصانع وشركات وتجار كبار واستثمارات من السوق بسبب الأضرار الناتجة عن تشدد الحكومة في إقصاء القطاع الخاص ومسلسل تصعيدها الضريبي والتسعيري وهؤلاء يشاركون الخبير القرنة ومعه الحاج توفيق في إثارة التساؤل عن إنتاجية سياسات مالية برمجت هندسيًا على أساس تسديد العجز في الخزينة من دون الأخذ بالاعتبار أن كلفة الإنتاج تزيد، وبيئة العمل تتعقد، وبالتالي يمكن ببساطة أن تنخفض واردات الخزينة من الضريبة والرسوم.

بالنسبة للحكومة؛ الجولة الأهم التي كسبتها مؤقتًا هي العبور بميزانية ترفع الأسعار والضرائب، وبالتالي الوصول لموازنة 2019 بقاعدة مالية تتحدث عن التساوي بين النفقات والإيرادات، وهو نصر يحتمل أنه وهمي يحتفل فيه من الآن وزير المالية ملحس، لكن الشكوك في المقابل تزيد بأن الحكومة قد تخسر بالنتيجة ولعدة عوامل على رأسها الركود التراكمي الذي تحدث عنه الرفاعي.

المباراة الأهم؛ هي العودة لثلاثية تحفيز البيئة الاقتصادية وزيادة نسبة النمو الاقتصادي وجذب الاستثمارات.

تبرز هذه المخاوف في الوقت الذي يمكن القول فيه إن السوط الذي جلد الحكومة في مجلس الأعيان تحديدًا يعود في عمقه وجذره إلى فلسفة القصر في التقويم، والتي تعلم في النتيجة أن مؤسسات الدولة الشريكة وتيار الولاء في مجلس النواب هما البطلان الحقيقيان، وليس الحكومة لعبور ميزانية رفع أسعار الخبز الأخيرة.

وهو السوط نفسه الذي انتقد قصور برنامج الحكومة مرجعيًا في تطوير القطاع العام، وحاول تذكيرها عدة مرات بالسهر على حماية الطبقة الوسطى.

توقعه البنك الدولي في تقريره «آفاق اقتصادية عالمية»

تحسن طفيف لمؤشر تنمية افريقيا ما وراء الصحراء في العام الجديد

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبدالله مولود

توقع تقرير «آفاق اقتصادية عالمية» الصادر عن البنك الدولي للتو تحسنا طفيفا في حدود 3.2 في المئة لمؤشر التنمية خلال عام 2018 على مستوى بلدان افريقيا ما وراء الصحراء، مع وجود تخوفات كبيرة لهبوط مقلق. وخصص البنك ا تقريره المنشور يوم الثلاثاء الماضي لتوقعاته عن آفاق الاقتصاد العالمي خلال سنة 2018.

وفي الجانب المتعلق بحصيلة السنة المنصرمة، ذكر التقرير أن مؤشر التنمية قفز خلال 2017 بنسبة 2.4 في المئة مقابل 1.3 في المئة خلال عام 2016 وذلك بفضل ارتفاع أسعار المواد الأولية وتباطؤ معدلات التضخم حيث انعكس كل ذلك إيجابيا على ظروف المعيشة.

ومع ذلك فقد تزامن هذا القفز مع مؤشر سالب لدخل الفرد وضعف في الاستثمارات وانهيار لنمو الإنتاجية. وتوقف التقرير أمام ضعف الاحتياطات المالية لبلدان المنطقة مؤكدا أن عجز الحسابات الجارية قد انخفض لكنه بقي في حالة ارتفاع مقلقة بنسبة متوسطة قدرها 7 في المئة من الناتج الداخلي الخام.

وتوقع التقرير أن يستقر مؤشر النمو خلال السنة الجارية على معدل قدره 3.2 في المئة وأن تتجه حالات العجز المالي نحو الهبوط فيما ستواصل المديونية العمومية ارتفاعها بعد أن بلغت 48 في المئة عام 2016 و53 في المئة في عام 2017. وبالنسبة لعام 2018 فإن البنك الدولي يتوقع استقرار مؤشر النمو حول 3.2 في المئة وحول معدل 3.6 في المئة خلال الفترة ما بين 2018 و2020.

وأوصى البنك في تقريره حكومات بلدان افريقيا ما وراء الصحراء بانتهاج سياسات تضمن مؤشرات أكبر للنمو وإصلاحات هيكلية أعمق من أجل السيطرة على حالات العجز المالي المعيقة للاقتصاد.

وكان صندوق النقد الدولي قد أكد، من جانبه، في تقريره عن آفاق الاقتصاد الإقليمي في دول افريقيا ما وراء الصحراء، استئناف النشاط الاقتصادي في المنطقة، لكنه أظهر قلقا بالغا إزاء هبوط دخل الفرد في عدد من دول النطاق، وزيادة مخيفة للمديونية.

وأوصى الصندوق بتنقية مالية ولو تطلبت تضحيات، مشددا على ضرورة إدارة هذه التنقية بطريقة حكيمة. واقترح الصندوق أن تمدد هذه التنقية على فترة زمنية مطولة تفاديا للصدمات، وبعدم نقصان الموازنات المخصصة لقطاعات التعليم والصحة. وشدد الصندوق على مجموعة من التوصيات بينها تويع الاقتصاد، والاعتماد على الاستثمارات الخاصة وحدها القادرة على خلق الوظائف، وتحسين الحكامة بما في ذلك إرساء دولة القانون وتفعيل الإدارات.

ماذا يعني إغلاق الإدارات الفدرالية في الحكومة الأمريكية؟

يتوقف مئات آلاف الموظفين الحكوميين الأمريكيين عن العمل بشكل مؤقت السبت بعد فشل الكونغرس في التوصل إلى تسوية حول الموازنة قبل منتصف ليل الجمعة السبت.

وهي المرة الأولى التي يطبق فيها هذا الإجراء منذ تشرين الأول/اكتوبر 2013 في عهد الرئيس السابق باراك اوباما. وقد استمر 16 يوما. وسيترجم ببطالة تقنية بلا أجور لأكثر من 850 الف موظف فدرالي يعتبرون «غير أساسيين» لعمل الإدارة.

إلا ان الخدمات الأساسية لن تنقطع وستشمل أجهزة الأمن والهجرة والمصرف المركزي ومستشفيات قدامى المقاتلين والقوات المسلحة.

في ما يلي استعراض للدوائر والهيئات التي ستتأثر أم لا بهذا الإغلاق:

الدفاع والأمن والحدود

سيواصل العسكريون الأمريكيون البالغ عددهم 1،5 مليون شخص وغالبيتهم تابعون لوزارة الدفاع وأيضا 40 ألفا في وزارة الأمن الداخلي عملهم.

وأصدرت وزارة الدفاع الخميس أمرا بان «كل العاملين العسكريين سيواصلون عملهم بشكل طبيعي».

لكن عدد كبيرا من المدنيين في الوزارتين بينهم نحو ثلاثة ارباع المدنيين الـ640 ألفا العاملين في البنتاغون سيلزمون منازلهم.

من شأن ذلك ان يؤدي إلى تباطؤ العمل ويمكن ان يؤثر على قطاع الدفاع الخاص الضخم الذي يعتمد على العقود المبرمة مع البنتاغون.

في المقابل، سيواصل موظفو الجمارك ودوريات الحدود ووزارة الهجرة وهيئة الجنسية والهجرة عملهم على الحدود البرية والبحرية والجوية للبلاد.

مهام حكومية أساسية

العمل سيستمر بشكل طبيعي في الكونغرس والمحاكم الفدرالية وهيئة قدامى المقاتلين وأيضا في هيئة البريد.

كما لن يتوقف التحقيق الذي يتولاه المحقق المستقل روبرت مولر حول تواطؤ محتمل بين الفريق الانتخابي للرئيس دونالد ترامب وموسكو.

واشنطن

العاصمة الأمريكية تعمل بتمويل فدرالي ما يعني ان بعض الخدمات ستتأثر لكن رئيسة البلدية موريل باوزر قالت الجمعة ان كل موظفي المدينة سيحضرون إلى العمل الاثنين ولن يكون هناك خلل في الخدمات.

وقالت باوزر «ساكون واضحة العاصمة واشنطن ستظل مفتوحة وستواصل تأمين الخدمات للمواطنين».

وتابعت ان المدينة ستواصل جمع النفايات في مختلف المنتزهات الحكومية بينما سيكون موظفو هذه المنتزهات في إجازة مؤقتة.

سفر

أعلنت الهيئة الفدرالية للطيران التي تشرف على الرحلات الجوية انها ستواصل العمل وان المطارات ستظل مفتوحة أمام المسافرين.

الحدائق والمتاحف

الحدائق العامة والمتاحف ستظل مفتوحة لكن بعض الموظفين الحكوميين في المنتزهات سيكونون في اجازة مؤقتة بينما المتعاقدون من القطاع الخاص الذين يؤمنون الطعام وغيره من الخدمات سيواصلون العمل.

الصحة

سيشهد العمل في هيئات مراقبة الأمراض والوقاية منها تباطؤا اذ سيدخل 61 في المئة من موظفي مراكز الوقاية من الأراضي في إجازة مؤقتة حسب صحيفة «واشنطن بوست» كما سيتوقف القسم الكبير المعاهد الوطنية للصحة التي تركز على الأبحاث.

خدمات عامة أخرى

القسم الأكبر من الإدارات الفدرالية الأخرى سيغلق أبوابه بما فيها مصلحة الضرائب والتأمين الاجتماعي وهيئات الاسكان والتنمية المدنية والتعليم والتجارة والعمل وحماية البيئة.

هذا معناه انه لم تتم مراجعة الوثائق والتراخيص للأفراد والأشغال وسيواجه المقاولون صعوبة في المضي قدما في مشاريعهم كما ان أجهزة الإغاثة ستتباطأ.

(أ ف ب)

مدن وآثار

جونيه عروس الشاطئ اللبناني:

تستلقي في حضن جبل حريصا وتغتني بمعالمها التراثية

بيروت– «القدس العربي»: ناديا الياس

«شو همّ جونيه من هدير البحر» قول مأثور في لبنان للدلالة على صلابة هذه المدينة الساحلية الهوى رغم أنها «جارة الأمواج». إنها مدينة جونيه عروس الشاطئ اللبناني، المستلقية على أجمل شواطئ المتوسط. هذه الفاتنة التي تتكئ بأطرافها ما بين جبل شاهق هو جبل حريصا وبين بحر مرصّع تختال فيهاً أشعة الشمس متباهيةً وتتمايلُ بأهدابها بين جبلها وساحلها وأسواقها القديمة حاملةً في أنسجتها روائح طيبة من ذاك الزمان القديم، وتتراقص وهي تلفح رمالها الذهبية لتنسج مع كل موجة في مدّها وجزرها أنغاماً تعود بك إلى تاريخ تختزن منه الذاكرة ليال حالمة.

إنها جونيه إحدى المناطق اللبنانية السياحية بامتياز في قضاء كسروان في محافظة جبل لبنان المحروسة بقدرة ملكة السماء «سيدة لبنان «من فوق جبل حريصا الذي يحيط بها وهي دخلت صفحات التاريخ برجالاتها ومعالمها التراثية ومرافئها السياحية وفنادقها ومهرجاناتها الدولية التي تضيء سماءها سنوياً بأنوار السهر وأصوات الفنانين العالميين التي تصدح في أرجائها وأصداء المفرقعات وعرض الألعاب النارية الذي تتفرد به «مهرجانات جونيه الدولية» مترافقاً مع موسيقى خاصة متناغمة تستقطب عشرات الآلاف يتجمعون على طول خليج جونيه وحوله في احتفالية ضوئية تعكس وجه المدينة السياحي ووجه لبنان الحضاري.

وجونيه التي لم تكن يوماً مساحةً جغرافيّة، بل شكّلت عبر تاريخها القديم والحديث واحةً روحيّة وفكريّةً وثقافيّة وسياحيّة بامتياز حاضنة في الوجدان وفي القلب وفي الروح ما يحيط بها غربا وشرقا وشمالا وجنوبا، تقع في وسط شرق البحر الأبيض المتوسط، وفي وسط الساحل اللبناني الممتد على طول 238 كيلومترا ووسط الاوتوستراد الساحلي الواقع بين بيروت وطرابلس وسط ساحل محافظة جبل لبنان وهي عاصمة قضاء كسروان – الفتوح وتقدّر مساحة بلداتها، صربا، غادير، حارة صخر، ساحل علما مجتمعة حوالي 8.5 كلم2. ويقدّر عدد سكانها بحوالي 150 ألف نسمة وهي تبعد عن بيروت حوالي 16 كيلومتراً.

وجونيه العروس الفاتنة تعتبر من أهمّ المراكز السياحية الساحلية في لبنان، ولديها مؤهّلات طبيعية مميزة أبرزها: تلال خليجها الهلالي المشرفة على البحر بأشجارها الخضراء وهي الأجمل على سواحل شرق البحر المتوسط ، ومرفأ جونيه بأحواضه الأربعة المخصّصة لليخوت ولزوارق الصيد والحوض العسكري ومجمّع نادي الضباط وسواها من المواقع الطبيعية كما تملك مقوّمات سياحية بشرية متكاملة، تتمثل في شبكة متنوعة من الفنادق والمطاعم والملاهي والكازينوهات، منها تلفريك جونيه – حريصا بسلاله الملونة، وكازينو لبنان، الأقدم والأرقى في منطقة الشرق الأوسط.

وتاريخيّاً تمتاز المدينة بتراثها القديم العريق الذي يعود إلى العهد الفينيقي حيث تقع على أطرافها صخرة الشير العظيمة الشبيهة بصخرة «مناكو» مزار الباطية الفينيقي السامي حيث أسطورة الحبّ الأولى بين إله العشق أدونيس وألهة الخصوبة عشتروت، وعلى بضع أمتار منها مرفأ جونيه الذي شهد أيام عزّ التجارة اللبنانية، وفي أعلى هذا الشير قلعة أثرية تقوم على بيت عائلة آل خضرا الذين كانوا من تراجمة قناصل فرنسا في العهد العثماني، ومن أبرز تجّار الحرير في المنطقة، ومن روّاد النهضة العربية التي انبعثت بذورها الأولى من هذه المدينة.

الأبنية الأثرية تتّوزع بكثافة في أرجاء المنطقة المصنفة تراثية بالجزء البحري من المدينة والممتدّ من محيط الملعب البلدي في حارة صخر ومدخل المرفأ في صربا الشير وتشمل الخطّ الداخلي الذي كان يربط بيروت بطرابلس قديماً حتى العام 1964 تاريخ إنشاء الأوتوستراد الحالي المعروف بالـ A1 كما وتشتمل المنطقة على أبنية تراثية تشكل وحدة معمارية رائعة بُنيت بشكل متناسق على جهتي الشارع الرئيسي ويعود تاريخ بناء هذه المنطقة إلى القرن التاسع عشر.

وقد شكلت هذه الأبنية نواة مدينة جونيه وفي مطلع القرن العشرين عُرفت هذه المنطقة بالميناء الجديدة في جزئها الجنوبي وبالميناء القديمة بجزئها الشمالي.

والمنطقة المصّنفة تراثية في المدينة تتألف من الأسواق التجارية التي شيّدت من الحجر الطبيعي والقرميد الأحمر، ولا يتجاوز عدد طبقات البناء منها الطبقتين أو الثلاث وهي متناسقة، وتفصلها ممرات فضائية تسّمى بالحارات، وتتمّيز الطبقات الأرضية من هذه المباني بالحجر المعقود على شكل قناطر وكذلك الحال بالنسبة إلى الطبقات العلوية مع سقوف قرميد وسقالة من الخشب، أما مقر الحاكم الإداري للمدينة والذي يشكل حالياً مبنى البلدية فقد شُيد في عهد المتصرف واصا باشا في العام 1879 وهو يشرف على الأسواق شمالاً وجنوباً والبحر غرباً والسهول الزراعية شرقاً.

أما أجمل معالمها الطبيعية التي تستوقف الزائر هو خليجها، خليج جونيه الذي صّنف قبل أعوام بين المواقع الساحلية العشرة الأجمل في العالم، لن ترى معالمه الساحرة الأجيال المقبلة، منظره الذي وصفه عضو الأكاديمية الفرنسية موريس باريس الذي زار لبنان قبل قرن تقريبا، بقوله «لا يمكن النظر البشري ان يتمتع بأجمل منه». ودفعت مناظره الطبيعية الخلابة في عشرينيات القرن الماضي، المفوض العسكري الفرنسي الجنرال مكسيم ويغان ليقول مندهشاً مخطوفاً: «ليتني أدفن هنا وسط هذه الجمالات!». كما أيقظ موقعه الرائع قريحة العديد من الشعراء والزجالين، ومنهم علي الحاج الذي قال فيه:

«لما ربّ المسكوني كوّنها بكلمة: كون الدني زيّنها بلبنان

وزيّن لبنان بجونيه».

هذه البقعة الفاتنة، التي وصفها الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب والأجانب، أمثال الادريسي، والمونسنيور ميسلن، والأب لامنس، وجورج سيقلدي، وهنري غيز، وبروس كوندبه، ولويس لورته وغيرهم، بأنها أجمل خليج طبيعي في شرق المتوسط من الاسكندرون حتى الاسكندرية.

في ستينيات القرن الماضي، وضع الرئيس فؤاد شهاب عدداً من المخططات للحفاظ على الطابع الجمالي لهذا الخليج، مستعيناً بمهندسين وخبراء على رأسهم المهندس الفرنسي ايكوشار، ليبدأ الحديث عن جونيه كمونتي كارلو، وكافاكادو «الريو» ونيس، وهونغ كونغ، ونابولي.

جونيه التي تعّد مركز استقطاب سياحّي متكامل مع الشبكة السياحية التي قامت في أرجائها وأطرافها «إسمها مشتقٌ من الآرامية gonia واليونانية guine ما يعني الزاوية لوقوعها على الطرف الجنوبي لخليج هو بمثابة ميناء طبيعي اعتبره المستشرقون كالأب لامنس اليسوعي والمؤرخ إرنست رينان وعضو الأكاديمية الفرنسية موريس باريس من أجمل خلجان العالم. وفي تعريف للمعلم بطرس البستاني في القرن التاسع عشر جاء عن جونيه على أنها موقع في ساحل كسروان ، به مخازن ودكاكين ومصبغة، تأتيه السفن والقوارب بالغلال وغيرها. وتجارة الحبوب فيه رائجة كثيراً. قراها صربا وغادير وحارة صخر وساحل علما، وحتى القرن الثامن عشر كانت هذه القرى موجودة على سفح جبل حريصا ومشرفة على سهول مدينة جونيه التي عُرفت بسهول النواعير لكثرة المياه الجوفية فيها.

وللصداقة حصّة الأسد في جونيه فلديها «ساحة الصداقة» وفي امكان الزائر التنّزه فيها والجلوس على أحد مقاعدها للتمّتع بمنظر خليج جونيه المطّل على البحر، كما تختزن نفحة ثقافية بامتياز كونها تتضمن تماثيل منحوتة لرجال عالميين لعبوا دوراً بارزا في بلادهم فأصبحوا من ضمن لائحة أيقونات البطولات السياسية في العالم، وتصل مساحتها إلى نحو 500م تغطيّها سجادة طبيعية من العشب الأخضر إضافة إلى شجر الزيتون والورود الملونة. وتنتصب في الساحة تماثيل برونزية لشخصيات عالمية أمثال خوسيه أرتيغيس (أورغواي) وبرناردو هيكيوغينز (تشيلي) وفيليب حبيب (الولايات المتحدة) في إشارة من فعاليات المدينة إلى ضرورة الحفاظ على وصلات الصلة وروابط الصداقة بين لبنان والعالم.

وإلى جانب معالمها الطبيعية والاثرية يطالعك سوق جونيه الأثري الذي أبصر النور عام 1804 عندما أقام الأمير حسن شهاب شقيق الأمير بشير شهاب الثاني حوانيت ومخازن في أروقة المدينة لتصريف منتجات الحرير وتعزيز تجارته، فوضع ميزاناً خاصاً للحرير للمضاربة على ميزان ذوق مكايل، كما واشتهرت أسواق المدينة القديمة بأعمال تخزين المواد الغذائية وتوزيعها في ظلّ الحكم العثماني. وإذا كان الأمير حسن شهاب قد أنشأ سوق جونيه والميناء القديمة فإن الفضل في إنشاء الميناء الجديدة يعود للرئيس فؤاد شهاب، ابن جونيه الذي انتخب رئيساً للجمهورية، فهو من أرسى التصاميم العصرية ليكون راعي النهضة الحديثة لمدينة جونيه، حيث وبعد انتخابه رئيساً للجمهورية عام 1958 أسّس مدينة حديثة تكون مركزاً للقضاء فاستدعى خبراء التنظيم المدني وتُذكر من أهمّ إنجازاته الحديثة للمدينة شقّ اوتوستراد نهر الكلب جونيه عام 1966 وإنشاء مرفأ جونيه عام 1968 وشقّ طرق في سهل المدينة بين السّكة والبحر وهذا ما عُرف بمشروع الضمّ والفرز، كما أنشأ الملعب البلدي وسرايا جونيه والتلفريك فضلاً عن وضع التصميم التوجيهي للبناء في جونيه وضواحيها.

في الذاكرة الحقيقية للتاريخ إن الزائر لهذه المدينة أو العابر فيها كانت تعبق في أنفه رائحة زهر الليمون، وعلى مدى نظره تتناثر بساتين الخضار التي ترتوي من مياه النواعير، فالزراعة ظلّت ناشطة في سهول المدينة لغاية العام 1975 حيث تلاشت المساحات الزراعية أمام الهجمة العمرانية لتحلّ المباني مكان الحدائق والسهول، انطلاقاً من منطقة صربا أولاً فغادير فحارة صخر وأخيراً ساحل علما، وأخذت بعض البنايات المحدودة تتوزع في أرجاء المدينة.

ومع بداية حرب 1975 هرب الكثيرون إلى المناطق الآمنة وبدأوا في تنظيم أوضاعهم تبعاً للظروف الأمنية، ومن 1980 حتى 1990 عرفت جونيه نزوحا كثيفاً إلى أرجائها، فانتقل قسم كبير من تجار بيروت إلى أسواقها، واتسّع النزوح إليها وأخذت البنايات تلتهم مساحتها الخضراء وتتوزع في مناطقها، وتتمركز المجمعات السياحية الضخمة على شاطئها حتى باتت تملك كلّ مقومات الحركة التجارية والسياحية والثقافية على مدار السنة، وهذا ما اختزنته أسواقها الحديثة والقديمة وتنتشر في السوق القائم في قلب جونيه المحلات التجارية المختلفة التي تجمع مختلف أنواع البضائع المستوردة من مختلف مناطق العالم، كما تنتشر مجموعة من فروع المصارف اللبنانية والبالغ عددها 39 مصرفاً وعلى رأسها فرع لمصرف لبنان، وفي المدينة وضواحيها أكثر من عشرين صالة عرض لأفلام السينما وأكثر من 25 مجمّعاً سياحياً وثلاث مستشفيات ومجموعة كبيرة من المطاعم الشرقية والغربية وجامعة الروح القدس الكسليك وهي من كبرى الجامعات.

ولا يمكننا الحديث عن جونيه من دون ذكر القرية الميلادية والزينة التي اقامتها بلديتها هذا العام حيث ضاهت أنوار زينتها كبرى عواصم العالم.

باختصار تعّد جونيه العاصمة الكسروانية، لؤلؤة الشرق وواجهة البحر الأبيض المتوسط من خلال بوابتها البحرية التي شرّعت لاستقبال ثقافة شعوب وبلدان كثيرة وكتب عن خليجها الشعراء والأدباء من بينهم الشاعر اللبناني الراحل الياس ابو شبكة أحد مؤسسي «عصبة العشرة» إذ تغّزل بالخليج على طريقته الشعرية قائلاً «أعطيت لبنان ما لم يعطه بلد ففي صعيدك أزراق السما نخب، يا شاطئ الحسن في الدنيا، وقمته اليك كل عيال الوحي تنتسب، هذا الجمال .... لماذا لا توزعه على القلوب، فينقي الجهد والتعب هذي الربى، اندي الحبّ الخصبة هذا الخليج، انبع الفجر منسكب؟».

رياضة

آرسين فينغر... الرجل الذي يصر على هدم ناديه وتاريخه!

سنوات الكفاح وأرق الاخفاق ترتسم على وجه المدرب الفرنسي

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

لم يَعد حال نادي آرسنال وجماهيره يَسر عدوا ولا حبيبا، ولا حتى أكثر الكارهين للنادي توقع أو انتظر وصوله لهذه الحالة التي يُرثى لها، لدرجة إدمانه الخروج المبكر من جُل البطولات التي يُشارك فيها، كما حدث في بداية العام الجديد بخروجه المُخزي من الدور الثالث لأعرق مسابقة كرة قدم في العالم «كأس الاتحاد الإنكليزي»، على يد نوتنغهام فورست الناشط في دوري التشامبيونشب (درجة أولى)، ناهيك عن الكارثة الحقيقية، بالابتعاد عن المنافسة على لقب البريميرليغ منذ 2004.

هل نتذكر؟

في أغسطس 1996 قررت إدارة آرسنال إقالة المدرب بروس ريوش وتعيين ستيوارت هيوستن بشكل مؤقت، لحين الانتهاء من المفاضلة بين الفرنسي آرسين فينغر، صاحب اللقطة الأشهر في عقد التسعينات، عندما أهداه الرئيس الحالي لجمهورية ليبيريا جورج وياه، جائزة الكرة الذهبية، في حضور أباطرة مدربي العالم آنذاك، في مقدمتهم مدربه في ميلان كابيلو، والأخير خبير الكرة الشاملة الراحل يوهان كرويف، الذي أحدث طفرة غير مسبوقة في تاريخ برشلونة، لكن في النهاية وقع الاختيار على كشاف النجوم، وتحملت الإدارة موجة السخرية من القرار، الذي اعتبرته وسائل الإعلام البريطانية «مقامرة غير محسوبة»، كونه في تلك الفترة كان يقود فريق ناغويا الياباني، وما أدراك ما اليابان في حقبة التسعينات. بدون مبالغة كانت تُعرف بوطن الكابتن ماجد!

مشجع النادي قبل وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، أصيب بصدمة عندما استيقظ على خبر تعيين فينغر مدربا للفريق بدلاً من الأسطورة يوهان كرويف، لكن مع الوقت، أظهر الرجل الفرنسي أن تجربته في بلد التكنولوجيا والروبوت لم تؤثر عليه كمدرب، أو بمعنى أدق، مازال على مستوى المدربين الجديين في أوروبا، وعلى دراية بأحدث الأفكار والخطط التدريبية، بجانب هذا توفيقه في بناء جيل رائع بكل ما تحمله الكلمة من معنى، قوامه الرئيسي بالعطر الفرنسي الخالص من نوعية القائد باتريك فييرا والثلاثي المُدمر تييري هنري، وروبير بيرس وسيلفان وليتورد، مع العبقري الهولندي دينيس بيركامب وبقية القائمة التي سطرت التاريخ، بتحقيق اللقب بدون التعرض ولو لهزيمة واحدة موسم 2003–2004.

بعيدا عن الفارق الشاسع في المواهب التي كان يتعاقد معها فينغر في أول 10 سنوات مقارنة باختياراته في العقد الأخير (باستثناءات تُعد على أصابع اليد الواحدة)، فهناك أزمة حقيقية يُعاني منها الفريق في العشرية الأخيرة، تكمن في غياب شخصية «القائد» الحقيقي في وسط الملعب أو الهجوم، بدليل أن الفريق لم ينهار بعد رحيل قائد الجيل الذهبي فييرا، بل حدث العكس تماما، وكان قاب قوسين أو أدنى من معانقة الكأس ذات الأذنين للمرة الأولى في تاريخه في الموسم التالي، لولا السيناريو الكارثي لنهائي «سان دوني»، الذي أُجبر فيه فينغر على لعب أكثر من 70 دقيقة كاملة بعشرة لاعبين بعد طرد الحارس ينز ليمان في الدقيقة 18، ليأتي العقاب باستقبال هدفين في آخر 10 دقائق، ردا على فرصة الغزال الأسمر، التي أهدرها بغرابة شديدة. الشاهد، أنه منذ رحيل هنري وانتهاء الجيل الذهبي، التي تزامنت مع سنوات التقشف بسبب ديون الملعب الجديد، لم يستعد الفريق نفس الهيبة ولا الشخصية المُخيفة، حتى زيارات آرسنال للملاعب الفرق التي تُكافح من أجل البقاء، لم تُعد مُرعبة كما كانت في عصر الغزال، والدليل سقوطه في آخر مباراتين خارج القواعد أمام نوتنغهام فورست وبورنموث في سبعة أيام! لكن إذا نظرنا إلى صاحب الشأن، سنجد أنه يعيش في عالم مواز تماما لعالمنا، لأنه الوحيد الذي يعتقد أن أزمته الحقيقية مع الحكام، رغم أنه لو قرأ رواية «المرآة»، سيكتشف الحقيقة الواضحة كصقيع يناير.

ماذا تقول الرواية؟

على المستوى الشخصي، أكاد أُصدق ما يدور في عقلي الباطن، أن فينغر ليس مُجرد مدرب بصلاحيات مدير تنفيذي له حق التصرف في قطاع كرة القدم بأكمله، بل شريك مع مجموعة رجال الأعمال المستحوذين على حصة النادي! هذا الرجل قبل 2013 احتاج تسع سنوات كاملة ليُعيد النادي للمرة الأولى في تاريخه في الموسم التالي، لولا السيناريو الكارثي لنهائي «سان دوني»، الذي أُجبر فيه فينغر على لعب أكثر من 70 دقيقة كاملة بعشرة لاعبين بعد طرد الحارس ينز ليمان في الدقيقة 18، ليأتي العقاب باستقبال هدفين في آخر 10 دقائق، ردا على فرصة الغزال الأسمر، التي أهدرها بغرابة شديدة. الشاهد، أنه منذ رحيل هنري وانتهاء الجيل الذهبي، التي تزامنت مع سنوات التقشف بسبب ديون الملعب الجديد، لم يستعد الفريق نفس الهيبة ولا الشخصية المُخيفة، حتى زيارات آرسنال للملاعب الفرق التي تُكافح من أجل البقاء، لم تُعد مُرعبة كما كانت في عصر الغزال، والدليل سقوطه في آخر مباراتين خارج القواعد أمام نوتنغهام فورست وبورنموث في سبعة أيام! لكن إذا نظرنا إلى صاحب الشأن، سنجد أنه يعيش في عالم مواز تماما لعالمنا، لأنه الوحيد الذي يعتقد أن أزمته الحقيقية مع الحكام، رغم أنه لو قرأ رواية «المرآة»، سيكتشف الحقيقة الواضحة كصقيع يناير.

صديقي المُقرب جدا على المستوى المهني والشخصي، أرجع سبب مسؤولية انهيار آرسنال لسياسة فينغر وقناعته القديمة بالإضافة لرؤيته غير الحكيمة في التعاقدات في السنوات الأخيرة، وبحسب تعبيره لم يُطور من أفكاره ليُواكب العصر كما فعل الاسكتلندي أليكس فيرغسون، الذي لم يمر معه اليونايتد بكبوات حقيقية إلا في سنوات قليلة، هنا تذكرت الفرص الذهبية التي فوتها شيخ مدربي البريميرليغ، بداية بصرف النظر عن فكرة ضم ليونيل ميسي، لعدم قدرة النادي على لتأمين مسكن للطفل الأرجنتيني الفقير جدًا آنذاك، وقبلها بفترة قليلة، كان من الممكن أن يُدشن السلطان زلاتان إبراهيموفيتش أسطورته كلاعب عبر بوابة «هايبري»، لولا اصرار فينغر على خضوعه لفترة معايشة، وهو ما اعتبره زلاتان إهانة واضحة لموهبته. مر في شريط ذكرياتي تصريحه التاريخي عن كريستيانو رونالدو، ومُصطلح أنه ما زال يتألم لأنه ترك الموهوب البرتغالي يذهب إلى «مسرح الأحلام»، ليتحول إلى كابوس لكل خصوم اليونايتد، ومعه تشكيلة فريق الأحلام التي رسمتها قبل عامين لأبرز الوجوه التي رفضها آرسنال وندم عليها بعد سنوات، كان منها أسماء أخرى من نوعية لويس سواريز وفينسنت كومباني وفاران وكانتي ومبابي وآخرين، في مراحل متفاوتة شهدت خروجا جماعيا لكل لاعب يبرز تقريبا كل صيف، أبرزهم إيمانويل أديبايور وكولو توريه وسمير نصري وسيسك فابريغاس وروبن فان بيرسي، بدون أن يتعاقد مع بديل بنفس الكفاءة، باستثناء ما حدث في صفقتي مسعود أوزيل واليكسيس سانشيز، وهما من نوعية الصفقات الإعلامية الضخمة التي يحتاجها النادي من حين لآخر. وباستثناء فترة توهج فان بيرسي في آخر ثلاثة مواسم قضاها مع الفريق، لم تتعاقد الإدارة على بديل، وعندما تذكر أنه بحاجة لمهاجم قادر على تسجيل أكثر من 20 هدفا في الموسم، أنفق 53 مليون يورو لشراء لاكازيت! هذا ليس تقليلاً من شأن الأخير، لكنه تعامل كالديكتاتور الذي يتخذ القرار المناسب بعد فوات الأوان، في الواقع هو سار عكس عقارب الزمن، ففي الوقت الذي تصارعت فيه الأندية لخطف المدافعين، وخصوصا الأظهرة كما فعل غواردیولا بضخ أكثر من 100 مليون جنيه إسترليني، لشراء الثلاثي كايل ووكر ودانيلو وبنجامين ميندي، ذهب فينغر للمركز الذي يحتاجه منذ رحيل روبن هود في صيف 2012! بالإضافة إلى ذلك أهدر كل وقته في محاولات يائسة لإقناع سانشيز بالبقاء، رغم أن كل الشواهد تُظهر أنه يريد عكس ذلك، والأمر ذاته للمتعدد الآخر أوزيل، الذي يُدبر في الخفاء لهروب ماكر بعد انتهاء عقده مع نهاية الموسم، ولا ننسى أن بيرميرتساكر سيعتزل بانتهاء الموسم، وهناك كتيبة من اللاعبين ستدخل موسمها الأخير بعد أشهر قليلة منهم آرون رامزي وأوليفييه جيرو ودااني ويليبيك، مع تقدم بيتر تشيك وكوسيلني في السن.

المُتهم الأول

عندما نجحت الإدارة في إخماد ثورة الغضب غير المسبوقة المطالبة بتنحي الرجل المسيطر على منصبه لعقدين، بتجديد عقده لمنتصف 2019، فقط لأنه أنقذ الموسم بالفوز بكأس إنكلترا، وفي الموسم ذاته خرج من دوري الأبطال بفضيحة تاريخية بالخسارة من بايرن ميونيخ 10–2 في مجموع مباراتي دور الـ16، وأيضا فشل في احتلال أحد المراكز المؤهلة لدوري الأبطال، وقبلها ودّع كأس المحترفين بسقوط مدو أمام ساوثهامبتون 0–2 في قلب ملعب «الإمارات» في ربع النهائي، كان الاعتقاد السائد أن الإدارة فعلت ذلك للحفاظ على شخصية الفريق، بحجة تفادي الانهيار الذي حدث لليونايتد بعد تقاعد فيرغسون. والسؤال الذي يفرض نفسه الآن: هل هناك اختلاف بين وضع يونايتد في أسوأ مواسمه بعد حقبة مدربه الأسطوري وبين وضع آرسنال في الوقت الحالي؟ فبعد انكساره أمام فريق يعيش على أطلال الماضي القديم كفورست 2/4، لن تكون هناك مفاجأة عندما يأتي أحد الفرق المتأهلة لدوري الأبطال أو الفرق المتوسطة لشرق أوروبا، أن تُقصي المدفعجية من الدوري الأوروبي، وبعد الرحيل شبه المؤكد لأليكسيس سانشيز، لذا أن تتخيل موقف فينغر في صراعه على خطف المركز الرابع، أمام منافسين في منتهى القوة والشراسة كليفربول وتشلسي وتوتنهام ومانشستر يونايتد الذي يبحث عن تعزيز صفوفه بصفقات رنانة، فهل سيبدأ المدرب الفرنسي في تغيير قناعاته ويبدأ في إظهار قوته الشرائية بإتمام صفقات من الوزن الثقيل، عكس الانطباع الماخوذ عن آرسنال كمنافس ثان على الصفقات؟ وإلا ستكون نهاية موسمه أسوأ من الموسم الماضي الذي أنهاه في المركز الخامس، وربما أسوأ من المواسم التي تجرع فيها هزائم نكراء كخسارته الشهيرة من مانشستر يونايتد 8–2 ومن السيتي 6–3، والمفارقة أنه خسر في بداية الموسم 4–0 من ليفربول... ترى ماذا يُخبئ القدر للجماهير المغلوبة على أمرها؟ وما أكثر عشاق المدفعجية سواء في المنطقة العربية أوفي الجزء الأحمر من شمال لندن.

اعتزال رونالدينيو... صانع فرحة برشلونة والأب الروحي لميسي!

... وأتلتيكو مينيرو

لحظات أمتع خلالها رونالدينيو عشاقه في برشلونة

... وميلان

... والمنتخب البرازيلي

لندن – «القدس العربي»:

ابتسامته كانت الأشهر، وسحر أدائه الكروي ذاع صيته أيضا، هذا هو البرازيلي رونالدينيو الذي دشن الحقبة الذهبية لبرشلونة وكان الأب الروحي للنجم الأرجنتيني ليونيل ميسي.

وقال برشلونة، الذي شهد أكثر فترات النجم البرازيلي تألقا في عالم كرة القدم، عبر «تويتر»: «رونالدينيو، ابتسامة كرة القدم، سحر كامب نو، نشكرك على كل شيء». وجاءت التغريدة على خلفية إعلان روبرتو اسيس موريرا، شقيق ووكيل أعمال رونالدينيو، مساء الثلاثاء الماضي اعتزال الأخير نهائيا بعدما وصل إلى 37 من العمر. وكان برشلونة أبرز الأندية التي لعب لها رونالدينيو عبر مسيرته الطويلة، رغم النهاية المريرة لعلاقته الرائعة بهذا النادي بعد خمس سنوات بين جدرانه.

ومع وصول لاعب الوسط رونالدينيو في 2003 إلى برشلونة بدأت الحقبة الأكثر نجاحا في تاريخ النادي الإسباني، كما تزامن رحيله مع بداية بزوغ نجم ميسي وانطلاقة الفريق التاريخية مع المدرب الإسباني بيب غواردیولا.

وفاز النجم البرازيلي مع برشلونة بلقبين في الدوري الإسباني 2005 و2006، ولقب في دوري أبطال أوروبا 2006، وكان النجم الأبرز بقيادة المدرب الهولندي فرانك ريكارد. وكان أكثر ما يميز رونالدينيو طريقة لعبه المرحة والجمالية وقدرته على مراوغة الخصوم، بالإضافة إلى شعره المجعد واحتفاله المميز بالأهداف برفع إصبعيه السبابة والابهام مع ابتسامة هي الأكثر إثارة للانتباه. وقال لويس انريكي، المدرب السابق لبرشلونة، العام الماضي: «رونالدينيو كان أحد أبرز اللاعبين الكبار في نشر الفرحة، وكان أكثرهم استمتاعا بكرة القدم في الوقت الذي لم يكن يعرف الفرح طريقه إلى هذا النادي». وداخل الملعب، قدم رونالدينيو دعما كبيرا للصاعد ليونيل ميسي عندما كان يخطو أولى خطواته.

وكان هدف ميسي الأول في الدوري الإسباني مثالا صارخا يدلل على مدى ارتباط النجمين، فقد حمل رونالدينيو الفتى الصاعد على ظهره بعد أول أهدافه الرسمية والذي كان في مرمى الباسيتي. وفي ذلك اليوم تحديدا، بدأ تاريخ جديد لكرة القدم، وقال رونالدينيو بعد سنوات من ذلك الهدف: «الهدف الأول لميسي كان من صناعتي وهذا أمر يروق لي كثيرا، هناك ظهر الوحش، هناك بدأ كل شيء».

ورغم أنه تحول إلى أحد أيقونات برشلونة بفضل أدائه الأسطوري، كذلك الذي قدمه في المباراة التي فاز بها النادي الكتالوني بثلاثية نظيفة على غريمه التاريخي ريال مدريد في تشرين الثاني/نوفمبر 2005، بدأ نجم رونالدينيو في الأفول خلال الفترة الأخيرة من حقبته في إسبانيا بسبب تراجع مستواه داخل الملعب وحياته غير المنضبطة خارجه.

وكان تراجع المستوى البدني لرونالدينيو يسير بالتوازي مع تعدد حفلاته الشاطئية وسهراته الليلية في تلك الفترة. وبعد وصول غواردیولا مدربا لبرشلونة أعلن أن رونالدينيو ليس من ضمن حساباته خلال فترة إعادة بناء الفريق، كما اتهمه بجانب البرتغالي ديكو بالتسبب في ضياع الحماس والرغبة في تحقيق الانتصارات داخل النادي. ولم يتوقف رونالدينيو عن إظهار عبقريته وسحره بعد الرحيل عن برشلونة، وشهدت السنوات الثلاث التي قضاها مع ميلان تألقه بشكل كبير، ولكنه لم يتخل مع وصوله للنادي الإيطالي عن عشقه للرقص وللسهرات الليلية. وأحدث رونالدينيو أثره الكبير أيضا في كأس العالم 2002، الذي توج بلقبها مع البرازيل الذي كان أحد أضلاع مثلثه الهجومي الرائع بجانب الظاهرة رونالدو والنجم الكبير ريفالدو.

ودون رونالدينيو اسمه في السجل التاريخي لكأس العالم بفضل الهدف الرائع الذي سجله في شباك إنكلترا عام 2002 من ركلة حرة مباشرة من مسافة بعيدة باغت بها الحارس ديفيد سيمان. وخاض رونالدينيو أيضا كأس العالم 2006 الذي تزامن مع أفضل فترات تألقه كلاعب، لكن البرازيل ودعت مبكرا في دور الثمانية على يد فرنسا بدون أن تسنح فرصة له بالتألق. وعاد رونالدينيو مرة أخرى للدوري البرازيلي في 2011 ولعب لفلامينغو وأتلتيكو مينيرو وفلومينزي حتى العام 2015، كما قضى فترة قصيرة أيضا في الكرة المكسيكية لاعبا لكويريتارو في موسم 2014. وبدأت المسيرة الناجحة للنجم البرازيلي عندما كان 17 عاما مع غريميو الذي يتخذ مدينة بورتو أليغري البرازيلية، مسقط رأس رونالدينيو، مقراله.

ويعيش رونالدينيو منذ فترة طويلة كلاعب متقاعد، مستمتعا بتقديم سحره الخاص على شواطئ ريو أو من خلال المباريات الاستعراضية. ولم يخرج من بؤرة الجدل حتى بعد ابتعاده عن كرة القدم بشكل رسمي، فقد أثار سخط العديد من مواطني بلاده في الفترة الأخيرة بزياراته للشيشان والتقاطه صورا مع الزعيم الشيشاني رامزان قاديروف، الذي يعرف عنه عداؤه لمثلي الجنس. ودخل رونالدينيو، إلى تاريخ الكرة البرازيلية كأحد أفضل لاعبيها على مر التاريخ، رغم الآراء التي تؤكد إنه كان قادرا على تقديم أكبر من ذلك. وفي 2005 حصد رونالدينيو جائزة الكرة الذهبية التي كانت تمنحها منفردة مجلة «فرانس فوتبول»، وحصل أيضا على تكريم الفيفا عندما منح جائزة أفضل لاعب في العالم عامي 2004 و2005، قبل أن تدمج الجائزتين.

وحصد رونالدينيو كأس ليبرتادوريس عام 2013 مع أتلتيكو مينيرو البرازيلي، بالإضافة إلى ألقاب أخرى، بعد أن كان الابتسامة المرسومة على وجه برشلونة قبل ظهور الأسطورة ليونيل ميسي.

الرياضة النسائية عانت من عدم المساواة خلال العام المنصرم

سيرينا وليامز

لندن ـ «القدس العربي»:

رغم النجاحات العديدة التي حققتها على مدار الشهور الماضية، لم تستطع الرياضة النسائية في 2017 أن تحرز المساواة التي تستحقها مع رياضة الذكور.

وفي 2017، واصلت العناوين الكبيرة والرواتب الخيالية والتغطية الإعلامية الهائلة تحليقها في عالم الرياضة على مستوى الرجال، فيما كانت بنسب أقل كثيرا في عالم الرياضة النسائية رغم النجاح والإنجـازات التي حققتها الرياضيات خاصة في تلك البلدان التي تتحدث الإسبانية. ولهذا، لم تنل لاعبة التنس الأمريكية سيرينا وليامز على فوزها باللقب الثالث والعشرين في بطولات «غراند سلام» الأربع الكبرى نصف التغطية الإعلامية والاهتمام الجماهيري الذي يحظى به النجمان السويسري روجيه فيدرر والإسباني رافاييل نادال واللذان رفعا رصيديهما إلى 19 لقبا و16 لقبا على الترتيب في البطولات الأربع الكبرى. وعلى نفس الشاكلة، أحرزت السباحة الأمريكية الشابة كاتي ليديكي (20 عاما) خمس ميداليات ذهبية في بطولة العالم للسباحة بالعاصمة المجرية بودابست لكنها نالت بالكاد اهتماما إعلاميا مساويا لسباحين أحرزوا نصف هذا العدد من الميداليات في البطولة مثل موانها كيز كاليز. وقالت ماتيلدا فونتيكا الخبيرة الإسبانية بالعلوم والفلسفة الرياضية والأنشطة البدنية: «أود أن أقول إن الرياضة هي أكثر المجالات تميزا في مجتمعنا... الاحتراف والرواتب التي يحصل عليها الرياضيون من أكثر الأمور التي تكرس لعدم المساواة بين الجنسين». وتوضح الأرقام ما أشارت إليه الخبيرة الإسبانية، حيث تؤكد البيانات الصادرة عن الرابطة العالمية لمحترفات التنس أن النجمة الرومانية سيمونا هاليب التي أنهت عام 2017 في صدارة التصنيف العالمي حصدت خمسة ملايين و275 ألفا و227 دولارا كجوائز مالية من البطولات التي شاركت فيها خلال 2017. وفي المقابل، حصد الإسباني رافاييل نادال الذي أنهى 2017 في صدارة المحترفين 15 مليونا و851 ألفا و340 دولارا طبقا للبيانات الصادرة عن الرابطة العالمية لمحترفي التنس. ولم تفز هاليب بنفس عدد البطولات التي حصدها نادال. ويحصل المشاركون في بطولات «غراند سلام» على جوائز متساوية بين الجنسين، لكن هذا لا يحدث في بطولات الأساتذة ذات الألف نقطة، أو البطولات ذات الـ500 نقطة، وهي البطولات الأكثر عددا على مدار الموسم ويحصل فيها اللاعبون الرجال على جوائز مالية تفوق كثيرا نظيرتها في منافسات السيدات. ورغم الفارق الهائل في الجوائز المالية للجنسين ببطولات التنس، يبدو هذا الفارق صغيرا أمام نظيره في كرة القدم. وبخلاف المشاكل التي تواجهها السيدات، فممارسة كرة القدم، تشهد الأرقام وخاصة الرواتب على التمييز الواضح بين الجنسين في هذه الرياضة. ويقتصر راتب لاعبة كرة القدم البرازيلية مارتا، التي تعتبر أفضل لاعبة على مدار العقد الأخير، كما تتصدر قائمة أفضل الهدافات في تاريخ بطولات كأس العالم، على 500 ألف دولار في الموسم الواحد طبقا لموقع «سوكر سلايد» على الانترنت. وفي المقابل، يصل راتب البرتغالي كريستيانو رونالدو نجم ريال مدريد إلى 58 مليون يورو سنويا، بحسب مجلة «فوربس» الشهيرة. كما يظهر سوق انتقالات اللاعبين مدى التفاوت الهائل بين الجنسين في كرة القدم. وعلى سبيل المثال، أنفق باريس سان جيرمان الفرنسي 222 مليون يورو لضم البرازيلي نيمار من برشلونة. وفي المقابل، دفع برشلونة مبلغا يتراوح بين 30 ألفا و45 ألف يورو إلى نادي روزينغارد السويدي للتعاقد مع الهولندية ليكه مارتنز أفضل لاعبة كرة قدم في أوروبا. كما لجأ برشلونة، الذي رفع راتب نجمه الأرجنتيني ليونيل ميسي إلى 40 مليون يورو سنويا، إلى تطبيق الاحتراف على مستوى فريق السيدات بميزانية تتجاوز المليون يورو في الموسم الحالي، فيما رصد 897 مليون يورو لفريق الرجال لتكون أعلى ميزانية في التاريخ.

وذكرت مارتنز: «نريد تقييما أفضل. ولنا الحق في المطالبة بالحديث عن المساواة». وجاءت تصريحات مارتنز الفائزة مع المنتخب الهولندي بلقب أوروبا، بعدما اتخذت لاعبات الترويج بالتنسيق مع الاتحاد النرويجي خطوة ايجابية من خلال المساواة بين مكافآت اللاعبين واللاعبات في المنتخبات النرويجية. لكن الخطوات الصغيرة التي اتخذت في 2017 بحثا عن المساواة لم تمنع قضية عدم المساواة بين الجنسين في مجال الرياضة من فرض نفسها على الأحداث في 2017 .

أخيراً.. السعوديات يتذوقن طعم الاثارة والتشويق من المدرجات

جدة ـ «القدس العربي»:

بقيت أريج الغامدي لسنوات تهتف بحماس للنادي الاهلي السعودي أثناء مبارياته، انما من وسط قاعة الجلوس امام شاشة التلفزيون في منزلها بمدينة جدة الساحلية.

مساء يوم الجمعة قبل الماضي، دخلت أريج لاول مرة استاد «الجوهرة المشعة» لتشجع فريقها من على المدرجات على بعض أمتار من المستطيل الاخضر، مع بدء تطبيق القرار التاريخي بالسماح للنساء بمتابعة الرياضة المحببة من داخل الملعب. وقالت الطالبة السعودية: «أتيت الى الملعب مع والدي وشقيقي. نحن متعصبون جدا للنادي الاهلي، وغالبا ما يتحول بيتنا الى حلبة تشجيع بسبب حبنا الشديد للنادي». وأضافت الشابة التي ارتدت عباءة سوداء ووضعت حول عنقها وشاحا اخضر: «اليوم، لاول مرة، سننقل هذه الاجواء الى الملعب بشكل حقيقي بعيدا عن شاشات التلفزيون التي غالبا ما تكون الصورة فيها محدودة ولا تنقل الاجـواء كلها». وتابعت: «الرؤية من الملعب تبدو افضل بكثير». وقبل نحو ساعتين من بداية المباراة بين فريقي الاهلي والباطن في ملعب «الجوهرة المشعة» بمدينة الملك عبدالله الرياضية، بدأت المشجعات بالوصول الى المدرجات. وجلست في البداية امراة وشابة وطفلة والى جانبهن فتى في المقاعد المخصصة للنساء والعائلات ينتظرون صفارة انطلاق المبـاراة. ودخلت النساء اللواتي أتين من دون مرافقين، والأخريات اللـواتي وصلن برفقة عائلاتهن، من مداخل خاصة، بينما دخل المشجعون الشبان من منافذ أخرى. وبما ان السعودية تمنع الاختلاط بين الجنسين، جلست النساء في أقسام خصصت للمشجعات الاناث وللعائلات التي تضم نساء واقرباءهن الرجال تفصلهم حواجز زجاجية عن باقي مقاعد الملعب المخصصة للمشجعين الذكور. وتأتي هذه الخطوة الاستثنائية في وقت تشهد فيه السعودية سلسلة من التغيرات الاجتماعية المتسارعة، بينها السماح للمرأة بقيادة السيارة اعتبارا من حزيران/يونيو المقبل واعادة فتح دور السينما. ويقود حركة التغيير في المملكة ولي العهد الشاب الامير محمد بن سلمان (32 عاما) ضمن خطة اقتصادية اجتماعية طرحها في العام 2016 تحت مسمى «رؤية 2030» وتـهدف الى تحفيز الاستثمارات وتنويع الاقتصاد لوقف الارتـهان للنفط.

بـدأت المـباراة بين فريقي الاهلي والـباطن ضمن مـبـاريـات الـدوري السعودي عند الساعة الثامنة مساء بالتوقيت المحـلي، لكن الحـماس للمباراة سبق صفارة البداية بأشواط في الشارع وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، وعند مداخل الملعب. صـالـح الـزيـادي وصـل الـى مدينة الملك عبدالله الرياضية برفقة بناته الثلاث آمـلا في أن يمنحهن فرصة الاسـتـمـتـاع بمشـاهـدة مـبـاراة في الملعب كما فعل هو لسنوات. وقال الاب وهـو بـيهم مع عائلته بالدخول الـى الملعب: «اتينا لتشجيع فريقنا المفضل. بناتي لم يصدقن الامر بعد، ولم يستوعبن انهن سيحضرن مباراة لفريقهن المفضل في الملعب». على مقربة من الزيـادي وعائلته، قامت نساء يرتدين عباءات فوقها سترات برتقالية باخضاع المشجعات اللواتي وقفن في صف طويل لتفتيش يدوي، بينما قامت موظفات أخريات داخل الملعب بارشاد المشجعات والعائلات الى أماكنهن. وستكون هناك ست دورات مياه للرجال، وست للنساء، ومصليان للرجال ومثلهما للنساء، بحسب ما افادت مدينة الملك عبدالله الرياضية في حسابها بـ«تويتر». وفي 30 تشرين الاول/اكـتـوبـر المـاضي، أعلنت السلطات السعودية رفع الحظر عن دخول النساء الى ملاعب رياضية والسماح لهن بحضور فاعليات في ثلاثة ملاعب اعتبارا من مطلع عام 2018.

وقالت نورة بخرجي: «كنت دائما أشـاهـد المـبـاريـات من على شاشة التلفزيون، بينما يـذهـب أشقائي الـى الملعب. شعرت بالحسرة كلما ذهبوا وعـادوا ليخبروني عن متعة مشاهدة المباريات من على المدرجات». وأضافت: «سألت نفسي مرارا: لماذا لا أستطيع الذهاب؟ اليوم، تغير هذا الامر. انه يوم للمتعة والفرح». وقبل ساعـات من المـبـاراة، شجعت فرق في الـدوري السعودي النساء على الذهاب الى المباريات في تغريدات على حساباتها في «تويتر»، وأعلنت بعض الفرق عن ملابس وعبـاءات خاصة بالمشجعات تحمل ألـوان الفريق. وتـفـرض السعودية بعض القيود الأكثر قساوة على النساء في العالم. لكن الحكومة تعمل على تخفيفها ضمن خطة «رؤية 2030» في محاولة لادخـال النسـاء الـى سـوق العمل ولتحسين صورة المملكة في الخارج مع سعيها الى جذب الاستثمارات للتعويض عن تراجع اسعار النفط. وقالت لمياء خالد ناصر (32 عاما) المقيمة في جـدة: «مـع هـذا الحـدث، يتأكد لنا اننا نمضي بالفعل نحو مستقبل مزدهر. أشعر بفخر كبير لأنني شاهدة على هذا التغيير».

ملاكمات من غزة يضربن بـ«قفازاتهن» تقاليد مجتمعية!

غزة ـ «القدس العربي»:

تتقفد الشابة الفلسطينية إكرام طوباسي (22 عاماً)، وشاق واقي الرأس «الاسفنجي» الذي ترتديه، كما تلقي نظرة أخيرة على قفازاتها حمراء اللون، قبل بدء مباراة الملاكم النسوية الودية.

وداخل حلبة تدريب صغيرة، تقع في مقر اللجنة الأولمبية الفلسطينية بمدينة غزة، تقف الحكم بين المتبارزتين الشابتيْن، وتضرب يدها بالهواء وهي تقول بصوت مرتفع «بوكس» في إشارة منها لبدء المباراة الودية.

وتبدأ المتبارزتان، الملتحقتان في الدورة التدريبية الأولى (التأسيسية) لرياضة الملاكمة، بلكم بعضهما بعضا، بالضربات التي تعلمتاها خلال الدورة، سواء الضربات الصاعدة، أو الجانبية، أو المستقيمة. وتطلق الشابات المتدربات والمتابعات للمباراة الودية صرخاتهن تشجيعاً لزميلتيْهن المتبارزتين.

ولأول مرة على مستوى قطاع غزة، تُخصص دورة تدريبية لتعليم الفتيات أصول رياضة الملاكمة. والتحق في الدورة حوالي 40 طالبة جامعية تتراوح أعمارهن بين (19 ـ 22) عاما، وغالبيتهن من تخصص التربية الرياضية، بحسب اتحاد الملاكمة. وتقول المتدربة طوباسي، وهي طالبة في تخصص الصحافة والإعلام في الجامعة الإسلامية بغزة: «يعتبر هذا النوع من الرياضة بالنسبة لنا شريحة الشابات بغزة تغييراً نوعيا». وتمارس طوباسي رياضة الملاكمة من باب الهواية، واستغلالاً للوقت بأمور أكثر فائدة. وتوضح أن التحاقها بذلك النوع من الرياضات قد يساعدها في مجال تخصصها الصحفي في المستقبل، كونها تطمح لأن تكون إعلامية رياضية.

كما أن هذا النوع من الرياضات يعزز ثقتها بنفسها، ويساعدها على اكتساب الخبرات اللازمة للدفاع عن النفس كما قالت. وأعربت عن رغبتها في الاستمرار بالالتحاق بالأنواع المختلفة من الرياضات خاصة التي تعتمد على بذل الجهد الكبير. ورغم الدعم الذي لاقته طوباسي من عائلتها وبعض الأصدقاء المحيطين، إلا أنها واجهت بعض الانتقادات، سواء من المحيطين أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي، كون رياضة الملاكمة «ذكورية أكثر منها للإناث»، على حدّ قولها. وتتابع مكملة: «الانتقادات تركزت على محور كيف للفتاة أن تمارس رياضة الملاكمة، عدا عن أن المدربين من فئة الشباب (الذكور)».

وكون المجتمع الغزي مجتمعاً محافظاً، فإن فكرة تدرب الفتيات على يد مدربين شباب، خاصة في بعض أنواع الرياضات كالملاكمة، لا تلقَ قبولاً شعبياً. وتعرب الشابة طوباسي عن أمنياتها في تغيّر النظرة المجتمعية حول ثقافة مشاركة المرأة في المجالات الحياتية المختلفة. وتقول: «نحن لسنا فقط شعبا نعيش الحروب والدمار ونصدّر هذه الصورة عنا للعالم الخارجي، نحن شعب مقاوم، يحب الحياة واللعب، ويحاول إظهار صورته الإيجابية ووجهه الآخر للعالم». وفي قطاع غزة، تُبدي بعض الشابات اهتماماً ملحوظاً بأنواع مختلفة من الفنون كالدبكة، والموسيقى، أو الرياضات كالملاكمة والكاراتيه، متحديات بذلك الأعراف التي انبثقت عن مجتمع محافظ يرفض ثقافة مشاركة المرأة في تلك المجالات؛ خاصة ما يستدعي الاستعراض أمام الجمهور أو الاختلاط بالرجال. أما إيمان أبو كويك، عضو اتحاد الملاكمة، ومشرفة التربية الرياضية في مديرية شرق غزة (تابعة لوزارة التربية والتعليم)، فتقول: «دورة الملاكمة النسوية هذه، تأسيسية وأولى من نوعها على مستوى قطاع غزة». وتتابع: «لأول مرة تتمكن الفتيات في قطاع غزة للمشاركة بهذا النوع من الرياضات، التي كانت حكراً على الرجال فقط». و تعتبر أبو كويك رياضة الملاكمة من أفضل الرياضات الموجودة بنوعيتها. وتقول إن المسؤولين عن تلك الدورة لاحظوا رغبة الشابات في تعلم أصول الملاكمة، وتطوير أدائهن، إذ انعكس ذلك على التزامهن بمواعيد التدريب. وفي الوقت ذاته، تشير أبو كويك إلى أن اتحاد الملاكمة واجه عدة انتقادات بخصوص مشاركة الفتيات في هذه الرياضة، لكن نجاح الفتيات فيها كان تحديا لتلك الانتقادات، وكسراً للتقاليد المجتمعية، كما قالت. وتعتبر أبو كويك أن نجاح اتحاد الملاكمة في انجاز هذه الدورة، وتخريج الشابات منها، تحديا للظروف التي تحدّ من مشاركة الفتاة في مثل هكذا رياضات.

وتذكر أن «رياضة الملاكمة ساعدت الفتيات في تعزيز ثقتهن بأنفسهنّ، إلى جانب إكسابهن خبرات في ما يتعلق بالدفاع عن النفس». واقتصرت ممارسة الملاكمة في قطاع غزة، خلال الأعوام السابقة، على الرجال فقط، بينما يتوقع القائمون على الاتحاد أن تكسر تلك البداية، ما وصفوه بـ«احتكار الرجال» لهذه الرياضة.

والملاكمة واحدة من الرياضات العالمية، التي يعتمد ممارسوها على الهجوم بقبضاتهم (لكم بعضهم)، في عدة جولات (لا تزيد الواحدة على 3 دقائق)، وتقوم على تفادي الملاكم للكمات خصمه في الوقت ذاته الذي يحاول توجيهها له.

خلدون الشيخ

بيع رونالدو سيكون أفضل ما يفعله ريال مدريد!

لم يعد ظهور الفتى البرتغالي المدلل في مسرح «البيرنابيو» يسعد جماهير ريال مدريد في الآونة الاخيرة، بل لم تعد لمسات كريستيانو رونالدو تلهب مشاعرهم، ولان القاعدة الذهبية تقول: لا وفاء ولا ولاء في عالم كرة القدم! فان فكرة رحيل النجم الأول في تاريخ النادي باتت تستهوي الكثيريين، وبينهم الرئيس فلورنتينو بيريز، بل باتت مطلبا ملحا عند بعض عشاق الميرينغي.

النجم المدلل، الذي سيبلغ الثالثة والثلاثين من العمر بعد نحو اسبوعين، لم يعد القاعدة الذهبية أي أهمية، واعتبر انه سيكون النجم الاول دائما ما دام يستطيع الوقوف على كلتا قدميه، ولهذا بدأ يشعر منذ أسابيع الصيف ان شيئا ما يحصل، فالنادي تخلى عنه في صراعه مع القضاء الاسباني على قضية التهرب الضريبي، بل نكث بيريز وعده بتجديد عقد اللاعب، وهو ما اعتبره «خيانة»، بحقه، وطبعا التجديد لا يعني سوى رفع الراتب الذي يتقاضاه، فهو مدد عقده في 2016 حتى 2021، ولا يحتاج الى عقد جديد. لكن فكرة الرحيل بدأت تتخمر عند الطرفين، فرونالدو تشبع بالالقاب الجماعية والفردية، والاهم انه نجح في التحدي الشخصي بمعادلة عدد الكرات الذهبية مع عدوه اللدود ميسي، وتبقى فقط ان يتخطاه، أو على الاقل يعادله في راتبه الجديد مع برشلونة، وطبعا هو رقم خيالي يبلغ ثلث ميزانية الرواتب لكل موظفي النادي الكتالوني من لاعبين واداريين وموظفين، وهو ما قاده الى الاعتصاف خصوصا انه قاد لتوه الفريق الى احراز عدد من الالقاب أبرزها دوري الأبطال للمرة الثانية على التوالي.

لكن بيريز رجل عملي، وهو يدرك ان تجديد عقد لاعب دخل في العد التنازلي من مسيرته، ولا يقدم العروض المرجوة هذا الموسم في أسوأ فترة للريال منذ زمن طويل، أصبح فيها الحديث عن تفادي الريال للهزيمة الثالثة على التوالي في أرضه عندما يواجه ديبورتيفو لاكورونيا اليوم، او تصريح نجمه كروس عن كفاحه لضمان المركز الرابع المؤهل لدوري الابطال، غير مجد فبات من المنطقي الحديث عن بديل لا يقل موهبة وشهرة عن رونالدو، ليبرز هنا اسم نيمار، والامر ليس مجرد اشاعة، بل الريال يدرك ماذا يفعل، ويتعمد تسريب بعض الاشاعات، عندما يكون متأكدا من امكانية تحقيقها، والهدف معرفة رد فعل جماهيره. ولا يمكن مقارنة رونالدو اليوم بنيمار، فالأول لم يسجل سوى 4 اهداف في الدوري هذا الموسم وصنع هدفين، وهو نفس الرقم بالتسجيل والصنع حققه نيمار في مباراة واحدة امام ديجون في الجولة الاخيرة من الدوري الفرنسي. وبيريز يريد استغلال عدم سعادة نيمار مع بطل فرنسا بحسب ما تصله من معلومات.

لكن هل سيجد رونالدو ترحيبا في عودته الى ناديه السابق مانشستر يونايتد؟ وهل النادي الانكليزي على استعداد لصرف مبالغ مهولة على نجم في نهاية مسيرته المفترضة؟ طبعا جماهير يونايتد سترحب بعودة نجمها السابق حتى لو كان على «عكازات»، لكن ادارة النادي ومدربه قد يكون لهما رأي آخر، فالنادي مطروح في بورصة نيويورك، أي ان القرار النهائي لأي صفقة ضخمة يجب ان يمر على حاملي الأسهم، والسن الكبيرة لرونالدو قد يقف عائقا دون الحصول على الموافقة، أما سبب المنع الاهم قد يكون المدرب جوزيه مورينيو، الذي خاض علاقة مضطربة مع نجم بلاده عندما كان مدربا للريال، وترك في 2013 بخصام بينهما، عدا عن ان النادي سيفكر بالنظر الى المستقبل لا بالعودة الى الماضي، وقرب ضم النجم التشيلي أليكسيس سانشيز قد يقف عائقا دون التفكير برونالدو.

الريال سيكتشف ان النصائح التي تلقاها بضرورة تجديد، او تبديل ثلاثي هجومه بالكامل، قبل اكثر من عام، وفي خضم احراز الالقاب، كانت على صواب، والاندية الكبيرة في اوروبا قد تتردد في تخليص الريال من اعباء هذا الثلاثي، بل ان يونايتد يفضل ضم بيل على استعادة رونالدو، ليدرك بيريز ان لا حل سيعجب أنصاره بعد تخلصه من الثلاثي المخيب الا صفقة من العيار الثقيل... ضم نيمار مهما كلف الثمن!

@khaldounElcheik

أسرة

المغرب: إثبات نسب الأطفال من خارج مؤسسة الزواج يخلط الأوراق بين الإسلاميين والحداثيين

الرباط ـ «القدس العربي»:
سعيدة الكامل

أثار إصدار قاض مغربي لأول حكم قضائي عرفته المحاكم المغربية، يقر بحق طفلة مولودة خارج إطار الزواج بالانتساب لوالدها البيولوجي مع تعويض للأم عن الضرر الذي لحقها بما قدره تسعة آلاف يورو، نقاشا محتدما وممتدا حول إثبات النسب للأطفال المولودين خارج مؤسسة الزواج في المغرب. هذا الحكم الذي شكل سابقة في تاريخ القضاء المغربي أثار ضجة إعلامية واسعة بين تيارين، واحد يرى في الحكم خروجا عن الدين وأعراف المجتمع أو ما يسمى الثوابت، وآخر يستحضر الجانب الإنساني في العلاقة مع هؤلاء الأطفال وينادي بإنصافهم بالاستناد للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان وحقوق الطفل وما صادق عليه المغرب في هذا الباب، وبين التيارين تداخلت الخطوط بين الإسلاميين والعلمانيين والحداثيين والمحافظين.

الحكم الذي رأى النور في كانون الثاني/ يناير من السنة الماضية، ألغته محكمة الاستئناف في تشرين الأول/ أكتوبر من السنة نفسها وحملت الأم مصاريف التقاضي. فثارت ثائرة حقوقيين وبعض الإسلاميين على الحكم الإستئنافي واعتبروه بمثابة وأد لثورة فتية في القضاء المغربي، لكن النقاش حول القضية لم يمت ما دامت الظاهرة مستمرة وينجم عنها بشكل دائم أطفال يأتون للمجتمع بلا دراية منهم، لا بقوانينه ولا أعرافه ولا دينه، ليصطدموا بمشاكل تتعلق بالهوية وما يرتبط بها من حقوق اجتماعية وشرعية وتعقيدات إدارية.

لا وجود لأرقام رسمية صريحة تتحدث عن نسبة الأطفال المولودين خارج مؤسسة الزواج بالمغرب، مدلى بها من طرف المندوبية السامية للتخطيط أو من طرف وزارة الأسرة والتضامن والمساواة، فهذه الفئة من الأطفال غير مدرجة في إحصائيات هاتين المؤسستين الرسميتين. غير أن هناك أرقاما عن نسبة الأطفال بدون مأوى لكنها لا تعني بالضرورة أنها تهم الفئة موضوع هذا المقال، وإن كانت الكثير من القصص الدرامية حول أطفال يلقى بهم في حاويات القمامة وآخرون تأدهم أمهاتهم وهم أحياء وآخرون لم يجدوا غير أرصفة الشوارع حضنا باردا لهم وغيرهم في أحسن الحالات يعانون مشاكل في التمدرس والإرث وتلاحقهم نظرة المجتمع الاحتقارية، هي قصص أبطالها أطفال بلا مجد. أطفال لم يقرروا أن يكونوا على ما هم عليه لكنهم يزرون بوزر صانعي تلك القصص وصانعيهم.

وإن غابت أرقام الدولة، فإن للمجتمع المدني كلمته في هذا الموضوع وأرقامه كذلك. وتحدثت إحصائيات أدلت بها جمعية «إنصاف» المدافعة عن حقوق المرأة والطفل، أن ما يقارب 44 ألف طفل مولود خارج إطار الزواج يتواجدون في الدار البيضاء بين سنتي 2004 و2014 بمعدل يقارب 3366 طفلا سنويا فقط في الدار ابيبضاء، وهي من أكثر المدن المغربية كثافة سكانية واكتظاظا على المستوى العالمي (تضم الجهة سبعة ملايين نسمة حسب إحصاء 2014 الذي أجرته مندوبية التخطيط). أما المركز المغربي لحقوق الإنسان فدق ناقوس الخطر بخصوص ما يترتب عن تنامي أعداد الأطفال مجهولي

الآباء من تفاقم لظاهرة أطفال الشوارع حيث يكون المصير هو التشرد والإدمان على المخدرات والتعرض للاغتصاب.

للدين حضور كبير في تبرير التعاطي مع الظاهرة، ويتم استعماله بشكل متباين بين المدافعين عن الإقرار بالنسب للطفل الذي يولد خارج الزواج لأبيه، وبين من يرفضون ذلك ويعتبرون الطفل «ابن زنا» ولا يمكن أن يحظى بنسب. وحسب عبد الوهاب رفيقي، المعروف بأبو حفص، وهو أحد شيوخ السلفية المتفتحين، فإن المجتمع تطغى عليه تمثلات ظالمة وهو ما زال «حبيس قراءة فقهية قديمة متجاوزة ووليدة مرحلة لم يكن فيها وسائل علمية لإثبات النسب». والمعارضون في نظره ما زالوا يستندون للحديث النبوي القائل «الولد ابن الفراش وللعهر الحجر» ويستنبط من هذا الحديث أنه لا يمكن إثبات الأبوة إلا من خلال العلاقة الزوجية والتي يشار إليها بالفراش. أبو حفص يرى أن تنزيل هذا الحديث في الواقع الذي نعيشه اليوم «غير صحيح» لأن آنذاك لم يكن من الممكن إثبات النسب إلا بإثبات الزوجية.

«اليوم نحن مطالبون أن يكون القانون متلائما مع التقدم العلمي للعصر» يضيف أبو حفص، في حديثه لـ«القدس العربي» معتبرا أن الحكم الذي أصدرته المحكمة الابتدائية سابقا بطنجة، «كان خطوة جريئة ونقلة نوعية « متأسفا على إلغائه لاحقا من طرف محكمة الاستئناف لأنه لم يجد ما يسنده في قانون الأسرة المغربي الذي يرفض الإلحاق، يقول أبو حفص. ومقابل هذا الرأي يقف رأي آخر، للحسن السكنفل رئيس المجلس العلمي لعمالة الصخيرات تمارة، والذي يرى أن حكم المحكمة الابتدائية والذي نقضته محكمة الاستئناف «لم يقم على الاستلحاق (اعتراف الأب من الزنى بابنه من الزنى وإلحاقه بنسبه) وإنما قام على أساس الخبرة الطبية التي أثبتت أن الطفلة هي ابنة ذلك الرجل من الزنا».

«حكم محكمة الاستئناف الذي نقض الحكم الإبتدائي مرجعه إلى أحكام الشريعة الإسلامية التي تؤكد أن الولد للفراش»، يردف السكنفل في حديثه لـ«القدس العربي» موضحا أنه إذا كانت العلاقة خارج مؤسسة الزواج فإن المولود ينسب إلى أمه فقط إلا إذا اعترف والده بنسبه عن طريق الاستلحاق الذي قال به مجموعة من العلماء كالحسن البصري وكما ذهب إلى ذلك بعض الحنفية وبعض الحنابلة ومنهم ابن القيم وابن تيمية ، يقول السكنفل مستشهدا بقول ابن القيم: إذا كان ولد الزنى ينسب لأمه (أحد الزانيين) عند جميع العلماء، فهو كذلك ينسب للزاني الآخر وهو أبوه من الزنى الذي استلحقه وأقر بأنه من مائه.

في حين يرى محمد بولوز، باحث في العلوم الشرعية وأستاذ التعليم العالي للدراسات الإسلامية أن قانون الأسرة المغربي في المادة 158 يمكن من إثبات نسب الطفل بالفراش أو بإقرار الأب أو بشهادة عدلين أو ببينة السماع، وبكل الوسائل الأخرى المقررة شرعا بما في ذلك الخبرة، و يضيف بولوز لـ«القدس العربي» أن الرأي المشهور والمعروف أن «ابن الزنا» ينسب لأمه ويرثها، ولا يرث الرجل الذي زنا بأمه ولا ينسب إليه، غير أن هناك اجتهادا يلحق الولد بالزاني.

ولا يرى بولوز أنه يمكن اشتراط الإلحاق باعتراف الأب ورغبته، معتبرا أنه إذا «ثبت بالخبرة الطبية علاقة توالد بين الزاني والولد يلحق به حتى لا تضيع حقوقه من جهة الهوية والإنفاق فتحفظ حقوق الطفل ويكون شكلا من أشكال العقوبة والتعويض وخصوصا في أحوال الاغتصاب حتى لا تترك المزني بها لمصيرها» أما بخصوص الإرث فيرى أن هذا المولود يرث بالوصية الواجبة والتي تبقى في حدود الثلث حتى «لا ندخل على الورثة الشرعيين من ليس منهم والمشهور عند الفقهاء أن ابن الزنا لا يرث، والله أعلم» يختم بولوز تصريحه.

للحقوقيين والحداثيين زاوية نظر أخرى تستند لـ«المصلحة الفضلى» للطفل ولكون العلاقة الرضائية بين رجل وامرأة خارج مؤسسة الزواج لا يجب أن يجرمها القانون من الأصل، وأن الطفل المولود خارج مؤسسة الزواج يجب أن يتمتع بحقوقه كاملة كباقي الأطفال. وفي هذا الصدد يندرج رأي عائشة الشنا التي ترأس جمعية «التضامن النسوي» وهي جمعية غير حكومية لرعاية الأمهات العازبات، تأسست منذ أزيد من ثلاثة عقود، أثارت الكثير من الجدل في المغرب وتعرضت لمضايقات كثيرة، حسب ما أفادت به الشنا نفسها في أكثر من مناسبة. وتعتبر الشنا أن هؤلاء الأطفال ضحية مجتمع تغيب فيه التربية الجنسية التي يمكن أن تقي من مثل هذه الحالات وأنه في حالة وقوع الواقعة يجب ألا يكون الطفل وأمه ضحية. ولا تتباين المواقف داخل الصف «الحداثي» كثيرا في هذا الموضوع، ما دام يستند في مرافعته عن حق هؤلاء الأطفال في الانتساب لأبائهم البيولوجيين وتمتعهم بحقوقهم عامة، إلى قوانين وضعية.

غير أن اختلاف المرجعيات لم يمنع بعض الإسلاميين من الدفاع باستماتة عن إثبات النسب عبر الحمض النووي وتمتيع الأطفال المولودين خارج مؤسسة الزواج بكل حقوقهم، وينضاف لأبو حفص ما أثارته مؤخرا بسيمة الحقاوي، وزيرة الأسرة والتضامن، عن حزب العدالة والتنمية ذو المرجعية الإسلامية، حين دعت إلى استعمال اختبار الحمض النووي في إثبات الأبوة قائلة «أنا مع إثبات العلاقة الترابطية بين الفاعل والابن أي أن نستعمل الحمض النووي لكي نجد لكل أبن أباه» معتبرة أن قبول علماء الشرع للأمر أو رفضه أمر خارج اختصاصها، كما أكدت جوابا على سؤال في مجلس النواب أن هؤلاء «الأطفال المهمشين» يجب أن يتمتعوا بحقهم في التمدرس وإثبات الهوية وأن يتم تسجيلهم في الدفتر العائلي إسوة بباقي الأطفال ودون تمييز. هذا الموقف الصادر عن الحقاوي فاجأ الكثيرين من حداثيين وإسلاميين وسانده حقوقيون، كما تعرضت بفعله لانتقاد واسع باسم مخالفته للشريعة ، وما زال تصريحها يثير الكثير الجدل وما زال الحكم الملغى يسيل الكثير من المداد، والظاهرة مستمرة.

المثوم

المكونات

500 غ لحم مقطع
200 غ لحم مفروم
½ كوب حمص منقوع
ملعقة كبيرة سمن2
ملعقة كبيرة زيت5
فصوص ثوم
بيضة وملعقة صغيرة كمون ولتر ماء دافئ وملح وفلفل حسب الرغبة.

طريقة التحضير

نسخ الزيت في وعاء على النار. ثم نقلي اللحم بالزيت .

أثناء ذلك نهرس الثوم ونخلطه في صحن جانبي مع الملح والفلفل والكمون.

نخلط المزيج جيدا حتى تمام التجانس ثم نقسمها إلى نصفين منفصلين.

نضع نصف الخليط على اللحم في الوعاء. نضيف عليه الحمص والماء ونغطي الوعاء حتى تمام النضج.

نأخذ النصف الثاني من الخليط ونخلطه مع اللحم المفروم والبيضة.

نشكل من خليط اللحم المفروم والبيض كرات.

بعد نضج اللحم نضيف كرات اللحم المفروم إلى الوعاء.

نتركها على النار قليلا، ثم نرفع الوعاء ونقدمه ساخنا.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

صحة

الأغذية المسببة للالتهاب تزيد فرص الإصابة بسرطان القولون

أفادت دراسة أمريكية حديثة، أن اتباع نظام غذائي غني بالأطعمة التي تسبب الالتهاب، يزيد فرص الإصابة بسرطان القولون والمستقيم لدى الرجال والنساء.

الدراسة أجراها باحثون في كلية «تي إتش تشان» للصحة العامة في جامعة هارفارد الأمريكية، ونشروا نتائجها في العدد الأخير من دورية «JAMA Oncology» العلمية.

وأوضح الباحثون أن الأغذية التي تسبب الالتهابات هي اللحوم المصنّعة والحبوب المكررة والمشروبات ذات السعرات الحرارية العالية مثل مشروبات الطاقة والمشروبات الغازية والمشروبات المحلاة بالسكر والأطعمة المقلية.

والحبوب المكرّرة هي حبوب كاملة تم تجهيزها باستبعاد النخالة والبذرة خلال عملية التجهيز مثل الكورن فليكس المصنوع من حبوب غير كاملة، وخبز الذرة، ورقاق الذرة، والكسكس، والشعيرية، والمعكرونة، وخبز الحبوب غير الكاملة، والكعك المملح الجاف، والخبز الأبيض.

ورصد الباحثون تأثير تناول الأغذية التي تسبب الالتهابات، على أكثر من 121 ألفا من الذكور والإناث، في دراسة طويلة الأمد استمرت 26 عامًا.

وكان المشاركون في الدراسة يجرون متابعة كل 4 سنوات، وانتهت فترة الدراسة في 2017.

وعقب تحليل البيانات، وجدوا أن المشاركين من الرجال والنساء الذين تناولوا أطعمة تسبب الالتهابات بكثرة، كانوا أكثر عرضة للإصابة بسرطان القولون والمستقيم.

وكان خطر الإصابة بالسرطان أعلى بين الرجال الذين يعانون من زيادة الوزن أو السمنة والنساء اللاتي يعانين من النحافة.

وقال فريق البحث إن نتائج دراستهم «مثيرة للاهتمام، لأن سرطان القولون والمستقيم، يعد أحد السرطانات الشائعة، التي تلعب الالتهابات دورًا في تطور الإصابة به».

وأضافوا أن «ما يأكله الناس يمكن أن يؤثر على مدى إصابة الجسم بالالتهاب، لذلك فإن النظام الغذائي قد يكون عامل خطر قابل للتعديل لمنع الإصابة بسرطان القولون والمستقيم».

ويعتبر سرطان القولون والمستقيم، ثاني أكثر الأسباب شيوعا للوفاة المرتبطة بالسرطان في أوروبا، حيث يتسبب في وفاة 215 ألف شخص سنويًا.

ووفقًا لجمعية السرطان الأمريكية، فإن سرطان القولون والمستقيم، هو ثالث أكثر أنواع السرطان شيوعًا، في الولايات المتحدة؛ إذ يُصيب أكثر من 95 ألف حالة جديدة سنويًا، كما أنه رابع سبب رئيسي للوفيات بالسرطان في جميع أنحاء العالم. (الأناضول)

الحمل

اليوم هو يوم المبادرات الفردية على الصعيد المهني

الثور

قدوم فترة اختبار هامة، فتعامل معها بتفاؤل وثق في إمكاناتك الذاتية

الجوزاء

لا تتأثر بآراء الآخرين ولا تجعلها تحيدك عن معتقداتك

السرطان

يجب أن تبدي اعترافك بالجميل وأن تفكر في كيفية رده حتى ينمو جو الدعم المتبادل

الاسد

الكثير من الموضوعات في الوقت الحالي لا تسير بالسلاسة التي خططت لها

العذراء

ركز على ما هو آت، وحتى إن استغرق الأمر زمنًا أطول

الميزان

لقد أنجزت الكثير ولكنك غير راض أكثر من أي وقتٍ مضى

العقرب

خذ خطوة إلى الوراء وحاول الاسترخاء. دع رأسك تهدأ

القوس

اسمح لأحبائك بالإحساس بدفء عاطفتك

الجدي

دلل نفسك عن طريق أخذ فترات راحة كافية بحيث تستمر صحتك جيدة لفترة أطول

الدلو

إذا كنت متفتحًا تجاه الأشياء الجديدة، فسوف تتعلم المزيد عن نفسك

الحوت

يمكنك اليوم تبني موقفًا مؤيدًا لتقوية الروابط الأسرية

منوعات

أتقنت عزف الإيقاعات عبر النظر والسماع ووجدت شهرة في أوروبا

سيمونا عبدالله صبية من فلسطين تسعى لبناء جسر موسيقي بين الشرق والغرب

سيمونا عبد الله

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

جذبتها الطبلة منذ طفولتها، لكن العادات والتقاليد حاصرتها بعيداً عنها. وعندما امتلكت سيمونا عبدالله قرارها صارت من عازفات الإيقاع الشهيرات في أوروبا. صبية من فلسطين عاشت طفولتها في غيتو للاجئين في الدنمارك، حيث شروط ونظم الحياة الاجتماعية مشابهة لأي مجتمع عربي منغلق يقصي الفتاة عن تحقيق ذاتها، ويجد سترها في زواجها.

سيمونا عبدالله من مدينة حيفا، والداها من مواليد لبنان، البحث عن الحياة الكريمة قاد العائلة إلى الدنمارك. وفي منزل ذويها تشربت الموسيقى الشرقية، وسرت نغمات الطبلة في دمها. دفء الشرق جذبها فعادت إلى بيروت بحثاً عن مشروع فني جديد، وكانت لها حفلات «صولو» كما اهتم الإعلام بموهبتها، فعازفات الإيقاع قلة أو حتى نادرات. كذلك منحها الفنان الياس الرحباني لحنين قديمين له لتمزجهما في الموسيقى الإلكترونية.

مع سيمونا التي تعزف بكل جوارحها ناشرة حولها ذبذبات من الحيوية والحركة والحب كان هذا الحوار:

■ أنت في بيروت منذ حوالي شهرين فما هو المشروع؟

■ **هذه ليست زيارتي الأولى، سبقتها زيارة قبل أربع سنوات. جئت سابقاً وأجريت أبحاثاً، بصراحة أنا بشوق للأجواء العربية، أقيم في الدنمارك منذ سنة 1985 وأنا دنماركية، لكن جذوري هنا، وأشتاق لها، في الزيارة الأولى أعجبتني الحياة الاجتماعية في بيروت، أنا هنا كذلك لأني أحتاج بأغلبيته أوروبي. الموسيقى التي أعزفها تشكل مزيجاً بين الشرقي والغربي. منذ طفولتي أعشق موسيقانا الأصيلة من بليغ حمدي، ومحمد عبد الوهاب، وأم كلثوم، وعبد الحليم، ووردة وكل من غنى بدءاً من أربعينيات القرن الماضي وحتى السبعينيات، أستمع للموسيقى العربية القديمة وأشعر كم يضع الموسيقي من روحه في معزوفته، كعازفة إيقاع أرغب في العودة لتلك الموسيقى والمساهمة بجعلها حية على مدى الأيام. في كافة حفلاتي في أوروبا أقدم «ريميكس» يمزج بين الموسيقى العربية القديمة والموسيقى الإلكترونية، تعرّف جمهوري إلى الموسيقى العربية القديمة وأعجبته كثيراً، ومن خلال الآلة وحدها، اعتمد في حفلاتي الـ«باكيتا تراك»، منذ 18 سنة وأنا أعزف، والطبلة هي تخصصي، أما دافع الزيارة المباشر إلى بيروت أن جاد الرحباني اكتشف فني منذ حوالي سنة ووجه لي دعوة للزيارة بهدف تقديم «ميدلي» من أغنيات فيروز، أعجبه هدفي في العمل لبناء جسر بين الشرق والغرب من خلال الموسيقى، مع الاحتفاظ بالجذور العربية، قبل أيام حصلنا على الحقوق القانونية لتقديم أغنيتي «كان الزمان وكان» ويا ناسيني»، سأعمل مع منتج أعمالي لؤي حنّاوي لتقديمهما «بريميكس وميدلي» ومزجهما بالموسيقى الإلكترونية الراقصة، وسيتم هذا العمل في لندن. إذا إقامتي هنا كانت مثمرة مهنياً، وكانت لي كذلك العديد من الحفلات.**

■ قررت إيصال الإيقاع العربي الشرقي إلى أوروبا كيف استقبله الجمهور؟

■ **الجمهور الدنماركي يُنصت بتركيز للموسيقى، ويعد الحفل بخبروني بحماسهم للتصفيق والرقص، وامتناعهم لعدم ازعاجي. منذ تسع سنوات و حفلاتي في الدول الاسكندنافية متواصلة، والجميع يرغب في سماع الجديد الذي أقدمه.**

■ هل من خصوصية تلتزمين بها لدى التوجه للمتلقي الغربي؟

■ **ليس بالضرورة. أغلب حفلاتي صولو، وعزفت مع فنانين دنماركيين وقدمنا موسيقى جاز وفوك، دائماً أتلقى دعوات لحفلات تمزج بين الإيقاعات الغربية والعربية. عزفت في البرلمان الدنماركي، وتلقيت دعوة لزيارة القصر الملكي. هناك ينظرون لي كنموذج يحتذى به خرج من غيتو اللاجئين. كذلك قدمت الكثير من المحاضرات، حكيت فيها قصتي الشخصية، وتحدثت عن الموسيقى العربية. وكذلك عن كل ما هو جميل في مجتمعنا العربي، خاصة وأن الصورة الراسخة لديهم عنا كعرب ومسلمين سلبية للغاية.**

■ نعرف أن عائلتك محبة للموسيقى والغناء كم استفدت من هذا المخزون الذي زُرع داخلك؟

■ **رغم التواجد منذ الطفولة في الدنمارك فالتلفزيون في بيتنا وبيوت كل من نعرف من العرب يعمل على محطة عربية طوال الوقت. في صغري كانت الحفلات الفنية المسجلة من المدن العربية الشرقية لا تنتهي، وكان أخي الكبير يعزف على الأورغ والدرامز في الأعراس، ويتدرب في بيتنا. كل تلك الموسيقى شكلت روحي. وعندما أحضر لي أخي طبلة وأنا في عمر 14 سنة وجدتها هدية من السماء، وبدأ التواصل الروحي معها ولا يزال. صرت أراقب عازف الطبلة على الشاشة وأدخل غرفتي لتعليم نفسي الإيقاعات. في الغيتو كنت أجلس في الصف الأول في حفلات الخطوبة والزواج الكثيرة لمراقبة عازف الطبلة. وهكذا تعلمت بالنظر والسمع.**

■ هل سعيت لأن تكون معرفتك الموسيقية أكاديمية؟

■ **لم يكن مسموحاً، المدرسة وحدها مسموحة، لكني ثابرت على تعليم نفسي خاصة بعد أن أعطاني أخي إثر زواجه حوالي 5007 كرونة، ورحت أتابع التمارين برفقتها. عزفت بداية لفتيات العائلة ومنذ أتقنت الريتم الأول والثاني. كانت المساحة الوحيدة المتاحة. لأن الطبلة كانت اختياراً في الموسيقى فهل كنت تتمكنين في التمرين حيث تعيشين؟ ألم يعترض الجيران على الصوت؟**

■ **في الغيتو لم أسمع اعتراضاً، الجميع يخبط ويضج في كوبنهاغن، وعندما اعترض الجيران صرت أحشوا الطبلة بمناشف لتخفيف الصوت، ولأتمكن فقط من تمرين يدي.**

■ ما هي المصاعب التي واجهتك في الاحتراف؟

■ **بعد الانتهاء من المدرسة منعني أهلي من العزف. حسبهم «ما عنا بنات تعزف طبلة هاي للشباب». خاطبني الجميع «إهدي». فيما كان الإيقاع يجري في دمي. في عمر الـ23 انتقلت إلى كوبنهاغن بفعل الزواج، وهناك بدأت اللقاءات مع الفنانين، وتلبية الدعوات لحفلات خاصة. ومن حينها قررت أن تكون الموسيقى حياتي. بدأت الاحتراف سنة 2007. لكني واجهت مصاعب مع عائلتي لدى الانفصال لأني قررت العيش في كوبنهاغن. بالنسبة لي العودة إلى الغيتو مستحيلة، فقد خنقتني كفاية وحدّ من تطوري. فكانت ردة فعل أهلي المباشرة: «والعالم شو منقلهم؟ رجعي ع بيت أهلك». بعد سنوات تقبلوا الفكرة. اتصلت مرة بوالدي لأخبره بحفل لي قريباً من الغيتو من ضمن جولة في الدنمارك، دعوته لحضور الحفل وأخبرته أن الطبلة صارت مهنتي. جاء مع أخوي محمد وفاتن. جلس في الصف الأول وكان قلبي يكاد ينخلع من مكانه. صورني فيديو، ومن ثم صعد إلى المسرح للتصوير، واقترب مني وقبلني على جبيني. وكانت المباركة.**

■ ولدت في المانيا وتعيشين في الدنمارك لماذا هذا الخيار؟

■ **هاجرت عائلتي من مخيم البداوي إلى المانيا مع الحرب الأهلية في لبنان. وفي بداية الثمانينيات أعادونا بحجة هدوء الوضع، وكنت قد ولدت هناك. سنة 1985 كرر والدي الهجرة منفرداً على أن نتبعه كجمع شمل. ولأكثر من سنة لم نعرف عنه خبراً. رسائل كثيرة يعثّنا ولم تصل واحدة. علمت والدتي أن الدنمارك تستقبل الفلسطينيين، فقررت الهجرة وكنا برفقة عمي. والدي الذي كان يعيش في جزيرة بعيدة سبع ساعات عن كوبنهاغن، سمع في دورة أن عائلات فلسطينية وصلت إلى العاصمة، فجاء إلى حيث تجمع المهاجرين علّه يجدنا. بعد وصولنا بست ساعات سمعت والدتي من يناديها. فكان والدي.**

■ هل تعرفين اللغة العربية قراءة وكتابة؟

■ **اتمنى لو أتمكن من التعبير عن نفسي بالعربية بسهولة أكثر. تعلمتها في الدنمارك ولأني لا أستعملها تغيب عني مصطلحات.**

■ ومن ساندك في مشوار الفن؟

■ **فقط أخوي فاتن ومحمد، وكنت أحتاج لهما كسند عائلي، وكانا يحضران حفلاتي حين يتمكنان، وذلك قبل معرفة والدي باحترافي.**

■ من هم الموسيقيون العرب الذين تتعاونين معهم؟

■ **تعاونت مع بلال أرشيد، وهو عازف عود محترف من القدس. واستخدمت موسيقى سعيد مراد. وكان لي حفل مع تامر حسني والشاب خالد. وجولة مع ناتاشا أطلس. وعلى صعيد منفرد كانت لي جولات في افريقيا وآسيا وأوروبا، هي جولات تخللتها حفلات صولو وورشات عمل ومحاضرات.**

■ هل لنا القول أن الإحساس السماعي لديك هو عربي شرقي صافي؟

■ **بكل تأكيد. وحالياً أعمل مع المنتج لؤي الحناوي لتقديم ألبوم. وكانت البداية ريميكس لقصيدة «قارئة الفنجان» ومصممان معاً لتقديم أغنية «من غير ليه».**

■ متى وأين تعيشين الاحساس بالموسيقى الأوروبية؟

■ **أعيش في المجتمع الدنماركي ويومياً نسمع الغربي. في منزلي فقط أسمع الموسيقى العربية. الدنماركيون لن يطربوا بأم كلثوم، ومن أجل تلك المشاعر أنا في بيروت، وأعشق العيش فيها.**

■ بماذا يصفك الغربيون؟ كيف ينظرون لحضورك على المسرح؟

■ **الموسيقى التي أقدمها تمس المتلقين، ومنهم من يُغمض عينيه ليسمع بنقاء، ومنهم من يبكي، فالذبذبات تترك فيهم أثراً. يصف الإعلام الموسيقى التي أقدمها بالقوية والفعالة، ويرحب بالدمج بين الموسيقى الغربية والعربية.**

■ الطبلة نجمة الأفراح هل تحيين منها الكثير للمهاجرين العرب في أوروبا؟

■ **لا أحب العزف في الأفراح في الدنمارك، الجمهور العربي هناك لن يتوافق مع رؤيتي الموسيقية، عدا عن كونهم لم يتقبلوا بعد عزف الإيقاع من قبل امرأة، فيما استقبلت بالترحاب في شتى البلدان العربية. نسبة اللاجئين العرب في حفلاتي في الدنمارك لا تتعدى 20 في المئة.**

■ ماذا عن عزفك مع فريق من ست فتيات لاجئات؟

■ **بل نحن خمس لاجئات عازفات. نعزف الطبلة، الكورة وهي آلة افريقية وغيرها. ننتمي للعراق، فلسطين والارجنتين، والفتيات الأربع يعشن في السويد. حفلاتنا تلقى الإقبال الكبير، وكل منا تحكي بعضاً من قصتها، وتقدم الآلة التي تعزفها للجمهور.**

■ وماذا عن تعاونك مع عازفين غربيين؟

■ **يتكرر هذا التعاون مع فرق صغيرة وكبيرة ومع الأوركسترا السيمفونية، افتتحت حفلات لفنانين يضم حفلهم بحدود 50 ألف شخص، حفلاتي مع دنماركيين، وسويديين وافريقيين.**

■ في لبنان أنت قريبة لفلسطين هل شعرت بهذه المسافة الصغيرة البعيدة؟

■ **زرت فلسطين ومكثت فيها ثلاثة أشهر، أحييت حفلات في القدس ورام الله، عزفت في مسرح عشتار وهو الأقدم في فلسطين، وفي البيت الدنماركي في رام الله. أحببت رام الله. فيها الكثير من المهرجانات، يحضرها الشباب والثورة في عيونهم. وخلال الحفل يتلقون خبر اعتقال هذا القريب أو الصديق. 50 في المئة من سكان المدينة مروا بتجربة السجن. وصلت إلى فلسطين وخضعت لتحقيق لمدة أربع ساعات من سلطات الاحتلال.**

■ هل تشغلك قضية فلسطين؟ وكيف تعبرين عنها في الغرب؟

■ **بالتأكيد. وفي كافة محاضراتي أروي قصتي وهجرة أجدادي من فلسطين، ولماذا أنا في الدنمارك. لست سياسية لكني لا أنسى وطني المسلوب وما يتعرض له شعبه.**

«القريب منك بعيد والبعيد عنك قريب»

الإدمان على مواقع التواصل التي أصبحت هاروت وماروت العصر

نواكشوط ـ «القدس العربي»:

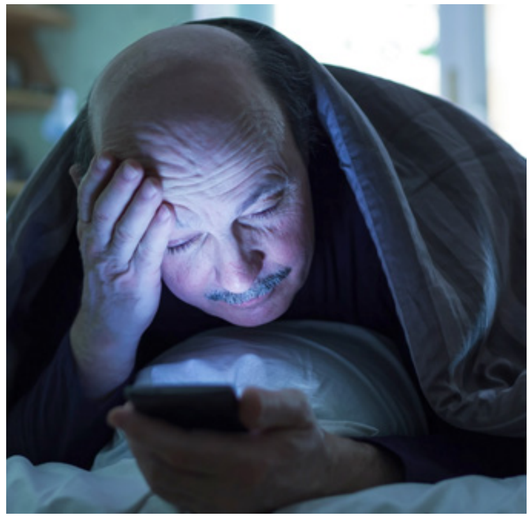

تماما كما غنت نجاة الصغيرة قبل عقود بكلمات حسين السيد «القريب منك بعيد والبعيد عنك قريب» تزداد الشكاوى من انشغال الناس بعضهم عن بعض، بجوالاتهم وألواحهم وردرشاتهم عبر مواقع التواصل، منذ أن أصبحت شبكة النت مشاعا.

وحدد المختصون مؤشر الإدمان بأنه «استخدام الإنترنت لأكثر من 38 ساعة أسبوعيا»؛ ويعتبر هذا المؤشر قليلا جدا اليوم، حيث أن الكثيرين يخصصون غالب أوقات يقظتهم للعكوف على منصات التواصل.

وإذا كانت شبكة الإنترنت أتاحت للناس التواصل عبر فيسبوك وتويتر وسناب تشات وأنستغرام وو»تساب» ومسنجر، فإنها قطعت تواصلهم وأرحامهم فيما بينهم، حيث تجد أفراد الأسرة مجتمعين بشخوصهم في مجلس واحد لكن الصمت يخيم عليهم، فكل وأحد منهم مقبل على جواله أو لوحه وهو يبحر في عالم آخر.

هنا تحولت مواقع التواصل من وسائط إيجابية تتيح التعارف، إلى جدر فاصلة بين الأم وابنها وبنتها، بل وتحولت لهاروت وماروت شيطاني بابل اللذين ذكر القرآن أنهما فتنة وأنهما يفرقان بين المرء وزوجه.

لقد أصبح الإدمان على الإبحار مشكلة اجتماعية؛ فكم من زوجين يولي أحدهما ظهره للآخر وهما على السرير، لأن كلا منهما منشغل بدردشاته الخاصة.

وكم أدت رسائل وصور متبادلة على و»تساب» لتدمير حياة أسرة بكاملها ولتيتيم أطفال بسبب تشكك أم في زوجها أو أب في زوجته؟

يقول محمد سالم، الطالب في جامعة نواكشوط «ليس هناك حل لمشكلة الإدمان على الإنترنت، لقد خرجت المسألة عن السيطرة تماما».

وتقترح خديجة بنت محمد، طالبة الماجستير «عقد مؤتمر دولي حول الإدمان على النت واتفاق أمم العالم على نظام ترشيدي لهذه الخدمة التي أصبحت مدمرة».

لا توافق صديقتها تربه بنت العالم، على حرمان الناس من النت أو التحكم فيه « اتركوا للناس حرياتهم، فإن أرادوا الإدمان أدمنوا وإن أرادوا الراحة استراحوا؛ إنكم تتدخلون في حياتهم».

الشيخ أعمر، إمام مسجد في حي كوسوفو جنوب نواكشوط يعتبر «أن النت أعظم شيطان عرفته البشرية. فهو نظام يشيع الفاحشة عبر المواقع الإباحية، إنه، هجوم من الكفار على العالم الإسلامي لغزوه وإثارة غرائز وشهوات شبابه ونسائه».

هذه النظرة المتحاملة الغاضبة على الإنترنت تقابلها آراء أخرى مرحبة بهذه الخدمة وتعتبرها أعظم نعمة عرفتها البشرية؛ فهذه منظمة الصحة العالمية تؤكد في «التقرير العالمي حول التشيخ والصحة» الذي أصدرته مؤخرا، أنه «بالنظر إلى المستقبل لا إلى الماضي فإن التغيرات التكنولوجية ترافق تشيخ السكان، وتخلق الفرص التي لم تكن متاحة أبداً في السابق، وعلى سبيل المثال، فإن الإنترنت يمكن أن يؤمن استمرار الاتصال بالعائلة رغم المسافات، وإتاحة المعلومات يمكن أن توجّه المسن في رعايته لنفسه أو توفر الدعم للقائمين على رعايته، والأجهزة المحمولة صارت توفر فرصا جديدة لرصد الصحة والرعاية الصحية المصممة وفق احتياجات الشخص».

الطفل الموريتاني سيديا ولد إبراهيم يقول «أن الإنترنت توفر للأطفال مجالا واسعا للألعاب وقضاء الوقت الممتع وهي ضرورة لا غنى عنها».

وأكدت صحيفة «الدايلي ميل» البريطانية في موضوع تطرقت فيه لمنافع ومضار الإنترنت «أن علماء اكتشفوا خطورة الهواتف المحمولة لأنها تجعلنا نمشي بسرعة أقل مع خطوات مبالغ فيها لتجنب العقبات التي يصعب رؤيتها بسبب تركيز النظر في شاشات هذه الهواتف».

ويقول هؤلاء العلماء «إن هذا التغيير في الخطوة يمكن أن يسبب مشكلات في الظهر والرقبة على المدى الطويل» ويرى دكتور ماثيو تيميس المؤلف الرئيسي لدراسة أجريت في جامعة أنجليا روسكين في كامبريدج «أن خطوات المشي صارت بسرعة أقل مع خطوات طويلة، مشابهة لخطوات شخص في الثمانينيات من العمر».

هكذا يعيش عالمنا بين محنة ومنحة الإنترنت متلمسا بصعوبة بالغة طريقه نحو المخرج السليم من ورطة التأرجح بين مضار ومنافع هذه الخدمة.

ويظل المخرج السليم في ذلك هو التحكم في الوقت المخصص لهذه الوسيلة التي أصبحت لا غنى عنها مثل الأوكسجين، بما يضمن الاستفادة من إيجابياتها والابتعاد عن السلبيات، تطبيقا لقاعدة «لا إفراط ولا تفريط».

القدس العربي
الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9DP England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل- الطابق الأول- شقة رقم (2)
* هاتف/ فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان- الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/ فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9DP England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor. Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East. North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly

السنة التاسعة والعشرون العدد 9071 الأحد 21 كانون الثاني (يناير) 2018 – 4 جمادى الأولى 1439 هـ

Volume 29 - Issue 9071 Sunday 21 January 2018

هجرت منها وهي طفلة تحت جنح الظلام

الحاجة نجية... قلب كبير ينبض بالحنين لقريتها في الناصرة

الناصرة – «القدس العربي»:

نجية هياجنة أم عادل (83) سيدة فلسطينية عصامية مناضلة ظل حنينها لقريتها السجرة قضاء الناصرة داخل أراضي 48 أخضر حتى أطلق قلبها الكبير آخر نبضاته مؤخرا. منذ نكبة 1948 تحولت أم عادل إلى مهجرة، أي لاجئة داخل وطنها، حيث لجأت لبلدة كفركنا المجاورة وأقامت فيها ولم تبرحها صورة « الهجيج « حينما هجرت طفلة من بلدتها فخرجت مع أسرتها حافية تحت جنح الليل المظلم. تمت مقابلتها مرات عدة في الماضي وكانت مصدرا للمعرفة عن قرية السجرة المميزة بذكاء وثقافة أبنائها وبناتها. « كل نار تصبح رماد مهما تقيد إلا نار الشوق ... الشوق للسجرة الغالية الساكنة في داخلي « كانت تقول مستلهمة قصيدة الشاعر الصحافي مأمون الشناوي. وطالما كانت أم عادل تسعى لإطفاء هذا الحنين للسجرة وحياتها الريفية الوادعة والهانئة بزيارتها دوما بحثا عن طفولتها الجميلة يوم كانت تلهو بالكروم والبساتين وحقول الذرة مع صديقاتها ريمة وفاطمة وشريفة. أم عادل التي حظيت بقسط من الثقافة قبل نكبة 1948 هي جارة الراحلين الكبيرين رسام الثورة ناجي العلي ومنشدها إبراهيم محمد صالح أبو عرب. في المرة الأخيرة رافقتها « القدس العربي « للسجرة يوم زارها للمرة الأولى والأخيرة جارها وابن بلدها الفنان أبو عرب. وقتها كانت الدنيا لا تسعها في ذاك اليوم كيف لا وقد أحست بعودة الروح بكل جوارحها وهي بجانب أبو عرب شاديا كالبلبل على غصن غض في الصباح مناجيا صديقه الغائب الحاضر ناجي العلي. وفي الذكريات روت على مسامع كل من شارك في تلك الزيارة في ذاك اليوم بعض سيرة ناجي العلي المولود بعام ميلادها 1936 فقالت إنه كان مغرما بالرسم على حيطان المدرسة. كما استذكرت كيف أحب الرسم على جدران وبوابات المنازل في قريته وأشارت إلى أنه كان ذكيا لماحا وسريع البديهة. وواصلت روايتها على مسامعنا ونحن بجوار عين السجرة في ذاك اليوم الربيعي من نيسان/ابريل قبل ست سنوات فقالت « تزداد غربتي في الوطن وجعا حينما أتذكر حقيقة امتلاك والدي 200 دونم من الحقول والكروم في السجرة بينما لم نجد في كفركنا شبرا من الأرض لبناء منزل».

وعن قانون الحاضر غائب الإسرائيلي الذي سلب ملايين الدونمات من الشعب الفلسطيني كانت تقول أم عادل واثقة «لو صارت إسرائيل إمبراطورية عظمى لما تمكنت من مصادرة الذاكرة التي تتوارثها الأجيال حتى يقضي الله أمرا، ولن ينسى طفل منا سجرتنا الغالية». وتساءلت هل يمكن للإنسان أن يتنكر لذاته ويخرج من جلده حتى يطمئن المعتدون؟ وطالما بقيت حافظت على جمرة الإيمان بالقول «نحن نؤمن أن لاحق يضيع ووراءه مطالب».

بيد أن السيدة المناضلة العصامية التي ثكلت زوجها مبكرا لم تكتف بالشكوى فعملت في الخياطة وساعدت وساهمت في اقتناء قسيمة أرض وبناء مساكن لها ولأبنائها وتدبير علمهم وعملهم. كما باحت بمرارة ذوي القربى أيضا وتستذكر كيف كانت تتعرض لتعليقات عنصرية من قبل بعض صبايا بلدة كفركنا بعد النكبة وهن يطلبن منها انتظارهن ريثما يملأن هن أولا جرارهن من ماء العين. واستذكرت أن بعضهن تحدثن بطريقة غير لطيفة «غريب ويشرب حليب « لكن هؤلاء بقين أقلية «فأهالي بلدتي الثانية كفركنا عاملونا باحترام وقلب كبير».

الحاجة نجية

زعم أنه التقط صورة مع الرسول وأن المهدي المنتظر سيظهر قريبا

حبس مواطن مصري يدعي أنه «كليم الله» ويطالب بلقاء السيسي

القاهرة ـ «القدس العربي»: مؤمن الكامل

أمرت النيابة المصرية، أمس الأول الجمعة، بحبس مواطن يدعى «يوسف أحمد محمد السايح» زعم بأنه «كليم الله»، ووجهت له النيابة خلال التحقيقات تهمة ازدراء الأديان وأمرت بحبسه 4 أيام على ذمة التحقيقات.

وكانت قوة من مباحث الأقصر قد ألقت القبض مساء الخميس، على «كليم الله المزعوم»، وذلك على خلفية انتشار فيديو له زعم فيه بأنه كلم الله، وأن الله يكلمه من وراء ستار طول 24 ساعة، وأن الله خصه بسر الروح، وأرسله لمصر مبشرا، ومعه رسالة من الله للرئيس عبد الفتاح السيسي.

وزعم «السايح» بأن الرسول محمد يزوره، وقدم صورة عبر الفيديو زعم أنها للنبي، وأنه التقط الصورة مع الرسول في منزله في مدينة أرمنت جنوب الأقصر.

ويقول «يوسف» في فيديو يتداوله المصريون على نطاق واسع منذ أسبوعين إنه لا يدعي كل ما ذكر ولكنه الحقيقة. ويضيف: «أنا وزوجتي متزوجان في 2015، خدنا سحر أدى لمرض يفضي إلى موتنا، وذهبنا إلى جميع الشيوخ ولكن دون جدوى أو علاج، وهناك صوت يناديني قائلا: يوسف إنني أنا الله، وكلمني ربي كلام لا ينتهي، ولم يحاججني أي شيخ لتفنيد كلامي».

ويشير إلى أنه «بشرى للمؤمنين» وقد رأى الرسول وكلمه، مشددا على أنه يتحدى كل الكون أن يكذب أحد كلامه. كما ادعى أنه يعلم الغيب كما علمه الله، وأن المهدي المنتظر سيخرج قريبا من أطهر بقاع الأرض وسيكون فارسا وبشرته سمراء، وينتسب للرسول محمد.

وتابع: أنا بشرى للمؤمنين وأبلغهم كل شيء سيحدث، ولن أقول من هو المهدي المنتظر، والأحداث ستثبت صحة كلامي أمام من كلموني، وأنا لا أتحدث باسم المهدي.

وزاد: ستمتلئ الأرض بظهور المهدي المنتظر بالعدل وسينتهي الفساد، وأكلم الله على مدار 24 ساعة بالصوت، وهناك كثيرون رأوا الله سبحانه وتعالى ومنهم الإمام أحمد بن حنبل.

وعن عام 2018 قال إنه سيكون عام خراب على كل دولة وفرد ظالم، وعام مثل الجنة على المتقين مضيفا: كل من عادى مصر والحق، وخصوصا إيران، ستأكله النار في هذا العام.

وزعم أن الكنز الذي ظهر له هو كلام الله له ورؤية الرسول محمد له، وأنه توصل لعلم التحنيط وأسرار الفراعنة، وتعهد في حال زيارة الرئيس عبد الفتاح السيسي لمركز أرمنت في محافظة الأقصر سيكشف له سر التحنيط بشكل خاص.

وأعرب عن تأييده المطلق للسيسي، وأقسم أنه انتخب الرئيس الأسبق محمد مرسي، ولم ينتخب السيسي، لكن «رسالة الله هي أن كل البشرى للسيسي وأنه المنقذ» حسب كلامه.

وزعم كذلك أن الله خصه بعلم البلاغة بخلاف سر خطير عن الرسول محمد وهو «علم الروح»، مشددا على أن «كل من تكلم عن علم الروح في السابق سيصمت حين أتحدث أنا عن سر الروح».

ووصف السيسي بـ«الملك» الذي يتابعه الله، وأنه ليس مجرد رئيس، موجها حديثه للسيسي قائلا: أنت موجود من أيام الهكسوس، والله أرسلك لمصر لانقاذها

وقال إن «الإعلام سيندم كل الندم»، مهددا بالذهاب للسعودية وإعلان أسراره من هناك.

وطلب دخول جهاز المخابرات المصرية للتحدث في الأسرار التي يمتلكها، داعيا إلى شنقه إن كان «يدعي الكذب».

يوسف أحمد محمد السايح